الجيش

العدد 472 | أيار - حزيران 2026 | السنة الثانية والأربعون

الضمانة...

زيوت سيّارات بجودة
عالية تناسب كلّ متطلّبات
القيادة والمحرّكات.

TotalEnergies

الجيش

العدد 472 | أيار - حزيران 2026 | السنة الثانية والأربعون

الضمانة...8

© All rights reserved

رئاسة التحرير:
د. إلهام نصر تابت
شانتال داغر

مدير التحرير:
ريما سليم

تصميم وإخراج:
شادي مهنا

"الجيش" مجلة تصدر عن
قيادة الجيش اللبناني
مديرية التوجيه - اليرزة
هاتف: 1701

«AL JAISH» is issued by
The Lebanese Army
Directorate of Orientation
www.lebarmy.gov.lb
www.lebanesearmy.gov.lb

يرجى توجيه المراسلات وتحديد العنوان التالي:
قيادة الجيش اللبناني،
مديرية التوجيه،
مجلة «الجيش»
أو عبر الفاكس
على الرقم: 01/424104

طباعة: أ.ز.ا - العدد 80,000 نسخة

18

في هذا العدد...

14
ة السوان ة
هيئة إدارة مخاطر الكوارث والأزمات
في الجيش: إدارة ناجحة لأزمة معقّدة

18
يا:د النيـ ـ ي ار
في معرض SAHA 2026 الدولي
في إسطنبول

20
ر ة
التعليم في زمن الحرب:
التكيّف والمرونة فعل صمود

24
ون ة نـ ر
اقتصاد العالم وأمنه
على المشرحة الأميركية - الصينية

30
ي ايا ئ يسية
الكمّاشة الاستراتيجية
بين مضيقَي هرمز وباب المندب

34
ا يت حاد ال انانة
بين تراكم الأزمات
وتداعيات الحروب الإقليمية

38
ريند رند
مناجم الذهب واليورانيوم تحت
المعطف الجليدي

46
ا اريز و االادرا ر
لبنان على طريق
الهند - أوروبا؟!

54
ند ا يس رنا ال سا
من منطق الشركات إلى تحولات
السلطة في الأنظمة الديمقراطية

62
أ إدا التنسية المستدا ة
الهدف العاشر: الحدّ من أوجه عدم
المساواة داخل البلدان وفي ما بينها

80
حوار و را ة
صيدا 2027
عاصمة للثقافة والحوار المتوسطي...

94
ال اليو
الذكاء الاصطناعي...
بين التقدّم والخطر الوجودي

30

38

• الاشتراك السنوي في لبنان: 100 دولار أميركي.
اليقظة | هاتف: 01/424066 - الانترنيتا | هاتف: 01/583358

1750

هي أعلى نقطة تعبئة

اطلب الآن

+961 4 928 643 |

#إرتفاعنا_إسمنا

اليوم أكثر من أي وقت مضى...

د. إلهام نصر تابت

كان ذلك منذ 50 سنة. أنا وأخي في سيارة عمي التي تقلّنا من الجنوب إلى بيروت حيث ينتظرنا من بقي من عائلتنا التي خسرنا ركنها الأساسي وفتاها الذي لم يكن قد بلغ السادسة عشرة من سنِيه، وإليهما عشرات من الأهل والأقارب وأبناء البلدة. طوال المسافة التي قطعناها من تخوم الخردلي إلى مشارف صيدا، كانت عيناي مشدودتَين إلى الخلف، إلى مطارح الطفولة والذكريات والدراسة والتعب. من بين أمواج الدمع التي ما هدأت، رحت أحدّق في كل تلة وسهل وشجرة وصخرة وبيت... وكأنّ عينَيّ تحاولان حمل كل ما على تلك الأرض من سنين حياتي وحفظه في أعمق أعماق القلب.

مضت سنوات طويلة قبل أن تُتاح لنا العودة. لم تندمل الجراح. لكن العودة إلى تلك الأرض بين الحين والآخر كانت بمثابة نسمة طرية تُحيي الروح وتمنحها شيئًا من السلام.

في الدار الفسيحة أمام بيتنا، كنت أرى طيف أبي ينحت أحجارًا اشتقّها من الصخور البيضاء في قطعة الأرض المجاورة لنا، ليضيف إلى البيت غرفتين. أشم رائحة أمي ورائحة خبزها ينده لمن يمر بالجوار. أستعيد صور إخوتي الصغار وهم عائدون من المدرسة أو يركضون حول البيت. صوت جدتي وهي تروي لنا الحكايات قرب الموقدة في مساءات الشتاء.

أطياف وأصوات لأهلٍ وجيران، مشاهد من حياة فيها الكثير من التعب ومورد رزقها زراعة التبغ الذي ما زالت آثار دبقه عالقة على الأصابع، وحياة فيها الكثير من الألفة والبساطة والعلاقات الدافئة مع الجوار. هذه العلاقات هي الأكثر حضورًا وتوهّجًا في ذاكرتي اليوم.

وسط ضجيج الانقسام الجارح المدمّر في وطني، تحضرني صور أبو علي وأم إبراهيم وأبو نعيم وكثر سواهم ممن حفروا عميقًا في ذاكرتي.

أبو علي من ضيعة مجاورة لنا، كان تاجرًا متنقلًا يأتي على ظهر حمارته المحمَّلة بأنواعٍ لا تُحصى ولا تُعدّ من البضائع. كنا نسمع صوته من بعيد وهو آتٍ فيجلّب معه الأطايب والفرح، خصوصًا في أيام الصيف ونحن منهمكون في شك أوراق التبغ. دروبس. راحة. بسكوت... والكثير من مستلزمات الحياة اليومية. يبيع بفرح ويُسهّل أمور الدفع. «منقبض لما تتيسر»...

أم إبراهيم من ضيعة أخرى مجاورة، أتذكرها كلما حلّ عيد الفصح آتية مع زوجها وعلى رأسها صدر كبير مملوء بكعك العباس لتبارك لنا بالعيد المجيد.

أبو نعيم من ضيعة أم إبراهيم التي كان لنا فيها أصدقاء، كانوا أكثر بكثير من أصدقاء. أهل بكل ما يمكن أن تحمله الكلمة من معانٍ. ولأبي نعيم مع والدي قصة لا أتعب من روايتها لأولادي، وهي تحضرني بقوة اليوم.

في إحدى زياراته لنا، سأل أبو نعيم والدي: لماذا لا تزرع مساحة أكبر من التبغ في سهل الجرمق كما يفعل الجميع، فيكون لك موسم «حرزان». أجابه أبي: لا أستطيع الحصول على رخصة لزراعة كبيرة لأنّ الأرض التي أملكها صغيرة. قال أبو نعيم: الأرض مش مشكلة... عندي أراضٍ ونحن أخوان، سأسجّل قطعة باسمك فتتيسر أمورك. في اليوم التالي ذهب الإثنان إلى الدوائر العقارية وباتت قطعة الأرض ملكًا لأبي. بهذه البساطة تخلى أبو نعيم عن أرضٍ يملكها لأبي. كان ذلك في مطلع السبعينيات من القرن الماضي. حصل أبي على الرخصة وزرعنا عدة مواسم كبيرة قبل أن تأتي الحرب اللعينة التي كان تهجير ضيعتنا آخر فظائعها...

يومها، أتت عائلة أبو إبراهيم إلى ضيعتنا واحتضنت أمي وإخوتي الصغار فاستضافتهم في بيتها إلى أن انتقلوا إلى بيروت. أما الأرض فأعادها أخي لأصحابها بعد سنوات مع شكر جزيل وعرفان بالجميل لا تستطيع دهور أن تُمحيه من النفوس.

لماذا أروي هذه القصص اليوم؟ ببساطة لأنّها تشكّل بالنسبة لي واحة أمل وأمان. لأنّها تُشعرني بأنّ في أرضنا ومجتمعنا خميرة من القيم المشبعة بالطيبة والنخوة، وبأنّ بين قرانا وضيعنا روابط من حسن الجوار والألفة والتعاون ينبغي أن نتمسّك بها. أن نروي قصصها لأولادنا. صحيح أنّ الزمن تغيّر لكنّ الخميرة الطيبة موجودة ويجب أن نحافظ عليها كما نحافظ على فلذات أكبادنا.

نعم الخميرة موجودة ومجتمع الجيش خير شاهد على وجودها. هذا المجتمع الذي تشد أواصره روابط عميقة بعيدًا من أي اعتبار، وبغضّ النظر عن أي انتماء سوى الانتماء إلى المؤسسة والوطن.

في جحيم الحرب الذي نعيشه تأتينا شهادات من قرى وبلدات احتضنت عائلات أبنائها العسكريين عائلات رفاقهم النازحين وتقاسمت وإياهم لقمة العيش وهموم الخسائر وعمق الجراح.

في جحيم الحرب الذي نعيشه، ومهما علت أصوات الانقسام، ما زالت القيم الإنسانية حاضرة في سلوك الغالبية العظمى من اللبنانيين.

في جحيم الحرب الذي نعيشه، تبقى القيم التي زرعها فينا الآباء والأجداد ونشأنا عليها، ملاذاً يحمينا من دمار شامل يهددنا. الدمار ليس فقط دمار منازل ومبانٍ تحتضن أعمارنا وتعبنا. إنّه قبل كل شيء دمار القيم الذي يزرع الانقسام والحقد.

مجددًا، في الجيش نموذج ساطع لقيم يحتاج مجتمعنا إلى ترسيخها اليوم أكثر من أي وقت مضى، وكلنا ثقة بأنّه وكما كان دائمًا، سيظل مؤمناً بها، وفيًا لها، عاملًا بروحيتها.

العواقي يا جيشنا.
العواقي يا وطن.

SOURDOUGH BREAD

"TRADITION YOU CAN TASTE"

MOULINDOR

السلم الأهلي والوحدة الوطنية
هما السلاح الأقوى لحماية لبنان واستقراره

في "أمر اليوم" الذي وجّهه إلى العسكريين عشية عيد المقاومة والتحرير، أكّد قائد الجيش العماد رودولف هيكل أنّ الجيش سيكون السد المنيع في وجه المؤامرات التي تدفع نحو زعزعة الاستقرار الداخلي والسلم الأهلي. كما خاطب العسكريين قائلًا: إنّ أداءكم والتزامكم ودوركم مدرسةٌ في الوطنية، على الجميع التمثّل بها.
في ما يلي نص "أمر اليوم":

أيّها العسكريون

أمام ما يواجهه وطننا من تحديات مصيرية، نستحضر في ذكرى عيد المقاومة والتحرير محطةً وطنيةً شكّلت علامةً مضيئةً في تاريخ لبنان، إذ تجسَّد فيها تمسّك اللبنانيين بأرضهم وسيادتهم وكرامتهم الوطنية في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي.

اليوم، نستذكر تضحيات الشهداء وكل من ساهم في صون الوطن، مستمدّين من تلك المرحلة روح الصمود والوحدة والأمل بمستقبلٍ أكثر استقرارًا وازدهارًا لجميع اللبنانيين.

أيّها العسكريون

لا نزال نعيش تداعيات العدوان الإسرائيلي المستمر وما يَنتج عنه من دمار وسقوط آلاف الشهداء والجرحى في مختلف المناطق ولا سيما في الجنوب، بالتزامن مع احتلال أراضٍ لبنانية. إنّ الجيش يبذل أقصى قدرته، في ظل ظروف معقدة وأخطارٍ كبيرة، بهدف التخفيف من آثار العدوان، والوقوف إلى جانب المواطنين ولا سيما النازحون والصامدون منهم، بالتزامن مع مهماته الأمنية المتواصلة التي تشمل محاربة الإرهاب والجريمة المنظّمة، وتوقيف المطلوبين والمخلّين بالأمن، وضبط الحدود الشمالية والشرقية وحمايتها.

تَمَسّكوا برسالتكم وحافظوا على معنوياتكم وجهوزيتكم الدائمة، وكونوا على ثقة بأنّ السلم الأهلي والوحدة الوطنية هما السلاح الأقوى لحماية لبنان واستقراره، وذلك يتحقق بفضل ثبات الجيش وعزيمته. أمّا التطاول على المؤسسة والتشكيك بدورها من هنا أو هناك، تارةً بالتشهير والاتهامات بالتقصير، وتارةً عبر الشائعات الطائفية والمناطقية والافتراءات الباطلة التي تخدم أعداء لبنان، فلن يثنيها عن الاستمرار في أداء واجبها.

رسالتنا واضحة: سيكون الجيش السد المنيع في وجه المؤامرات التي تدفع نحو زعزعة الاستقرار الداخلي والسلم الأهلي، وسيبقى الجيش بفضل ثبات عسكرييه وتضحيات شهدائه وجرحاه، قويًّا متماسكًا، حارسًا للوحدة الوطنية.

أيّها العسكريون

إنّ أداءكم والتزامكم ودوركم مدرسةٌ في الوطنية، على الجميع التمثّل بها.

وفي هذه المناسبة، يَظَلُّ أملنا كبيرًا في استعادة كل شبر من أرضنا، في حين يعطي اللبنانيون بتضحياتهم المثالَ في الإرادة والعزيمة والصمود.

أحيّي صلابتكم وقوة إرادتكم رغم صعوبة المرحلة وقساوة الظروف.

كونوا كما عهدْتُكم محلّ فخر قيادتكم وأهلكم اللبنانيين، ومحطّ ثقة الدول الشقيقة والصديقة.

بقوّتكم وثباتكم يبقى الأمل حيًّا بمستقبلٍ مشرق للبنان وأبنائه.

الضمانة...

بين أواخر 2023 وربيع 2026 عايش لبنان واقعًا كارثيًا بفعل الحرب التي بدأت جنوبًا وما لبثت أن تمددت لتشمل البقاع والضاحية الجنوبية لبيروت، فضلًا عن مناطق أخرى في عمق الداخل اللبناني.
وبين مسح بلدات وقرى بالعشرات، وتهديد وإخلاء مثيلاتها، تعاظمت الخسائر البشرية ودفنت آلاف الأطنان من الركام مساحاتٍ شاسعة من الأراضي، فجعلتها خرابًا شاملًا، ومسحت كل ما كان فيها من معالم الحياة.
تستمر الحرب، يستمر القتل، يستمر النزوح. يعلو الركام فوق ركام سبقه. تتوسع رقعة المناطق المعزولة.
تُمعن الاعتداءات الإسرائيلية في اغتصاب بقايا حياة ظلّت تقاوم الموت هنا وهناك متمسكةً بالبقاء رغم كل شيء، لكن ثمن البقاء يُدفع كل يوم دمًا ودمارًا، قهرًا ونزوحًا جديدًا...
في ظل هذا الواقع الكارثي تواصل وحدات الجيش القيام بمهماتها في ظروف شبه مستحيلة إن لم نقل مستحيلة تمامًا.

هنا مجموعة تحاول اختراق أنقاض مبنى أُسقط فوق رؤوس قاطنيه ليتم إنقاذ مَن ظل حيًا وانتشال من استشهد، لكنّ القصف يُعيد الحكاية من أولها في تكرار لا يتوقف. وهناك مجموعة تعمل على معالجة صاروخ سقط في منتصف أوتوستراد أو داخل شقة سكنية ولم ينفجر، وقبل أن تُنجز مهمتها تتلقى أمرًا بالانتقال إلى مكان آخر لتنفيذ مهمة مماثلة. في الوقت عينه ثمة مجموعات أخرى تعمل لفتح طريق أو تأمين صيانة مرافق حيوية أو حتى مرافقة مواطنين لجلب ما هو ضروري من منازل تركوها تحت ضغط التهديد بقصفها... في كل الحالات، وبينما تواصل الصواريخ والقذائف اجتياح المباني والأراضي بمن فيها وما عليها، يستمر عمل وحدات الجيش المنتشرة وإلى جانبها وحدات من القطع المتخصصة في مختلف المجالات. وينتظم العمل وتتكامل الجهود من خلال متابعة مستمرة وتنسيق دقيق من قبل قيادة الجيش بجميع أجهزتها.

وفي حين تقتضي طبيعة المهمات تدخلًا لقطع معيّنة (مثل فوجَي الأشغال المستقل والهندسة)، فإنّ عمل هذه القطع يتم بالتنسيق والتعاون مع قطاع جنوب الليطاني والوحدات المنتشرة ومع قطع أخرى (اللواء اللوجستي، الطبابة العسكرية، الشرطة العسكرية، ...).

فقد فرضت الحرب على الجيش اللبناني، تحديات ومهمات مستجدة بكمياتٍ هائلة وفي نطاق غير مسبوق وظروف عملانية وأمنية بالغة الصعوبة، ما استدعى توسيع الجهود العملانية واللوجستية لتلبية حاجات الوحدات العسكرية والمواطنين على حد سواء. على هذا الأساس يبقى التنسيق قائمًا بصورة دائمة بين مختلف القطع والوحدات المتخصصة منها والمنتشرة، وتتضافر الجهود لتنفيذ المهمات العملانية والهندسية واللوجستية والإنسانية بكفاءة عالية، سواء في ما يتعلق بفتح الطرقات وإزالة الردميات وتفكيك ذخائر غير منفجرة ونقل المعدات والمواد، أو الوصول إلى المناطق المتضررة، بما يساهم في إنجاز المهمات المطلوبة بصورة سريعة وفعّالة رغم صعوبة الظروف وكثافة التحديات.

حماية السلم الأهلي والوحدة الوطنية

المهمات التي فرضتها الحرب رغم ضغطها وصعوباتها لم تؤثر على دور الجيش كحارسٍ للسلم الأهلي والوحدة الوطنية. فتحتَ هذا العنوان يعمل العسكريون على مدار الساعة في جميع المناطق اللبنانية، وهم واعون ومدركون خطورة المسّ بالسلم الأهلي،

خصوصًا في ظل واقع صعب يهدد لبنان بمخاطر غير مسبوقة. من هنا تتركز الجهود على حفظ السلم الأهلي والاستقرار من خلال الجهوزية التامة لمعالجة أي إشكال قد يتطوّر إلى ما لا تُحمد عقباه. ونتيجة اليقظة الدائمة استطاعت وحدات الجيش معالجة حوادث عديدة يمكن إدراجها في سياق محاولات زرع الفتنة والشقاق بين المواطنين.

وفي إطار حفظ الأمن أيضًا، يولي الجيش عناية خاصة للواقع بالغ الدقة والحساسية الذي نتج عن نزوح مئات الآلاف من بيوتهم ومناطقهم، لذلك يسهر على أمن النازحين، كما يحرص على مد يد العون لمختلف إدارات الدولة في جهودها لتأمين حاجاتهم، فضلًا عن دوره على صعيد توفير العديد من الخدمات والمساعدات للمواطنين في مختلف المناطق عبر هيئة إدارة مخاطر الكوارث والأزمات ومديرية التعاون العسكري – المدني في الجيش.

من جهة أخرى، يستمر العمل كثيفًا على محور مكافحة الجرائم المنظمة، ومن بينها جرائم المخدرات، وفي هذا السياق تُنفّذ المداهمات بشكلٍ متواصل، ويتم توقيف المتورطين وضبط الممنوعات. ولا يخفى على أحد أنّ للعمل على هذا المحور أهميةً مضاعفة في الظروف التي نمر بها، لذلك يلاحق الجيش المطلوبين مؤكدًا أنّه لن يسمح بالفوضى التي تنمو عادة خلال الحروب والأزمات.

في المقابل، تُشكّل وحدة العسكريين وتماسكهم ومناقبيتهم مثالاً ونموذجًا للوحدة والثبات في وجه الانقسام والتشظّي، وما يمكن أن يؤديا إليه من عواقب وخيمة. ورغم أنّ عائلات الآلاف منهم باتت تقاسي معاناة التهجير والنزوح، فهم يُقدّمون مع إشراقة كل شمس دليلًا جديدًا على أنّهم ضمانة الوطن. دليل يقدّمونه بالدم حيناً، وبالجهد والسهر في كل حين.

دماء وشجاعة وإيمان وصبر

كيف تعمل وحدات الجيش في المناطق الملتهبة؟ ما هي أبرز مهماتها؟ وما هي المعايير التي تحكم تحديد الأولويات في ظل المآسي المتلاحقة؟ أسئلة نحاول الإجابة عنها من خلال متابعة عمل فوجَي الأشغال المستقل والهندسة اللذين يضطلعان بتنفيذ المهمات على مدار الساعة منذ اندلاع الشرارة الأولى للحرب حتى لحظة كتابة هذه السطور، وهي مهمات اقتضت أكثر بكثيرٍ من الجهد المستمر، فهي تطلّبت دماء شهداء، وقبل كل شيء، شجاعة وكفاءة وإيماناً وصبراً.

يمكن تلخيص المهمات التي ينفّذها فوج الأشغال في هذا السياق وفق مراحل زمنية اعتباراً من أواخر العام 2023.

- المرحلة الأولى: بين تشرين الأول 2023 وكانون الأول 2024

تركّزت مهمات فوج الأشغال المستقل خلال هذه المرحلة على تنفيذ أعمال فتح الطرقات داخل قطاع جنوب الليطاني قدر المستطاع، رغم المخاطر الأمنية والاستهدافات المستمرة، وذلك بهدف تأمين حركة الوحدات العسكرية والإسعاف والدفاع المدني. كما عمل الفوج على مؤازرة الوحدات المنتشرة ميدانيًا من خلال استخدام الآليات الهندسية الثقيلة لرفع الأنقاض والردميات الناتجة عن الاعتداءات الإسرائيلية، والمساهمة في عمليات البحث وانتشال الشهداء والجرحى من تحت الأنقاض في المناطق المستهدفة. وقد نُفّذت هذه المهمات في ظروف بالغة الصعوبة، وسط استمرار القصف واتساع رقعة الأضرار، ما تطلّب جهوزية دائمة وسرعة استجابة عالية من عناصر الفوج وآلياته الهندسية جنبًا إلى جنب مع الوحدات المنتشرة عملانيًا وفوج الهندسة.

- المرحلة الثانية: مطلع العام 2025 ولغاية آذار 2026

عمل فوج الأشغال المستقل خلال هذه المرحلة على فتح الطرقات ضمن نطاق قطاع جنوب الليطاني بواسطة الآليات الهندسية الثقيلة، بما ساهم في تمكين الوحدات العسكرية من الوصول إلى مراكزها الحدودية واستحداث مراكز أخرى جديدة، إضافة إلى تسهيل عودة المواطنين ووصولهم إلى قراهم وبلداتهم. كما نفّذ الفوج ورشًا هندسية متعددة لتأهيل المراكز العسكرية القائمة، واستحداث مراكز جديدة، وإجراء التحصينات العسكرية اللازمة لتعزيز الجهوزية العملانية. كذلك، تولّى تنفيذ المرحلة الأولى من خطة فتح الطرقات، إلى جانب مؤازرة فوج الهندسة للوصول إلى الذخائر غير المنفجرة ومعالجتها، بما يضمن سلامة العسكريين والمواطنين.

- المرحلة الثالثة: اعتبارًا من نيسان 2026

مع دخول وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ، باشر فوج الأشغال المستقل منذ ساعات الصباح الأولى تنفيذ عمليات فتح الطرقات والجسور. وقد تمكن الفوج، بواسطة آلياته الهندسية، من فتح طريق القاسمية أمام المواطنين لتسهيل عودتهم إلى قراهم، كما ساهم في فتح وتوسعة طريق الخردلي بعد تنفيذ أعمال التدعيم اللازمة من جهة النهر. كذلك، عمل على فتح الطرقات الداخلية في مرجعيون وبلدة بلاط. هذه المهمات ساهمت بضمان حرية حركة الوحدات العسكرية والإسعاف والدفاع المدني.

- المرحلة الرابعة: المهمات الهندسية واللوجستية المستمرة

يواصل الفوج تنفيذ مهمات هندسية وعملانية متعددة، مع التركيز على استحداث مراكز عسكرية جديدة للوحدات العملانية بما يؤمّن لها انتشارًا أكثر فعالية وعمقًا عملانيًا، ويساهم في تعزيز الجهوزية الميدانية واستمرارية تنفيذ المهمات. كما يعمل الفوج على رفع الأنقاض وتأهيل المراكز العسكرية التي تضررت نتيجة الاعتداءات، إضافة إلى استحداث بقع لوجستية شمال نهر الليطاني بهدف دعم الوحدات المنتشرة وتأمين احتياجاتها العملانية واللوجستية. كذلك، نفّذ الفوج بعض أشغال تأهيل البنى التحتية للمدارس التي تؤوي نازحين من الجنوب، بما يساعد على تحسين الظروف المعيشية وتأمين الحد الأدنى من الخدمات الأساسية داخلها. كل هذه المهمات، كانت متزامنة مع تنفيذ الفوج للمهمات الهندسية التابعة لوحدات الجيش على كامل الأراضي اللبنانية، وبالأخص لرفع الجهوزية العملانية للوحدات المنتشرة على الحدود الشمالية والشرقية للبنان.

- المرحلة الخامسة: حماية الممتلكات الثقافية

في إطار حماية الممتلكات الثقافية خلال الاعتداءات الإسرائيلية، عمل فوج الأشغال المستقل بالتنسيق مع المديرية العامة للآثار على إعداد لائحة «No Strike List» تضم 39 موقعًا أثريًا وممتلكًا ثقافيًا مهددة بالأضرار والاعتداءات وفق أحكام اتفاقية لاهاي للعام 1954، التي تمنع الاستخدام العسكري للممتلكات الثقافية أو التعدي عليها، إذ

أُدرجت هذه المواقع تحت بند «الحماية المعززة». وقد أضيفت إلى 34 موقعًا سبق إدراجها في العام 2024، ليصبح العدد الإجمالي للمواقع الأثرية المشمولة بالحماية المعززة 73 موقعًا أثريًا.

تحسّبًا لما بعد الحرب

في موازاة تنفيذ المهمات اليومية، يعمل فوج الأشغال بشكلٍ دائم على رفع مستوى الجهوزية الهندسية واللوجستية تحسّبًا لأي تطورات أو مهمات مرتقبة بعد الحرب. وفي هذا الإطار، يتم تنفيذ أعمال صيانة دورية وشاملة للآليات والمعدات الهندسية لضمان بقائها في جهوزية تامة، إضافة إلى تأمين وتحضير كميات إضافية من المواد الأولية الهندسية والإنشائية الضرورية، بما يتيح التدخل السريع والفعّال عند الحاجة، لفتح الطرقات وإزالة الأنقاض وتأهيل البنى التحتية، أو استحداث المراكز العسكرية واللوجستية.

كما يحرص الفوج على الحفاظ على قدرة الانتشار السريع والمرونة في تنفيذ المهمات، من خلال إعادة تنظيم الموارد البشرية والآليات بما يتلاءم مع طبيعة المرحلة المقبلة، الأمر الذي يضمن بقاء الفوج على أهبة الاستعداد لمواكبة أي تحديات أو متطلبات وطنية قد تفرضها الظروف الراهنة أو مرحلة ما بعد الحرب.

المعايير التي تحدد أولويات تنفيذ المهمات

تُحدَّد أولويات تنفيذ المهمات وفق معايير عملانية وهندسية دقيقة، تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المرحلة وحجم التحديات الميدانية الناتجة عن الحرب. وفي مقدمة هذه المعايير تأتي حماية الأرواح وسلامة المواطنين والعسكريين، من خلال إعطاء الأولوية للمهمات التي تسهم في إزالة الأخطار المباشرة، وفتح الطرقات الحيوية، وتأمين وصول فرق الإسعاف والوحدات العسكرية إلى المناطق المتضررة.

كما تُعطى الأولوية للمهمات التي تدعم الجهوزية العملانية للجيش وتعزز حرية حركة الوحدات العسكرية وانتشارها، سواء عبر فتح وتأهيل الطرقات، أو استحداث المراكز العسكرية، أو إنشاء البنى اللوجستية الداعمة للوحدات المنتشرة، لا سيما في المناطق الحدودية والحساسة. كذلك، يتم الأخذ بعين الاعتبار أهمية الموقع أو المنشأة وحساسيتها، وارتباطها بالمرافق الحيوية أو بالخدمات الأساسية التي يحتاجها المواطنون. كما تُعطى الأولوية للمهمات التي تساهم في تسهيل عودة الأهالي إلى قراهم ومناطقهم، أو في دعم جهود الإغاثة والاستجابة الإنسانية. كما تتم عملية تحديد الأولويات بالتنسيق المباشر والدائم مع قيادة

الجيش والوحدات العملانية، بما يضمن تكامل الجهود وتوجيه الإمكانات نحو المهمات الأكثر إلحاحًا وتأثيرًا على المستويين الأمني والإنساني.

التعامل مع مخاطر عالية وذخائر غير معروفة

لا يختلف الواقع في فوج الهندسة عمّا لمسناه في فوج الأشغال المستقل لجهة ضغط المهمات والعمل المتواصل في ظل الخطر الشديد. فعادةً ينتج عن الاعتداءات الإسرائيلية وجود عدد كبير من الذخائر غير المنفجرة، فضلًا عن الكثير من القاذفات التي يتم استهدافها وتحتوي على ذخائر متضررة وغير منفجرة، ناهيك عن المنشآت العسكرية المستهدفة تحت الأرض.

وجود هذه المخلّفات في أماكن متعددة يقتضي عمل الفوج بشكلٍ فوري على التخلص منها، حتى في أثناء استمرار الأعمال العسكرية، الأمر الذي يحمل مخاطر عالية في العمل أثناء استمرار الاستهدافات.

وفي سياق مهماته، يقوم الفوج بالكشف على المناطق المنوي القيام بمهمات إنسانية فيها (الكشف على مكان وجود شهداء)، أو مشاريع بنى تحتية بهدف إجراء أعمال تصليح محطات ضخ مياه، خطوط كهرباء، مرافق خدمات مختلفة... بالإضافة إلى الطرقات أو المراكز العسكرية المنوي استحداثها، وذلك لجهة احتمال وجود ذخائر غير منفجرة فيها.

لعل أبرز التحديات التي يواجهها فوج الهندسة هو التعامل مع ذخائر جديدة وغير معروفة، لا تتوافر عنها المعلومات أو أنّها محدودة جدًا. ومن هذه المعلومات ما يتعلّق بطريقة عمل الذخائر المذكورة وكيفية تعطيلها، والأهم وقت الحيطة اللازم قبل التدخل؛ لذلك يتعامل خبراء الذخائر والمتفجرات معها بحذرٍ، وفق التعليمات، بغية التعرف عليها عمليًا وتعطيلها. كذلك يتم التنسيق والتعاون مع سرايا وفصائل الهندسة العضوية في الألوية والأفواج التي يقع ضمن قطاعها تنفيذ المهمة.

وبسبب الاعتداءات التي طالت عددًا من الجسور، كُلّف الفوج بمهمة الكشف عليها واقتراح بدائل. وقد تم وضع عبّارة على مجرى نهر الليطاني في طيرفلسيه، واستطلاع وتحضير مهمات تركيب جسور عسكرية عند إعلان وقف الأعمال العسكرية. على صعيد آخر، تقوم سرية الوقاية من أسلحة الدمار الشامل في الفوج بأخذ عينات وفحصها، عند الاشتباه باستخدام ذخائر تحتوي على مواد خطرة (مشعة أو ملوّثة).

التخطيط المبني على الخبرات ودراسة المستجدات

فرض ضغط العمل غير المتوقف ابتداءً من أيلول 2024، واقعًا جديدًا يتطلب درجة عالية من التكيّف مع كثافة المهمات وتنوّعها واتساع رقعة العمل. الركن الأساس في ذلك هو التخطيط المسبق المبني على الخبرات السابقة ودراسة المستجدات واستحداث قاعدة بيانات وجداول إحصاءات.

وقد عمدت قيادة الفوج إلى إعادة توزيع السرايا بشكلٍ يتناسب مع توزع المهمات جغرافيًا. كما ركّزت على العامل النفسي لدى العسكريين لجهة ضغوطات العمل المستمر وطويل الأمد، تفاديًا لوقوع الحوادث. وتم اعتماد مبدأ المداورة بين العسكريين لتخفيف الضغط عليهم والسماح لهم بفترة من الراحة واستعادة النشاط.

رغم الإجراءات التي سبق ذكرها، تشكّل كثافة المهمات عبئًا لوجستيًا متزايدًا. وقد عملت قيادة الفوج على استدراك الحاجات وتأمينها بالتنسيق مع قيادة الجيش وعدد من الجهات المانحة، لضمان استمرارية تنفيذ المهمات. كما سعت إلى رفع مستوى الحياة في المراكز،مما ينعكس إيجابًا على معنويات العسكريين.

جمع المعلومات وتحليلها

بسبب كثافة المهمات وما يحيط بتنفيذها من ظروف، يعمل فوج الهندسة على تحديد الأولويات وذلك من خلال جمع المعلومات من جميع المصادر المتوافرة، ويتم تحليل هذه المعلومات ومن ثم التخطيط لتنفيذ المهمات وفق عدة معايير منها:

- الوضع الميداني، إذ يتم التنسيق مع قيادة الجيش حول إمكان تنفيذ المهمات.
- سلامة العسكريين سواء خلال الانتقال أو التنفيذ، وعدم تعريضهم لأي مخاطر غير ضرورية.
- سلامة المواطنين وتأثير الذخائر غير المنفجرة على حياتهم: وجود الذخائر في منازل المواطنين الذين يرغبون في العودة إليها أو على الطرقات، وجود الذخائر قرب منشآت حيوية (مستشفيات، محطات محروقات، عقد مواصلات...).
- ضرورات عسكرية (قرب الذخائر من مركز عسكري، تأثيرها على انتشار القوى...).
- المخاطر المتأتية من أماكن التنفيذ (أبنية متصدعة).
- توافر العتاد والآليات اللازمة لتنفيذ المهمة (بخاصةٍ عند وجود الذخائر في الطبقات العليا من المباني).

من خلال ما سبق ذكره، قد يمكننا تكوين صورة عمّا تواجهه وحدات الجيش التي تعمل على مدار الساعة على أرض تزلزلها الصواريخ، وتحت سماء تمطر حممًا، وبين مواطنين يقاسون الأهوال... لكنّ الصورة الحقيقية تبقى أقسى بكثير مما يمكن أن تصل إليه تعابير اللغة.

انضمّوا إلى رفاقهم...

بين الخامس من نيسان وأواخر شهر أيار الماضي،
قدّم الجيش للوطن ثلاثة عشر من رجاله
استشهدوا من جراء استهدافات إسرائيلية معادية
طاولت مناطق مختلفة من الجنوب والبقاع.
هؤلاء انضموا إلى أحد عشر شهيدًا سبقوهم
خلال شهر آذار الماضي.
لنفوسهم الراحة والسلام في جوار ربهم،
ولذكراهم الخلود على مرّ الأيام.

المؤهل الأول الشهيد
محمد عبيد

- من مواليد 1980/12/8 جبشيت - النبطية.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2001/11/30.
- استشهد بتاريخ 2026/5/12 جرّاء غارة إسرائيلية معادية استهدفت بلدة جبشيت - النبطية.
- حائز عدة أوسمة وتنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: متأهل وله 3 أولاد.

المعاون الأول الشهيد
عباس حسن قاسم

- من مواليد: 1984/8/10 شمسطار - بعلبك.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2006/9/4.
- استشهد متأثرًا بجراحه بتاريخ 2026/4/12 جرّاء استهداف إسرائيلي معادٍ بتاريخ 2026/4/8 في بلدة شمسطار - بعلبك.
- حائز عدة أوسمة وتنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: متأهل وله 3 أولاد.

المعاون الشهيد
علي جابر

- من مواليد 1995/11/23 كفرتبنيت - النبطية.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2016/5/26.
- استشهد بتاريخ 2026/4/30 جرّاء استهداف إسرائيلي معادٍ في بلدة كفررمان - النبطية.
- حائز عدة أوسمة وتنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: عازب.

الرقيب الأول الشهيد
حسين ياسين

- من مواليد: 1993/8/17 الكفور - النبطية.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2016/12/17.
- استشهد بتاريخ 2026/4/8 جرّاء استهداف إسرائيلي معادٍ في مدينة صيدا.
- حائز عدة أوسمة وتنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: متأهل وله ولد واحد.

الرقيب الشهيد
محمد حمود

- من مواليد: 1992/8/1 كفرملكي - صيدا.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2017/12/12.
- استشهد بتاريخ 2026/4/16 جرّاء استهداف إسرائيلي معادٍ في بلدة كفرملكي - صيدا.
- حائز تنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: عازب.

الرقيب الشهيد
علاء مدلج

- من مواليد 1993/10/14 كفررمان - النبطية.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2018/10/25.
- استشهد بتاريخ 2026/5/28 جرّاء استهدافه بغارة إسرائيلية معادية على طريق زفتا - دير الزهراني.
- حائز عدة أوسمة وتنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: متأهل وله ولد واحد.

العريف الشهيد
حسين نحله

- من مواليد: 1996/11/20 صيدا.
- مددت خدماته في الجيش بتاريخ 2015/8/12 ونقل إلى الخدمة الفعلية بتاريخ 2019/8/7.
- استشهد بتاريخ 2026/4/5 جرّاء غارة إسرائيلية معادية استهدفت بلدة كفرحتى - صيدا.
- حائز تنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: عازب.

الجندي الأول الشهيد
محمد شحيتلي

- من مواليد: 1996/5/15 شمسطار - بعلبك.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2018/11/28.
- استشهد بتاريخ 2026/4/8 جرّاء استهداف إسرائيلي معادٍ في بلدة شمسطار - بعلبك.
- حائز تنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: عازب.

الجندي الشهيد
حسين سلطان

- من مواليد 1996/5/1 الصوانة - مرجعيون.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2021/1/1.
- استشهد بتاريخ 2026/4/29 جرّاء استهداف إسرائيلي معادٍ في منطقة خربة سلم - بنت جبيل.
- حائز تنويه العماد قائد الجيش وتهنئته عدة مرات.
- الوضع العائلي: متأهل وله ولد واحد.

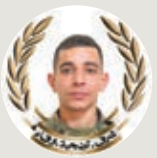

الجندي الشهيد
كامل مركيز

- من مواليد 2001/4/10 تعلبايا - زحلة.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2026/3/4.
- استشهد بتاريخ 2026/5/27 جرّاء استهدافه بغارة إسرائيلية معادية على طريق كفررمان - الخردلي.
- حائز تهنئة العماد قائد الجيش عدة مرات.
- الوضع العائلي: عازب.

التلميذ الرتيب الشهيد
علي ناصر الدين

- من مواليد: 2003/7/29 الكواخ - الهرمل.
- تطوع في الجيش بتاريخ 2025/10/1 .
- استشهد بتاريخ 2026/4/8 جرّاء استهداف إسرائيلي معادٍ في بلدة المنصورة - الهرمل.
- الوضع العائلي: عازب.

المجند الشهيد
صالح سوني

- من مواليد 2004/9/5 المحيدثة - راشيا.
- تطوّع في الجيش بتاريخ 2023/7/2.
- استشهد بتاريخ 2026/5/26 جرّاء استهدافه بغارة إسرائيلية معادية في محيط مركزه قرب سد بحيرة القرعون - البقاع الغربي.
- حائز تهنئة العماد قائد الجيش عدة مرات.
- الوضع العائلي: عازب.

المجند الشهيد
علي حسن قاسم

- من مواليد: 2006/4/20 مزرعة الضليل - بعلبك.
- مُدّدت خدماته في الجيش بتاريخ 2023/10/1 .
- استشهد بتاريخ 2026/4/8 جرّاء استهداف إسرائيلي معادٍ في بلدة شمسطار - بعلبك.
- حائز تهنئة العماد قائد الجيش عدة مرات.
- الوضع العائلي: عازب.

هيئة إدارة مخاطر الكوارث والأزمات في الجيش:

إدارة ناجحة لأزمة معقّدة

باسكال معوّض بو مارون

في ظلّ تصاعد الأزمات الأمنية والإنسانية في لبنان، خصوصًا أزمة النزوح الواسعة الناتجة من العدوان الإسرائيلي، برزت هيئة إدارة مخاطر الكوارث والأزمات في الجيش اللبناني كإحدى الركائز الأساسية في تنظيم الاستجابة الوطنية لهذه الأزمة. ومن خلال متابعة عمل هذه الهيئة تتكشّف تفاصيل إدارة واحدة من أكثر العمليات الإنسانية والاجتماعية تعقيدًا، من الإيواء والإغاثة إلى الدعم الصحي والنفسي، والتنسيق مع مختلف الجهات الرسمية والدولية.

برز دور هيئة إدارة مخاطر الكوارث والأزمات باعتبارها الجهة العسكرية المتخصّصة المكلّفة التخطيط والتنسيق مع السلطات المدنية خلال مختلف مراحل الطوارئ الوطنية. أُنشئت هذه الهيئة بتاريخ 14 تموز 2022 وهي ترتبط مباشرة بقائد الجيش، ويمارس رئيسها صلاحيات قائد منطقة. وهي كانت في مرحلة البناء المؤسساتي التدريجي عندما وُضعت أمام اختبار ميداني واسع النطاق بعد تكليفها رسميًا، في الثالث من آذار 2026، بإدارة أزمة النزوح.

هذا التكليف لم يكن إجراءً تنظيميًا عاديًا، بل عكَس إدراكًا واضحًا من قيادة الجيش بأنّ الأزمة تجاوزت قدرة آليات الاستجابة التقليدية، وبأنّ التعامل مع حركة نزوح بهذا الحجم يتطلّب جهازاً يمتلك مرونة تنظيمية، وقدرة على التنسيق بين الجهات الرسمية والعسكرية والمدنية، إضافة إلى سرعة في اتخاذ القرارات وإدارة الموارد. وهكذا تحوّلت الهيئة، خلال فترة قصيرة، من مشروع تنظيمي ناشئ إلى غرفة عمليات متكاملة تدير أزمة إنسانية معقّدة.

من التأسيس إلى توسّع الصلاحيات

منذ تأسيسها، أُنيطت بالهيئة مجموعة واسعة من المهام شملت تعزيز جهوزية الجيش في المراحل الثلاث لإدارة الكوارث، أي قبل الأزمة وفي أثنائها وبعدها، وتوحيد جهود القطع والوحدات العسكرية، إلى جانب تنسيق العمليات الميدانية، ووضع برامج تدريب متخصصة في إدارة الكوارث والأزمات، وتطوير آليات التعاون مع الوزارات والإدارات العامة والمنظمات المحلية والدولية.

كما تولّت الهيئة مهمة الحفاظ على قنوات اتصال تشغيلية مع مختلف أجهزة الاستجابة الوطنية والمنظّمات الإنسانية، والإشراف على تنفيذ خطط عمل سنوية تستند إلى تقييم مستمر للسيناريوهات المحتملة والموارد المتوافرة، فضلًا عن مراجعة خطط الاستجابة الوطنية وتحديثها بصورة دورية.

لكن ما كان مخططاً له كعملية بناء تدريجية تستمر حتى العام 2030، تحوّل بسرعة إلى عملية تشغيل كاملة تحت ضغط أزمة تتطلب استجابة سريعة وفاعلة. فمع تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية واتّساع رقعة النزوح، اضطرت الهيئة إلى الانتقال من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التنفيذ الشامل خلال فترة زمنية قصيرة جدًا.

منصة رقمية لإدارة النزوح

يشرح رئيس الهيئة العميد المهندس طوني عبود أنّ التحدّي الأول مع بداية الأزمة، تمثّل في معرفة الحجم الحقيقي للنزوح وتحديد أماكن وجود العسكريين النازحين وعائلاتهم واحتياجاتهم الفعلية. ولذلك، عملت الهيئة على تطوير منصّة رقمية خاصة بأتمتة الإفادات الواردة

من القطع والوحدات العسكرية. وقد أتاحت هذه المنصّة جمع البيانات بصورة يومية، وتدقيقها وتصحيح الأخطاء، ومتابعة حركة النزوح لحظة بلحظة، بما يوفّر صورة دقيقة عن حجم الأزمة وتطوّرها.

وبحسب المعطيات، بلغ عدد النازحين منذ اليوم الأول حوالى 5841 شخصًا من عسكريين وموظفين مدنيين، أي ما يعادل 1377 عائلة، قبل أن يرتفع تدريجيًا مع استمرار الاعتداءات ليصل إلى حوالى 55,804 نازحين، يمثلون نحو 14,490 عائلة. وقد فرض هذا الارتفاع السريع على الهيئة تحدّيات تنظيمية ولوجستية معقدة، خصوصًا أنّ حركة النزوح لم تكن ثابتة، بل اتّسمت بطابعٍ ديناميكي نتيجة انتقال العائلات المستمر بين مراكز الإيواء والمساكن الخاصة.

ولمعالجة هذه الإشكالية، أنشأت الهيئة نظام تحقُّق متعدد الطبقات يعتمد على تقارير الوحدات الميدانية، والتثبّت من الهوية، ومراكز الاتصال، إضافةً إلى التأكد من الحضور الفعلي داخل المراكز، بهدف الحفاظ على دقة البيانات وتفادي أي ازدواجية أو أخطاء في توزيع المساعدات والخدمات.

تنويع مراكز الإيواء

يؤكد العميد عبود أنّ الهيئة أدركت منذ الساعات الأولى أنّ الاعتماد على نوعٍ واحد من مراكز الإيواء لن يكون كافيًا لاستيعاب الأعداد المتزايدة من النازحين؛ لذلك، اعتمدت نظام إيواء مختلط يجمع بين المدارس الرسمية والمنشآت العسكرية والمساكن الخاصة. وبالتنسيق مع وحدة إدارة مخاطر الكوارث لدى رئاسة الحكومة ووزارة التربية والتعليم العالي، جرى تخصيص نحو 33 مدرسة رسمية في مختلف المناطق اللبنانية لاستقبال العسكريين وعائلاتهم.

كما أُعيد استخدام عدد من المنشآت العسكرية، من أندية وفنادق ومدارس ومراكز اجتماعية وترفيهية، كمراكز إيواء لعائلات العسكريين. وفي الوقت نفسه، لجأت فئة من العسكريين إلى استئجار مساكن خاصة أو الإقامة لدى الأقارب لأسباب اجتماعية أو عائلية أو مرتبطة بخصوصية السكن. ووفق توجيهات قيادة الجيش، مُنحت الأولوية في الإيواء للعسكريين في الخدمة الفعلية ولعائلاتهم وعلى العاتق. وقد بلغ عدد العائلات المقيمة داخل مراكز الإيواء العسكرية حوالى 739 عائلة تضم 3128 فردًا، إضافة إلى نحو 250 عائلة من عائلات الضباط.

من الإيواء إلى حماية الكرامة الإنسانية

وبحسب العميد عبود، سعت الهيئة إلى تحويل مراكز الإيواء إلى بيئات تحفظ الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية. ففي الأيام الأولى، وُضعت معايير تشغيلية دنيا تشمل تأمين السلامة الجسدية، والدفء، والغذاء، والنظافة، والخصوصية، ومنع التدهور الصحي والنفسي للنازحين. ورأت الهيئة أنّ الاستجابة الناجحة لا تقتصر على توفير «السقف والغطاء»، بل تقوم أيضًا على حماية الإنسان من الانهيار الاجتماعي والنفسي الناتج من ظروف النزوح الطويلة.

هذه المعايير شكّلت الأساس الذي بُنيت عليه لاحقًا برامج تحسين ظروف الإقامة داخل المراكز، خصوصًا المدارس الرسمية التي لم تكن مجهّزة أصلًا لاستقبال عائلاتٍ لفترات طويلة.

تحسين المدارس الرسمية وتحويلها إلى مراكز إيواء

مع تزايد أعداد المقيمين داخل المدارس الرسمية، بدأت الهيئة تنفيذ برنامج متكامل لتحسين الظروف المعيشية داخل هذه المراكز. وشمل البرنامج تركيب حمامات ومرافق صحية إضافية تتناسب مع أعداد المقيمين، وإنشاء وحدات غسيل، وتجهيز مطابخ جماعية، وتنظيم المساحات الداخلية بما يضمن الحد الأدنى من الخصوصية وحرية الحركة.

كما جرى تأمين الكهرباء والمولّدات والمحروقات اللازمة لتشغيلها، إضافة إلى أعمال صيانة وتجهيز هدفت إلى تحويل المدارس إلى مراكز قادرة على استيعاب الإقامة الطويلة نسبيًا. وقد أسهمت هذه الإجراءات في تحسين الظروف الصحية والنفسية للنازحين.

مركز شارل حلو: القلب اللوجستي للاستجابة

ويشير رئيس الهيئة إلى أنّه، في موازاة العمل على الإيواء، كان لا بد من إنشاء منظومة لوجستية قادرة على إدارة تدفّق المساعدات وتوزيعها بصورةٍ عادلة ومنظّمة. ولهذه الغاية، تم اعتماد محطة شارل حلو مركزًا لوجستيًا مركزيًا للتخزين تمرّ عبره جميع المساعدات الواردة قبل توزيعها ميدانيًا.

ويعمل المركز وفق ثلاث مراحل مترابطة: استقبال المساعدات وتسجيلها، ثم فرزها وتصنيفها وفحصها، وأخيرًا إعادة توزيعها استنادًا إلى بيانات دقيقة مرتبطة باحتياجات كل مركز وعدد المقيمين فيه. كما طوّرت الهيئة برنامجًا رقميًا خاصًا بإدارة المخزون وتتبّع عمليات التوزيع، ضمن سياسة وصفتها بـ «صفر تسرّب»، بحيث تُسجّل كل مادة تدخل المنظومة، وتُتابع إلكترونيًا حتى نقطة التسليم النهائية. وتهدف هذه السياسة إلى ضمان الشفافية الكاملة وحماية حقوق الجهات المانحة ومنع أي هدر أو ازدواجية في التوزيع.

توزيع المساعدات الأساسية

باشرت الهيئة منذ الأيام الأولى توزيع مواد الإغاثة الأساسية على جميع المراكز وفق معايير موحّدة، شملت هذه المواد الفرش والبطانيات والشراشف والوسائد. ورغم حجم الجهود المبذولة، كان العمل في أيار المنصرم مستمرًا لتأمين نحو 35 ألف وحدة إضافية من معدات النوم، خصوصًا للعائلات المقيمة خارج مراكز الإيواء الرسمية. كما وُزّعت مجموعات نظافة شخصية تحتوي على الصابون والشامبو ومعجون الأسنان والفوط الصحية وغيرها من المستلزمات الأساسية، إضافة إلى مواد تنظيف وتعقيم للمرافق المشتركة.

الغذاء والوجبات اليومية

على المستوى الغذائي، نسّقت الهيئة مع وزارة الشؤون الاجتماعية والجمعيات الأهلية والمنظّمات غير الحكومية لتأمين ثلاث وجبات يومية للنازحين داخل مراكز الإيواء من دون انقطاع منذ بداية الأزمة. كما جرى توزيع حصص غذائية دورية تحتوي على مواد أساسية لدعم العائلات وتخفيف الضغط المالي عنها. وفي ظل وجود حوالى 13 ألف عائلة نازحة في مساكن خاصة، بدأت الهيئة العمل على توسيع برنامج السلل الغذائية ليشمل هذه الفئة التي يصعب تغطيتها عبر النظام المركزي للوجبات.

برنامج تغذية الأطفال

ويلفت العميد المهندس طوني عبود إلى أنّ الهيئة أولت اهتمامًا خاصًا بالأطفال باعتبارهم الفئة الأكثر هشاشة في ظروف النزوح. ولهذا الغرض، أُطلق برنامج تغذية متخصّص موزّع على ثلاث فئات عمرية: من الولادة حتى ستة أشهر، ومن ستة إلى اثني عشر شهرًا، ومن سنة إلى ثلاث سنوات. ويشمل البرنامج الحليب الصناعي، وأغذية الفطام، والمكمّلات الغذائية، والمتابعة التغذوية، إضافة إلى الإرشاد الصحي والنفسي للأمهات. كما يتضمّن البرنامج نشاطات دعم نفسي اجتماعي وتحفيز مبكر للأطفال الصغار، بهدف الحد من الآثار النفسية الناتجة عن ظروف النزوح وعدم الاستقرار.

الاستجابة الصحية والطبية

بالتنسيق مع الطبابة العسكرية، أنشأت الهيئة نظام استجابة صحية متكاملًا يقوم على ثلاثة مستويات: الأول يعتمد على الفحوص الطبية الأسبوعية المنتظمة داخل جميع مراكز الإيواء للكشف المبكر عن الأمراض والمخاطر الصحية. أما المستوى الثاني، فيشمل التدخّل الميداني المباشر عبر مراقبة النظافة البيئية، ومكافحة الحشرات والقوارض، وتقديم العلاج للحالات البسيطة والمتوسطة داخل المراكز. في حين خُصّص المستوى الثالث للحالات التي تتطلّب رعاية متقدمة من خلال مسار إحالة منظّم إلى المستشفيات العسكرية. وقد سمح هذا النظام بضمان عدم ترك أيّ حالة صحية من دون متابعة أو علاج، مع الحفاظ على رقابة صحّية مستمرة داخل المراكز.

الدعم النفسي والاجتماعي

منذ البداية أدركت الهيئة أنّ آثار النزوح لا تقتصر على الجوانب المادية، بل تشمل أيضًا الضغوط النفسية والاجتماعية. لذلك، تعمل بالتعاون مع الطبابة العسكرية ومنظّمات دولية مثل المنظّمة الدولية للهجرة IOM ومركز جنيف لحوكمة قطاع الأمن DCAF على تطوير برامج دعم نفسي واجتماعي تشمل فحوص اضطراب ما بعد الصدمة PTSD، وجلسات دعم فردية وجماعية، إضافةً إلى برامج لتعزيز التماسك الاجتماعي والقدرة على التكيف. كما تخطط الهيئة لتوسيع هذه البرامج لتشمل العاملين في الاستجابة أنفسهم بعد انتهاء الأزمة، نظرًا إلى الضغوط النفسية والتشغيلية التي تحمّلوها خلال الأشهر الماضية.

تنسيق وطني متعدد الجهات

لم تعمل الهيئة بمعزل عن باقي مؤسسات الدولة، بل ضمن إطار تنسيقي وطني متكامل يقوم على توزيع الأدوار والتكامل بين الجهات الرسمية والعسكرية والمدنية.

فقد أدّت وزارة التربية والتعليم العالي دورًا أساسيًا عبر توفير المدارس الرسمية كمراكز إيواء. أما وزارة الشؤون الاجتماعية، فأسهمت في تنسيق البرامج الاجتماعية ومنع ازدواجية الخدمات، فيما شكّلت وحدة إدارة مخاطر الكوارث لدى رئاسة الحكومة DRMU حلقة الوصل بين الهيئة والمنظومة الوطنية لإدارة الكوارث، خصوصًا في ملفّي المحروقات والمياه.

المحروقات والمياه

في المرحلة الأولى من الأزمة، تولّى الجيش تأمين المحروقات اللازمة لتشغيل المولدات وأنظمة التدفئة من مخزونه الاحتياطي، إضافة إلى تأمين مياه الشرب والمياه الصحية عبر وسائله الذاتية. ومع انتقال الأزمة من مرحلة الطوارئ القصوى

إلى مرحلة التشغيل المستدام، أُنشئت آلية تنسيق رسمية مع وزارة الطاقة والمياه عبر DRMU لتأمين هذه الاحتياجات بصورةٍ دورية ومنظّمة. ووفق الهيئة، لم يُسجّل أي انقطاع في المحروقات أو الكهرباء طوال فترة الاستجابة، سواء خلال مرحلة الاعتماد على الموارد الذاتية للجيش أو بعد الانتقال إلى التنسيق المؤسساتي.

التمويل ومصادر الدعم

اعتمد تمويل الاستجابة على مجموعة متكاملة من المصادر، كان أبرزها الموارد الذاتية للجيش التي شكّلت العمود الفقري للمرحلة الأولى. وشمل ذلك استخدام المنشآت العسكرية، وتأمين المحروقات والمياه، وتوظيف عدد كبير من العسكريين في مهام الإدارة والتوزيع والحماية والنقل واللوجستيات. كما صدرت قرارات بتقديم مساعدات مالية لمرة واحدة للعائلات المتضرّرة، إلى جانب مساهمات الوزارات والتبرّعات المحلية والدولية. وقد أُديرت جميع هذه المساعدات عبر المنظومة الرقمية الخاصة بالهيئة، التي تتيح تسجيل المساعدات وتتبّعها من المصدر حتى المستفيد النهائي.

الشفافية والمساءلة

حرصت الهيئة على اعتماد معايير مرتفعة من الشفافية والمساءلة، من خلال توثيق كل عمليات توزيع المخزون وتحديثه بصورة يومية. كما تحتفظ بسجلٍ مفصّل لجميع الجهات المانحة، تمهيدًا لإصدار تقرير علني بعد انتهاء الأزمة يتضمّن تفاصيل المساعدات وكيفية استخدامها. وترى الهيئة أنّ بناء الثقة مع المانحين يشكّل شرطاً أساسيًا لاستمرار الدعم وتوسيعه، خصوصًا في ظل الفجوة القائمة بين حجم الاحتياجات وحجم الاستجابة الفعلية.

تقييم الاستجابة والإنجازات المحقّقة

يعتبر العميد عبود أنّ الهيئة نجحت في استيعاب ما يقارب 56 ألف نازح ضمن منظومة إيواء منظمة، وتأمين الغذاء والخدمات الصحية والنفسية والمياه والكهرباء بشكلٍ متواصل. كما نجحت في إنشاء سلسلة إمداد مركزية خاضعة للرقابة، وبناء منظومات رقمية للرصد والشفافية والمساءلة خلال فترة زمنية قصيرة. وقد أطلقت الهيئة أيضًا برامج متخصصة لحماية الفئات الأكثر ضعفًا، من نساء وأطفال ومسنّين وذوي احتياجات خاصة.

أما على المستوى الأمني، فقد جرى تأمين الحماية العسكرية داخل مراكز الإيواء على مدار الساعة، مع متابعة ميدانية مستمرة عبر لجان إدارة الكوارث الموجودة في المناطق العسكرية.

التحديات والفجوات القائمة

رغم هذه الإنجازات، تعترف الهيئة بأنّ الأزمة تتجاوز قدرات أيّ جهة واحدة، وأنّ تحدّيات كبيرة تبقى قائمة؛ فحجم التمويل المتوافر ما زال محدودًا مقارنة بالاحتياجات، كما أنّ استجابة بعض الجهات المانحة تبقى دون المستوى المطلوب. كذلك، فإنّ تغطية النازحين المقيمين في مساكن خاصة بحاجةٍ إلى توسيع، سواء من خلال برامج الغذاء أو الدعم الصحي والنفسي أو مواد الإغاثة.

أما على المستوى التقني، فتشكّل المحافظة على دقة البيانات تحدّيًا دائمًا في ظل الحركة المستمرة للنازحين والتنقل بين المراكز والمساكن. وترى الهيئة أنّ نجاح إدارة الأزمات لا يعني غياب الفجوات، بل القدرة على تحديدها بشفافية ووضع خطط تدريجية لمعالجتها.

الاستعداد لتفاقم الأزمة

ويؤكد العميد عبود أنّ الهيئة تعمل، في ظل استمرار التدهور الاقتصادي والأمني، وفق مبدأ استباق الأزمات لا انتظارها. ولهذا الغرض، تواصل إعداد سيناريوهات وخطط طوارئ للتعامل مع أي موجات نزوح إضافية، خصوصًا في ظل هشاشة الوضع في القرى الحدودية وتراجع البنى التحتية الوطنية. وتشمل هذه السيناريوهات تقدير أعداد النازحين المحتملة، وتحديد مراكز إيواء إضافية، وحساب الاحتياجات اللوجستية لكل مرحلة، وتطوير مسارات تنسيق إضافية مع الشركاء المحليين والدوليين.

كما تستند الهيئة إلى إطار استراتيجي يحمل اسم PRSM يقوم على مراحل الاستعداد والاستجابة والاستقرار والتخفيف والتعافي، ما يمنحها مرونة في التعامل مع تطورات الأزمة.

ومع تحوّل الأزمة تدريجيًا من حالة طوارئ إلى أزمة مستدامة، بدأت الهيئة التفكير بحلولٍ سكنية طويلة الأمد للعائلات التي فقدت مساكنها الأساسية. ويقوم المشروع على تخصيص وحدة سكنية لكل عائلة لفترة زمنية محددة مرتبطة بخطط التعافي والعودة، مع الحفاظ على الحد الأدنى من معايير السكن اللائق. وترى الهيئة أنّ استمرار الاعتماد على الإيواء الجماعي لفترات طويلة يفرض ضغوطاً اجتماعية ونفسية متزايدة، ما يجعل الانتقال إلى حلول أكثر استقرارًا ضرورة تشغيلية وإنسانية في آن واحد.

نحو نموذج وطني لإدارة الكوارث

تكشف تجربة هيئة إدارة مخاطر الكوارث والأزمات عن محاولةٍ لبناء نموذج استجابة وطنيٍّ قائم على التنظيم والرقابة والتنسيق بين المؤسسات العسكرية والمدنية؛ ففي وقت كانت فيه البلاد تواجه أزمة اقتصادية خانقة وتراجعًا في قدرات الدولة، استطاعت الهيئة خلال فترة قصيرة بناء منظومة تشغيلية لإدارة نزوح شمل عشرات الآلاف من الأشخاص، وتأمين الحد الأدنى من الخدمات الأساسية لهم.

ومع أن الفجوات ما زالت قائمة، سواء على مستوى التمويل أو التغطية أو الموارد، إلا أنّ التجربة أظهرت قدرة المؤسسة العسكرية على الانتقال من مرحلة الاستجابة الطارئة إلى بناء آليات أكثر استدامة وتنظيمًا. كما أظهرت أنّ إدارة الكوارث لا تقتصر على تقديم المساعدات، بل تشمل أيضًا بناء الثقة، وحماية الكرامة الإنسانية، وتطوير أنظمةٍ شفافة قادرة على الاستمرار والتوسّع في مواجهة أزمات قد تكون أكثر تعقيدًا في المستقبل.

”أظهرت التجربة أنّ إدارة الكوارث لا تقتصر على تقديم المساعدات، بل تشمل أيضًا بناء الثقة، وحماية الكرامة الإنسانية، وتطوير أنظمةٍ شفافة قادرة على الاستمرار والتوسّع في مواجهة أزمات قد تكون أكثر تعقيدًا في المستقبل.“

قائد الجيش يشارك
في معرض SAHA 2026 الدولي للصناعات الدفاعية والطيران والفضاء في إسطنبول

التقى قائد الجيش العماد رودولف هيكل وزير الدفاع التركي Yaşar Güler ورئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة التركية الجنرال Selçuk Bayraktaroğlu، على هامش مشاركته في معرض SAHA 2026 الدولي للصناعات الدفاعية والطيران والفضاء في إسطنبول ابتداءً من 2026/5/5 ولغاية 2026/5/7.

أكّد الوزير Güler أثناء لقائه العماد هيكل استمرار تركيا في دعم الجيش لمواجهة التحديات، وتوطيد علاقات التعاون بين الجانبين. كما أدان الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة والهجمات التي تطال مناطق مختلفة من لبنان.

من جهة أخرى، أكّد الجنرال Bayraktaroğlu للعماد هيكل ضرورة تعزيز التعاون بين الجيشَين اللبناني والتركي، مشدّداً على تقديم الدعم للمؤسسة العسكرية في المجالات كافة. وتناول البحث الخطوات المرتقَبة في مرحلة ما بعد اليونيفيل.

كما أعرب العماد هيكل خلال هذين اللقاءين عن شكره للسلطات التركية والجيش التركي على الدعم المتواصل. وأشاد بالإنجازات المميزة التي حقّقتها الصناعات الدفاعية التركية.

كان المعرض قد أُقيم بمشاركة نحو 120 دولة و1700 شركة، وبحضور مسؤولين رفيعي المستوى وقادة جيوش ورؤساء أجهزة أمنية من عدة دول حول العالم، وتَضمَّن عَرْض تقنيات حديثة عالية الكفاءة.

blomretail.com
+961 1 758000
BLOMRetail

القرض الشخصي بالليرة اللبنانية*
من بنك لبنان والمهجر

*مقابل توطين الراتب
تطبّق الشروط والأحكام

بنك لبنان والمهجر

التعليم في زمن الحرب:
التكيّف والمرونة فعل صمود

جان دارك أبي ياغي

في ضوء الظروف الاستثنائية التي يمر بها لبنان من جرّاء العدوان الإسرائيلي، وما نتج عنه من تداعياتٍ إنسانية واجتماعية وتربوية طاولت مختلف المناطق، ومع نزوح أعدادٍ كبيرة من العائلات والتلامذة، واعتماد عددٍ من المدارس الرسمية كمراكز إيواء، إلى جانب إقفال عدّة مؤسسات تربوية وتعذّر انتظام العملية التعليمية في بعض المناطق، برزت الحاجة إلى مقاربة تضمن استمرار التعليم بالحد الممكن، مع الحفاظ على سلامة الطلاب والأساتذة والهيئات التعليمية. في مواجهة هذا الواقع المعقّد كيف أمكن تأمين استمرارية العام الدراسي؟

انطلقت وزارة التربية والتعليم العالي من واقع أنّ أوضاع التلامذة خلال فترة الحرب ليست متشابهة، فبعضهم اضطر إلى النزوح وفقد استقراره، فيما بقي آخرون في مناطقهم لكنهم يواجهون خطر الحرب وآثارها النفسية والاجتماعية، في حين ظل التلامذة في المناطق الأكثر استقرارًا قادرين على مواصلة تعليمهم.

وانطلاقًا من هذا الواقع، أعلنت الوزارة خطة لاستمرارية التعلّم في حالات الطوارئ، تشكّل إطارًا داعمًا للطلاب والمعلّمين، وتقوم على ثلاثة مسارات تعليمية رئيسية تُحدَّد وفق أوضاع الطلاب وأماكن وجودهم، والواقع الأمني والتربوي لكل مؤسسة، بما يتيح اعتماد النمط التعليمي الأنسب: الحضوري، عن بُعد، والمدمج.

وأكدت الوزارة أن الإنصاف التربوي لا يتحقق عبر اعتماد مقاربة واحدة للجميع، بل من خلال الاستجابة لتفاوت الظروف والاحتياجات، واعتماد إجراءات مرنة تسمح لكل مؤسسة تعليمية باتخاذ القرار الأنسب وفق واقعها. وفي هذا السياق، طُلب إلى المدارس والثانويات والمعاهد الخاصة تقييم أوضاعها الأمنية بصورة مستمرة، واعتماد النمط التعليمي الملائم، وذلك بعد التشاور مع الأهالي ومراعاة أوضاع الطلاب الذين يتعذر عليهم الحضور.

أما بالنسبة إلى المدارس والثانويات والمعاهد الرسمية، فاعتمدت الوزارة مقاربة مختلفة نظرًا إلى الظروف التي تمر بها هذه المؤسسات، إذ إنّ عددًا كبيرًا منها يُستخدم كمراكز إيواء. ولهذا تقرر اعتماد التعليم عن بُعد كمرحلةٍ أولى، على أن تُتابع التطورات الميدانية بشكلٍ يومي، مع إيلاء اهتمامٍ خاص للتلامذة الموجودين في مراكز الإيواء، لضمان استمرار ارتباطهم بالتعلّم وتأمين الدعم التربوي والنفسي المناسب لهم خلال هذه المرحلة.

وفي هذا الإطار، شرحت مستشارة وزيرة التربية ومنسّقة برنامج «الصندوق الائتماني التربوي» (TREF) من قبل منظمة UNICEF، الدكتورة جورجيا الهاشم، أبرز محاور الخطة والإجراءات العملية التي اعتُمدت لضمان استمرارية التعليم خلال فترة الطوارئ.

آلية مرنة

تشير الهاشم إلى أنّه كان من الضروري وضع خطة وطنية تضمن استمرارية التعليم، وتمنع انقطاع الطلاب عن التعلّم، وتحافظ في الوقت نفسه على سلامتهم وسلامة أفراد الهيئة التعليمية.

وأوضحت أنّ الوزارة أعدّت الخطة بالتنسيق مع الإدارات التربوية المعنية، والمناطق التربوية، وإدارات المدارس الرسمية، والمركز التربوي للبحوث والإنماء، إلى جانب الشركاء الدوليين والجهات الداعمة، ولا سيما منظمة UNICEF. كما جرى التعاون مع البلديات والجهات المحلية عند الحاجة، خصوصًا في ما يتعلق بمراكز الإيواء وتحديد أوضاع المدارس ميدانيًا.

وفي ما يتعلق بالموازنة بين أولوية التعليم والسلامة العامة، شدّدت الهاشم على أنّ الوزارة انطلقت من مبدأ أساسي مفاده أنّه «لا تعليم من دون سلامة»، ولذلك لم تعتمد مقاربة موحّدة لجميع المناطق،

بل اعتمدت آلية مرنة تراعي مستوى المخاطر في كل منطقة، ووضع كل مدرسة، ومدى قدرة التلامذة والأساتذة على الوصول الآمن، إضافةً إلى توافر وسائل التعليم عن بُعد. وبناءً على ذلك، يُعتمد التعليم الحضوري في المناطق الآمنة نسبيًا، فيما يُلجأ إلى التعليم عن بُعد أو التعليم المدمج في المناطق غير المستقرة.

وقد حرصت الوزارة على أن يكون الهدف الأساسي من هذه الخطة ضمان حق كل طالب في التعلّم رغم ظروف الحرب، ومنع تحوّل الأزمة الأمنية إلى أزمة تربوية طويلة الأمد. كما هدفت إلى الحفاظ على ارتباط التلامذة بمدارسهم، ودعم طلاب الشهادات الرسمية، إضافةً إلى الحد من التسرّب، وتوفير حلول تعليمية مرنة.

الشق التنفيذي

في ما يتعلّق بالشق التنفيذي للخطة، في ظل تفاوت الأوضاع بين المناطق، أوضحت الهاشم أنّ الخطة تُرجمت عمليًا من خلال تصنيف المدارس والمناطق وفق وضعها الأمني والتشغيلي. ولهذه الغاية، عملت الوزارة على جمع بياناتٍ دقيقة من المدارس المتأثرة بالحرب، تشمل أعداد التلامذة، وأماكن وجودهم، وأوضاع أفراد الهيئة التعليمية، ومدى توافر الأجهزة وخدمات الإنترنت، بهدف بناء القرار على معطيات دقيقة وليس على افتراضاتٍ عامة.

ولفتت إلى أنّ المعايير التي حدّدت اعتماد التعليم الحضوري أو التعليم عن بُعد أو التعليم المدمج، ارتبطت بعددٍ من العوامل الأساسية، أبرزها مستوى الأمان في المنطقة وإمكانية الوصول إلى المدرسة، ووضع المبنى المدرسي، وما إذا كانت المؤسسة تُستخدم كمركز إيواء، إضافةً إلى توافر المعلّمين، وأعداد التلامذة الموجودين داخل المنطقة أو خارجها، ومدى توافر الإنترنت والأجهزة الإلكترونية. لذلك، فالقرار يتكيّف مع الواقع المحلي لكل مدرسة.

أما بالنسبة إلى المدارس التي تحوّلت إلى مراكز إيواء ولم تعد قادرة على العمل بالشكل المعتاد، فأوضحت أنّ الوزارة سعت إلى تأمين بدائل تعليمية لتلامذتها، مثل تحويلهم إلى مبانٍ قريبة آمنة، أو ربطهم بمنصات التعليم عن بُعد، أو الاستفادة من مراكز الدعم والتعلّم حيث أمكن. كما جرى التنسيق مع الإدارات المدرسية والجهات المعنية لضمان عدم انقطاع التلامذة عن العملية التعليمية والحفاظ على ارتباطهم بمدارسهم.

إدارة الأزمة التعليمية

وحول إدارة ملف التلامذة النازحين خارج مراكز الإيواء، والآلية التي اعتُمدت لمعرفة أماكن وجودهم، أوضحت الهاشم أنّ القسم الأكبر من التلامذة النازحين، والذي يُقدَّر بنحو 80 في المئة، لا يقيم داخل مراكز الإيواء، بل لدى أقاربهم أو في منازل مستأجرة أو في مناطق أكثر أماناً. لذلك اعتمدت الوزارة آلية متابعة مباشرة بالتنسيق مع المدارس والإدارات التربوية، بهدف رصد أوضاع التلامذة والأساتذة، وتحديد أماكن وجودهم، ومعرفة مدى قدرتهم على متابعة تعليمهم. هذه البيانات سمحت بفهم الواقع بشكلٍ أفضل وتوجيه الدعم حيث الحاجة أكبر.

وبناءً على هذه المعطيات، اتخذت الوزارة إجراءات هدفت إلى الحد من التسرّب، عبر إبقاء الطلاب على تواصل مع مدارسهم من خلال التعليم الحضوري حيث أمكن، أو التعليم عن بُعد، إضافة إلى توفير الدعم الأكاديمي عبر مراكز الـ teaching and learning hubs ومتابعة طلاب الشهادات الرسمية بشكلٍ خاص. كما أبقت على التواصل المستمر مع إدارات المدارس لتحديد الطلاب المنقطعين أو المعرّضين لخطر التسرّب، والعمل على إعادتهم إلى مسار التعلّم. وكان التنسيق يتم بشكلٍ يومي تقريبًا عبر المناطق التربوية، ومديري المدارس، والفرق المركزية في الوزارة، ومن خلال أدوات رقمية لجمع البيانات والمتابعة. فالإدارات المدرسية هي حلقة أساسية لأنها الأقرب إلى الطلاب والأهالي، وهي التي تزوّد الوزارة المعطيات الميدانية حول الحضور، والتعليم عن بُعد، والاحتياجات والتحديات.

التعليم عن بُعد

شكّلت المنصات الرقمية عنصرًا أساسيًا في الخطة التربوية. فقد ساعدت منصة Microsoft Teams في تنظيم الصفوف الافتراضية، والتواصل بين المعلّمين والطلاب، ومتابعة الدروس. كما تمّ الاعتماد على الموارد الرقمية المتاحة، ولا سيما منصة «مدرستي»، لدعم العملية التعليمية، خصوصًا في المناطق التي تعذّر فيها التعليم الحضوري بشكلٍ منتظم.

من الناحية التقنية، أوضحت الهاشم أن الوزارة عملت على دعم إنشاء الحسابات الرقمية للمعلّمين والطلاب، وتقديم الإرشادات اللازمة لاستخدام المنصات، إضافة إلى متابعة المدارس التي تواجه صعوبات تقنية، بالتنسيق مع الشركاء الداعمين.

إلا أنّ التعليم الإلكتروني واجه عدّة تحديات، أبرزها ضعف الإنترنت في بعض المناطق، وعدم امتلاك جميع الطلاب أجهزة مناسبة، فضلًا عن تفاوت المهارات الرقمية بين الطلاب والمعلّمين، وصعوبة الحفاظ على تفاعل الطلاب عن بُعد لفترات طويلة. لذلك لم تعتبر

> "أظهرت التجربة الأخيرة ضرورة أن يكون النظام التربوي مرنًا وقادرًا على الاستجابة للأزمات، كما أثبتت أن البيانات الدقيقة، والتحول الرقمي، وتمكين المدارس، والتنسيق مع الشركاء، عناصر أساسية لاستمرارية التعليم في أي ظرف طارئ."

الوزارة التعليم عن بُعد حلًا وحيدًا، بل جزءًا من منظومة مرنة تشمل التعليم الحضوري والمدمج والدعم المباشر.

أما بالنسبة إلى الطلاب الذين يفتقرون إلى الأجهزة أو الاتصال المناسب، فقد عملت الوزارة على توفير بدائل مثل التعليم الحضوري في المدارس الآمنة، ونقل الطلاب إلى مدارس قريبة عند الإمكان، والاستفادة من مراكز الدعم والتعلّم، وخدمات الدعم الهاتفي مثل Call & Learn لطلاب الصف الثالث الثانوي.

الدعم النفسي والاجتماعي

أخذت الخطة في الاعتبار أن الحرب لا تؤثر فقط على التحصيل الأكاديمي، بل أيضًا على الحالة النفسية والشعور بالأمان والانتماء. لذلك، تم دمج الدعم النفسي والاجتماعي ضمن مقاربة استمرارية التعليم، من خلال متابعة الطلاب، ودعم المدارس، والتنسيق مع الجهات المختصة لتوفير الإرشاد والدعم عند الحاجة.

وبحسب الهاشم، أدى الإرشاد التربوي دورًا أساسيًا في مساعدة الطلاب على التعامل مع القلق والخوف، والنزوح، وفقدان الاستقرار، وصعوبة التركيز. كما ساعد المدارس على رصد الحالات التي تحتاج إلى متابعة، ودعم المعلّمين في التعامل مع الطلاب بأسلوبٍ يراعي ظروفهم النفسية والاجتماعية.

التقييم والنتائج

وعن تقييم الوزارة للخطة، اعتبرت الهاشم أنّها نجحت في إبقاء التعليم مستمرًا رغم الظروف الصعبة، ومنعت الانقطاع الكامل عن التعليم في العديد من المناطق، مؤكدةً أنّ النجاح لا يُقاس فقط بعدد الأيام الدراسية، بل بقدرة النظام التربوي على التكيّف، واتخاذ قرارات مرنة، والحفاظ على التواصل مع الطلاب.

وأضافت أنّ أبرز نقاط القوة تمثّلت في مرونة الخطة، وقدرة المدارس على التكيّف، وتعاون الإدارات المدرسية، إلى جانب استخدام البيانات لاتخاذ القرار، وتفعيل أكثر من نمط تعليمي. كما أظهرت الأزمة أهمية التحول الرقمي والدور المجتمعي الذي تؤديه المدرسة إلى جانب دورها التعليمي.

أمّا أبرز الثغرات فتتعلق بتفاوت الوصول إلى الإنترنت والأجهزة الإلكترونية، وصعوبة متابعة جميع الطلاب النازحين، والحاجة إلى دعم إضافي للمعلّمين والطلاب. وأشارت إلى أنّ الوزارة تعمل على معالجة هذه الثغرات من خلال تحسين البيانات، وتوسيع الدعم، وتعزيز التنسيق مع الشركاء.

المستقبل والتطوير

أكّدت الهاشم أنّ التجربة الأخيرة أظهرت ضرورة أن يكون النظام التربوي مرناً وقادراً على الاستجابة للأزمات. كما أثبتت أن البيانات الدقيقة، والتحول الرقمي، وتمكين المدارس، والتنسيق مع الشركاء، عناصر أساسية لاستمرارية التعليم في أي ظرف طارئ.

وأشارت إلى أن ما يجري العمل عليه اليوم لا يقتصر على معالجة ظرف طارئ، بل يشكّل خطوة نحو نظام تعليمي أكثر قدرة على الصمود، يجمع بين التعليم الحضوري والرقمي، ويستند إلى خطط طوارئ واضحة ومنصات تعليمية أكثر فاعلية.

وفي الختام، وجّهت الهاشم رسالة إلى الطلاب والأهالي أكدت فيها أنّ الوزارة تدرك حجم القلق والصعوبات التي يمرّون بها، وتعمل بكل إمكاناتها لضمان استمرار التعليم وحماية حق الطلاب في المستقبل. ودعت الطلاب إلى التمسّك بالأمل، والأهالي إلى مواصلة التعاون مع المدارس، معتبرةً أنّ التعليم في هذه المرحلة يشكّل عامل صمودٍ واستقرارٍ وحمايةٍ لأبنائنا.

Unfiltered.
Unbreakable.
Lebanese.

اقتصاد العالم وأمنه على المشرحة الأميركية – الصينية

جورج علم – كاتب ومحلل سياسي

إنّه الرئيس دونالد ترامب. قائد "أميركا أولاً"، ومالىء الدنيا وشاغل الناس، وحامل "مفاتيح السلام" في العالم. لكنّه لم يبلغ جائزة "نوبل" بعد... لقد ذهب نحو أوكرانيا ليُنهي معاناتها، في غضون يومٍ أو يومين، لكنّ ظنّه خاب. كانت طموحات صديقه اللدود فلاديمير بوتين عالية السقف.

توجّه ناحية كندا ليضمّها ويضيف نجمة إلى نجوم العلم الأميركي، لكنّ الموانع تغلّبت على الدوافع.

تحدّث عن بنما وممرّها المائي الاستراتيجي، إلّا أنّ الممر حافظ على سكينته، ولم يحرّك الضجيج من حوله، سطح مياهه الهادئة.

رمى شباكه حول جزيرة غرينلاند القطبية، لكنّ سمك القرش بقي طليقًا، ينعم بهدوءٍ آمنٍ تحت طبقات الجليد. ألقى القبض على رئيس فنزويلا نيكولاس مادورو، واقتاده مخفوراً إلى نيويورك، لكنّه خالف القانون الدولي ولم يتلقّ رسالة تهنئة من أي مرجعيّة وازنة.

دفع ببوارجه وحاملات طائراته إلى الشرق الأوسط، وكان عصفٌ وقصف، وبرقٌ ورعد، لكنّ الطموحات الكبرى بقيت عالقة عند مضيق هرمز، حصارٌ يقابله حصار، وشرايين اقتصادية عالمية يضربها الجفاف بعدما توقفت حركة الناقلات ونضبت سبل الإمدادات.

حطّ رحاله في بكين، بعد تأخيرٍ فاض عن الشهر. رفع قبضته عالياً وهو على سلّم الطائرة. وقبل أن تطأ قدمه أرض المطار، استيقظ التنين من سباته العميق، واهتزّ سور الصين العظيم، وانعكست تردّداته على خبايا التاريخ، فقلّب أوراقها، وخرج من القمقم «فخ ثوسيديدس» الذي فاجأ به الرئيس شي جينبينغ ضيفه محذّراً «من خطر اندلاع صراع بين قوّة صاعدة، وأخرى مهيمنة».

”كان الرئيس الصيني قد وعد نظيره الأميركي بأنّ الأسواق الصينية ستكون أكثر انفتاحًا على التجارة الأميركية في المستقبل، لكنّه حذّر من أنّ الخلاف بشأن تايوان قد يدفع العلاقات بين البلدين إلى مسارٍ خطير، وحتى إلى صراعٍ بينهما، وفق تصريحاتٍ نشرتها وسائل الإعلام الصينية الرسمية بعد وقتٍ قصير على بدء المحادثات.“

فمن هو ثوسيديدس، وما هو فخّه؟

«فخ ثوسيديدس»، مصطلح مستوحى من الحروب الإغريقية القديمة، صاغه الباحث الأميركي غراهام أليسون، ويقوم على فكرة مرعبة في جوهرها حين تشعر قوة مهيمنة بأنّ صعود قوة جديدة يهدد مكانتها، ويتحوّل الخوف تدريجيًا إلى محركٍ يدفع الطرفين نحو مواجهة عسكرية، تكاد تبدو حتمية.

وتشير دراسات من جامعة هارفارد إلى أنّ التاريخ شهد منذ العام 1500 أكثر من 16 حالة مشابهة لصراع بين قوة صاعدة وأخرى مهيمنة، انتهت 12 منها بحروبٍ مدمّرة غيّرت وجه العالم.

وثوسيديدس مؤرخ إغريقي شهير، عاش في الفترة من 460 إلى 395 قبل الميلاد. وهو صاحب كتاب «تاريخ الحرب البيلوبونيسية»، ويعدّ أول المؤرخين الإغريق الذين أعطوا للعوامل الاقتصادية والاجتماعية أهمية خاصة.

ويعتبره مجتمع العلوم السياسية أبًا من آباء مجال العلاقات الدولية لما كتبه من تشريحٍ للعلاقات بين أثينا وأسبارطة أثناء الحرب بينهما، وملامح فلسفته الواقعية في تناول الصراعات بين القوى والدول، إذ يراها منظّرو العلاقات الدولية حاليًا نواةً للمدرسة الواقعية في العلاقات الدولية، والأكبر حتى يومنا هذا.

جزيرة تايوان

خلال القمة بين الرئيسين شي جينبينغ ودونالد ترامب، التي استمرّت ساعتين، تساءل الرئيس الصيني أمام نظيره الأميركي: «هل تستطيع الصين والولايات المتحدة تجاوز فخ ثوسيديدس، وصناعة نموذجٍ جديد للعلاقات بين القوى الكبرى؟!».

لم يكن السؤال الذي طرحه الرئيس الصيني فلسفيًا أو نظريًا، بل أراد به رسم واقعٍ جدّي. فالصين هي القوة الصاعدة، ورئيسها يحذّر من أنّ أي تعاملٍ خاطئ مع ملف تايوان قد يدفع العلاقات بين بكين وواشنطن إلى «وضع خطير للغاية»، فقد باتت الجزيرة تمثّل أخطر نقطة اشتباك محتملة بين القوتين العظميين.

بدا ترامب وكأنه يرفض الدخول تمامًا إلى هذه المنطقة الرمادية والفلسفية التي يتحدث عنها الصينيون. وواجه التحذير الصيني بلغة رجل الأعمال الذي يعيد صياغة التوتر على شكل فرصة. وأشاد بالاستقبال «الذي لا يحظى به إلا القليل»، مؤكدًا «أنّ المستقبل أفضل، في محاولةٍ لتثبيت إيقاعٍ مختلف فوق طبقة القلق الاستراتيجي». وخلال لقاءٍ مع الصحفيين في طريق عودته إلى الولايات المتّحدة، قال ترامب «إنّ شي أبلغه بمعارضته لاستقلال تايوان». أضاف: «استمعت إليه. لم أُدلِ بأي تعليق. ولم ألتزم أي موقف». كما أشار إلى أنّه سيُصدر في الوقت

المناسب قراراً بشأن صفقة بيع أسلحة مقاتلة لتايوان بعد التحدث إلى «الشخص الذي يدير تايوان حالياً».

وكانت هذه أولى تصريحاتٍ عفوية بعد يومين قضاهما ترامب في بكين، حيث قلّت تصريحاته بنحوٍ ملحوظ على غير المعتاد، وركّزت تعليقاته بشكلٍ أساسي على الإشادة بحفاوة شي جينبينغ ومكانته. وحذّر ترامب تايوان «من أنّ أي خطوةٍ باتجاه إعلان الاستقلال، ستكون مرفوضة ومدانة». وذلك في مقابلةٍ تلفزيونية تمّ تسجيلها قبل مغادرته بكين.

ووفق مقتطفاتٍ من المقابلة مع شبكة «فوكس نيوز»، قال ترامب: «لا أريد أن يعلن أحد الاستقلال». مضيفًا: «لا أريد أن يقول أحد دعونا نعلن الاستقلال لأنّ الولايات المتحدة تدعمنا». وأشار إلى أنّه لم يتّخذ قراراً بعد بشأن بيع الأسلحة للجزيرة.

وكان الرئيس الصيني قد وعد نظيره الأميركي «بأنّ الأسواق الصينية ستكون أكثر انفتاحًا على التجارة الأميركية والعلمية في المستقبل». لكنّه حذّر «من أنّ الخلاف بشأن تايوان قد يدفع العلاقات بين البلدين إلى مسارٍ خطير، وحتى إلى صراعٍ بينهما»، وفق تصريحاتٍ نشرتها وسائل الإعلام الصينية الرسمية بعد وقتٍ قصير على بدء المحادثات.

تنتظر صفقة بيع أسلحة لتايوان بقيمة 14 مليار دولار موافقة الرئيس الأميركي عليها. وبينما تعترف الولايات المتحدة بـ «بكين» فقط، فهي ملزمة بموجب قانون داخلي بتزويد تايوان بالأسلحة لتمكينها من الدفاع عن نفسها.

ويقول مارك لانتين، المتخصّص في الشؤون الصينية في جامعة القطب الشمالي في النروج لـ «فرانس 24»: «بكين غير راضية عن شحنات السلاح الأميركية إلى تايوان وتريد الحدّ منها، أو حتى الحصول على حق النقض (الفيتو) إن أمكن».

وأضاف: «إذا انتهت القمّة بتخلّي واشنطن عن موقفها التقليدي القائل بأنّ الولايات المتحدة لا تدعم استقلال تايوان، واستبدلته بعبارة «ضده»، أي معارضة استقلال تايوان، فسيكون «شي» قد ذهب إلى أقصى مدى في المساومة، وحقّق النصر».

من جهتها قالت تايوان: «إنّه لا يوجد شيءٌ مفاجئ في القمة». وأضافت: «إنّ الضغط العسكري الصيني هو التهديد الحقيقي للسلام».

لا إنجازات... ولا مساعدات

غادر الرئيس ترامب الصين من دون تحقيق إنجازاتٍ كبيرة في مجال التجارة، أو الحصول على مساعداتٍ ملموسة من بكين لإنهاء الحرب مع إيران، على الرغم من قضائه يومين غلبت عليهما الإشادة بمضيفه الرئيس شي جينبينغ.

كانت الزيارة إلى الصين (المنافس الاستراتيجي والاقتصادي الرئيسي للولايات المتّحدة) هي الأولى لرئيسٍ أميركي منذ زيارته السابقة في العام 2017. وكانت تهدف إلى تحقيق نتائج ملموسة لتعزيز معدّلات تأييده قبل انتخابات التجديد النصفي في الكونغرس. وبينما سعى ترامب إلى تحقيق مكاسب تجارية فورية مثل صفقة لبيع طائرات بوينغ، تحدّث شي عن إعادة ضبط طويلة الأمد للحفاظ على علاقاتٍ مستقرة مع واشنطن، ما سلّط الضوء على اختلاف أولوياتهما. روّج شي لمصطلحٍ جديد لوصف العلاقة بين البلدين، وهو «الاستقرار الاستراتيجي البنّاء»، في تحولٍ جذري عن مصطلح «المنافسة الاستراتيجية» الذي استخدمه الرئيس الأميركي السابق جو بايدن، والذي لم يلقَ استحسان بكين.

وأوردت شبكة «سي. أن. أن» الأميركية بأنّ ترامب غادر بكين من دون التوصّل إلى حلٍ رسمي لمشكلة إمدادات العناصر الأرضية النادرة التي أثّرت سلبًا على العلاقات منذ أن فرضت الصين قيوداً على تصدير هذه المعادن الحيوية، ردًا على الرسوم الجمركية التي فرضها ترامب في نيسان 2025.

وكان ترامب قد أعلن بأنّه أبرم العديد من الاتفاقيات التجارية مع الصين برفقة مجموعةٍ من الملياردیرات البارزين. إلّا أنّ «سي. أن. أن» قالت بأنّ تفاصيل تلك الصفقات كانت غامضة ما يشير إلى تحوّلٍ محتمل في موازين القوى بين أكبر اقتصادين في العالم منذ زيارة ترامب السابقة قبل نحو 9 سنوات. وأضافت: «انتقد المستثمرون غياب التفاصيل، فباعوا الأسهم، وانخفضت العقود الآجلة لمؤشر «داو جونز» أكثر من 300 نقطة، أي بنسبة 0.6 بالمئة. كما تراجعت العقود الآجلة لمؤشر «ستاندرد أند بورز» 500 نقطة بنسبة 1 بالمئة. وانخفضت العقود الآجلة لمؤشر «ناسداك» بنسبة 1.4 بالمئة.

ووفق الشبكة الأميركية، كان المحلّلون يتوقّعون انخفاضًا في التوقّعات بشأن صفقاتٍ مهمة نظرًا للحالة المتردّية للعلاقات الأميركية - الصينية، ومع ذلك فإنّ غياب اتفاقيات جوهرية حاسمة يتناقض بشكلٍ صريح مع زيارة ترامب السابقة في العام 2017.

17 مسؤولاً تنفيذيًا فقط!

وأشارت الشبكة نفسها إلى أنّه، قبل تسع سنوات، اصطحب ترامب معه 30 مسؤولاً تنفيذيًا أميركيًا. وأعلنت وزارة التجارة عن 37 صفقة، بلغ مجموعها أكثر من 250 مليار دولارٍ أميركي، قبل أن يغادر الرئيس الأميركي بكين، بما في ذلك تعهّد من الصين بشراء 300 طائرة بوينغ، لكن لم يتم الوفاء به.

وأوضحت أنّه في هذه المرة رافقه 17 مسؤولاً تنفيذيًا، معظمهم من شركات التكنولوجيا والمالية، بما في ذلك الرئيس التنفيذي لشركة «أنفيديا» جينسن هوانغ، والرئيس التنفيذي لشركة «أبل» تيم كوك، والرئيس التنفيذي لشركة «تسلا» إيلون ماسك. وقالت: «يواجه المسؤولون التنفيذيون الذين سافروا إلى بكين بحثاً عن مداخل إلى السوق الصينية، مهمة بيع أصعب بكثيرٍ الآن، بسبب نجاح الصين في رعاية الشركات المحلية وتطويرها كجزءٍ من مسعى وطني لتعزيز الاكتفاء الذاتي في مجالات التكنولوجيا والتصنيع والاستهلاك المحلي. وقد تلقّى هذا المسعى صفعةً قوية من الحرب التجارية التي شنّتها إدارة ترامب الأولى.»

مجلس استثماري وآخر تجاري

في غياب أيّ إعلانات عن استثمارات أميركية في الصين، صرّح وزير الخزانة الأميركي سكوت بيسنت «بأنّ البلدين ناقشا إنشاء مجلس استثماري للاستثمارات الصينية في القطاعات غير الحسّاسة في الولايات المتّحدة». وأضاف: «هناك أيضًا حديث عن إنشاء مجلسٍ تجاري من شأنه تسهيل إلغاء بعض الرسوم الجمركية على سلعٍ بقيمة 30 مليار دولارٍ تقريبًا». لكنّ الرئيس ترامب قال «بأنّ موضوع الرسوم الجمركية لم يُطرح حتى خلال مفاوضاته مع شي». وقال محلّلون: «إنّ البلدين قد يُبرمان المزيد من الصفقات في الأسابيع المقبلة، بما في ذلك صفقات تتعلّق بالصادرات الزراعية والطاقة الأميركية».

وختمت الشبكة بالقول: «تشير المعطيات إلى أنّ الاقتصاد الصيني يحتاج إلى الولايات المتّحدة بشكلٍ أقل من ذي قبل، ويبدو أنّ ذلك يشمل أكبر شركاتها أيضًا».

إيران.. ومضيق هرمز

أشار ملخّص أميركي لمحادثات الزعيمين إلى ما وصفه البيت الأبيض بـ «الرغبة المشتركة» في إعادة فتح مضيق هرمز، واهتمام الرئيس الصيني بشراء النفط الأميركي لتقليص اعتماده على الشرق الأوسط. إلا أنّ بكين لم تؤكد مثل هذا التوجّه، بل أبدت اهتمامًا بضرورة فتح مضيق هرمز الذي يضخّ إلى مصانعها ما يزيد عن 40 بالمئة من احتياجاتها النفطية.

وقبل اجتماع الرئيسين لاحتساء الشاي في اليوم الأخير للزيارة، أصدرت الخارجية الصينية بياناً صريحًا أوضحت فيه إحباطها من الحرب، وقالت الوزارة: «هذا الصراع الذي ما كان ينبغي أن يحدث مطلقًا لا يوجد سبب لاستمراره»، مضيفةً: «إنّ الصين تدعم الجهود الرامية للتوصّل إلى اتفاق لإنهاء حربٍ أثّرت بشدة على إمدادات الطاقة والاقتصاد العالمي».

وفي حديقة «تشونغنانهاي»، أكّد ترامب «أنّه بحث مع «شي» الملف الإيراني، ووجدا أنّ وجهتي نظرهما متشابهتان جدًا». لكنّ الرئيس الصيني لم يعلّق بهذا الشأن.

وفي حين قال ترامب خلال رحلة العودة «إنّه لم يطلب أي خدمات في ما يتعلق بإيران»، حثّ وزير الخزانة الأميركية «سكوت بيسنت» بكين على استخدام نفوذها لدى طهران للتوصّل إلى اتفاق. إلّا أنّ محلّلين شكّكوا في استعداد الرئيس الصيني للضغط بشدة على طهران، أو إنهاء الدعم لجيشها، نظرًا لأهمية إيران بالنسبة إلى «بكين» باعتبارها ثقلًا استراتيجيًا موازناً أمام الولايات المتحدة.

أسهُم بوينغ

في إشارة أخرى إلى الضبابية التي غطّت نتائج القمة، لم يذكر بيان ترامب الإصلاحات الهيكلية الواسعة التي ضغط الرؤساء السابقون على الرئيس الصيني بشأنها. وعلى عكس رحلته السابقة في العام 2017، أوضح البيان أنّ ترامب لم يناقش مع شي «الإصلاحات الهيكلية»، أو «الحوكمة الاقتصادية العالمية»، أو «نظام التجارة الدولية». حتى الصفقة التي روّج لها باعتبارها أهم إنجاز من الاجتماعات، لم تحقّق النتائج المرجوّة. فقد انخفض سهم بوينغ 4 بالمئة، بعد تصريح ترامب بأنّ الصين ستشتري 200 طائرة بوينغ، وهو عدد أقل بكثير من العدد الذي ذكرته مصادر لوكالة «رويترز»، والذي بلغ نحو 500 طائرة. ويقول الصينيون: «ربما قد تصل الطلبية إلى 750 طائرة، إذا قام الأميركيون بعملٍ جيد حول تايوان، ومضيق هرمز!».

وقال مسؤولون أميركيون إنّ الطرفين اتفقا أيضًا على صفقات لبيع المنتجات الزراعية، مع إحراز تقدّم في إنشاء آليات لإدارة التجارة مستقبلًا. ولم تتوافر تفاصيل كثيرة عن الصفقات. ولم تظهر أيّ مؤشرات حول تحقيق تقدم بشأن بيع رقائق الذكاء الاصطناعي المتطوّرة «إتش 200» من شركة «أنفيديا» إلى الصين، على الرغم من انضمام الرئيس التنفيذي للشركة جينسن هوانغ إلى الزيارة في اللحظة الأخيرة.

حجر الزاوية للاقتصاد العالمي

تشير الأرقام إلى أنّ العلاقة التجارية بين البلدين تشكّل حجر الزاوية في الاقتصاد العالمي. واستنادًا إلى بيانات البنك الدولي، بلغ الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة 28.75 تريليون دولار، والصين نحو 18.74 تريليون دولار، مقابل اقتصادٍ عالمي حجمه نحو 110.98 تريليون دولار، ما يعني أنّ البلدين يمثلان 42.8 بالمئة من الاقتصاد العالمي.

وتصف منظّمة مؤتمر الأمم المتّحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد) تدفقات السلع بين الصين والولايات المتّحدة بأنّها من أكبر التدفقات الثنائية في تجارة البضائع عالميًا. ففي العام 2024، استوردت الولايات المتّحدة من الصين 463 مليار دولار، بينما استوردت الصين من الولايات المتحدة 165 مليار دولار، وفق أرقام المنظّمة.

وأشارت بيانات منظّمة التجارة العالمية إلى أنّ واردات السلع الأميركية بلغت 3.12 تريليونات دولار في العام 2024، واستحوذت الصين منها على 13.4 بالمئة، وفي المقابل استوعبت الصين 7 بالمئة من صادرات السلع الأميركية. واستنادًا إلى مكتب التمثيل التجاري، بلغ إجمالي تجارة السلع بين الولايات المتّحدة والصين 414.7 مليار دولار في العام 2025، منها 106.3 مليارات دولار صادرات أميركية إلى الصين، و308.4 مليارات دولار واردات أميركية من الصين. وتظهر بيانات مكتب الإحصاء الأميركي أنّ تجارة السلع الثنائية تراجعت من 690.3 مليار دولار في 2022، إلى 574.9 مليار دولار في 2023؛ أي أنّ هذه التجارة تقلّصت ولكنّها بقيت بمئات المليارات.

وبحسب مكتب الممثل التجاري الأميركي، قُدّرت تجارة السلع بين البلدين في 2024 (آخر عام كامل متاح للسلع والخدمات) بـ 658.9 مليار دولار، وشملت 76.9 مليار دولار تجارة خدمات، مع فائض خدمات لأميركا قدره 33.2 مليار دولار. وتظهر بيانات الجمارك الصينية أنّ تجارة

”تشير الأرقام إلى أنّ العلاقة التجارية بين الولايات المتحدة والصين تشكّل حجر الزاوية في الاقتصاد العالمي. وتصف منظّمة مؤتمر الأمم المتّحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد) تدفقات السلع بين البلدين بأنّها من أكبر التدفقات الثنائية في تجارة البضائع عالميًا.“

السلع مع الولايات المتّحدة بلغت 559.8 مليار دولار في العام 2025، منها 420.1 مليار دولار صادرات صينية إلى الولايات المتّحدة، و139.7 مليار دولار واردات صينية من الولايات المتحدة. ويعود اختلاف الأرقام بين المصادر الأميركية والصينية عادةً إلى فروق منهجية في الإحصاء مثل بلد المنشأ، وتوقيت التسجيل، وقيمة الصادرات مقابل الواردات.

ماذا تبيع الصين إلى أميركا

بلغت واردات الولايات المتّحدة من السلع الإلكترونية الصينية 140.5 مليار دولار في 2024، لتستحوذ الصين على 20.9 بالمئة من إجمالي واردات أميركا من هذا القطاع. وصدّرت الصين إلى الولايات المتحدة في العام 2024 آلات ومفاعلات، ومراجل، ومعدات ميكانيكية بنحو 92.5 مليار دولار، ما يجعل العلاقة مرتبطة بمداخيل إنتاج ومعدات وسطية، لا بسلعٍ استهلاكية فقط.

وشملت صادرات الصين إلى الولايات المتّحدة في العام 2024 أثاثاً، ومصابيح، ومباني مسبقة الصنع بنحو 31.7 مليار دولار، وألعابًا، ومعدات رياضية بنحو 26.9 مليار دولار، ومعدات بلاستيكية بقيمة 23.7 مليار دولار. كما بلغت صادرات الصين إلى الولايات المتّحدة من البطاريات الكهربائية قرابة 16.4 مليار دولار في 2024، ما يربط التبادل التجاري بسلاسل السيارات الكهربائية وتخزين الطاقة.

ماذا تبيع أميركا للصين

وفق مكتب التمثيل التجاري، بلغت صادرات السلع الأميركية إلى الصين نحو 143.2 مليار دولار في العام 2024، قبل أن تهبط إلى 106.3 مليار دولار في 2025. وتصدّر غاز البترول وفول الصويا قائمة الصادرات الأميركية إلى الصين في 2024، بقيمة تقارب 13.5 مليار دولار للصنف الأول، و12.5 مليار دولار للثاني.

ووفق بيانات الأمم المتّحدة ومنظّمة التجارة العالمية، صدّرت الولايات المتّحدة إلى الصين رقائق بـ 9.7 مليار دولار في العام 2024. وشملت الصادرات الأميركية إلى الصين في العام 2024 آلات، ومعدات، وطائرات، وأجزاءها، وأجهزة بصرية وطبية وتقنية، وهي قطاعات عالية القيمة تجعل الخلافات الاقتصادية بين البلدين مؤثرًا في الشركات الصناعية الكبرى.

العجز التجاري الأميركي

بلغ العجز التجاري السلعي الأميركي مع الصين 202.1 مليار دولار في العام 2025، بعدما كانت الواردات الأميركية من الصين بحدود 382.3 مليار دولار في العام 2022. ثم انتقل إلى 279.6 مليار في العام 2023، و295.5 مليار في العام 2024.

والعجز التجاري مع دول العالم، لا سيما الصين، حاضر بقوة في الخطاب السياسي للرئيس ترامب، إذ يُشار إليه في واشنطن باعتباره مقياسًا لاستحداث الوظائف في الاقتصاد الأميركي، وهو السبب الرئيس الواضح وراء فرض واشنطن لسلسلة من الرسوم الجمركية منذ بدء الولاية الثانية للرئيس ترامب.

الاستثمار من الانفتاح إلى الانتقاء

وفق وزارة التجارة الأميركية، بلغ رصيد الاستثمار الأجنبي المباشر الصيني في الولايات المتّحدة 40 مليار دولار في 2024، منخفضًا من 52.7 مليار دولار في 2020، ما يعني أنّه تراجع 24 بالمئة في 4 سنوات. وبلغ رصيد الاستثمار الأميركي المباشر في الصين 122.9 مليار دولار في العام 2024، مقارنةً بنحو 116.5 مليار دولار في العام 2020، ما يشير إلى أنّ الشركات الأميركية صارت أكثر حذرًا.

وتفرض واشنطن قيودًا على استثمارات أميركية في الصين مرتبطة بالذكاء الاصطناعي، والرقائق، والحوسبة الكمية، بينما تتعامل الصين مع قطاعات مثل البيانات، والمعادن، والتكنولوجيا باعتبارها ملفات أمن قومي، لذلك يتراجع الاستثمار من الجانبين في القطاعات الحسّاسة، ويتحوّل إلى قطاعات أقل تصادمًا.

لماذا يصعب فكّ الارتباط؟

تقدّر وكالة الطاقة الدولية، أنّ الطاقة العالمية لتصنيع خلايا البطاريات تجاوزت 3 تيراواط/ساعة في العام 2024، وأنّ نحو 85 بالمئة منها موجود في الصين، وأكثر من 75 بالمئة مملوك لشركات صينية. واستنادًا إلى وكالة الطاقة الدولية، استحوذت الصين في 2023 على نحو 65 بالمئة من تكرير الليثيوم عالميًا، ونحو 75 بالمئة من تكرير الكوبالت، وأكثر من 90 بالمئة من تكرير الغرافيت، وهذه مواد لا غنى عنها لإنتاج بطاريات السيارات الكهربائية وأنظمة التخزين.

وتؤكد وكالة الطاقة الدولية أنّ المعادن النادرة ضرورية لتقنيات الطاقة الحديثة، وللاقتصاد الأوسع، وأنّ تقلّب أسعارها، واختناقات العرض، ومخاطر الجغرافيا السياسية، تجعل مراقبة سلاسلها قضية عالمية. وتفيد الوكالة أنّ الصين تبقى الموقع الأقل كلفة لإنتاج تقنيات مثل الألواح الشمسية، والبطاريات، وتوربينات الرياح، بينما ترتفع تكاليف التصنيع في الولايات المتّحدة بما يصل في المتوسط إلى 40 بالمئة مقارنة بالصين.

وتخطّت قيمة سوق 6 تقنيات نظيفة كبرى (الطاقة الشمسية، الرياح، السيارات الكهربائية، البطاريات، المحلّلات الكهربائية، والمضخّات الحرارية) 700 مليار دولار في 2023. وتتوقّع الوكالة أن تتجاوز القيمة 2 تريليون دولار بحلول العام 2035، لذلك يصبح التنافس الأميركي - الصيني على هذه السلاسل تنافسًا على سوق مستقبلية ضخمة.

وتشير وكالة الطاقة الدولية إلى أنّ نحو نصف التجارة البحرية في تقنيات الطاقة النظيفة يمرّ عبر مضيق «ملقا»، مقارنةً بنحو 20 بالمئة من تجارة الوقود الأحفوري التي تمر عبر مضيق هرمز، ما يعني أنّ اضطرابًا في آسيا لا يضرب الصين وأميركا فقط، بل يُربك طريقًا رئيسيًا لتحوّل الطاقة العالمي.

حرب الرقائق والمعادن

وأعلنت وزارة التجارة الأميركية في كانون الأول 2024 حزمة قيود تستهدف إضعاف قدرة الصين على إنتاج الرقائق المتقدّمة. وشملت 24 نوعًا من معدّات تصنيع أشباه الموصلات، وثلاثة أنواع من أدوات البرمجيات، وذواكر النطاق الترددي العالمي، مع إضافة 140 كياناً (شركة، أو منظمة، أو جمعية) إلى قائمة القيود.

وتقول واشنطن إنّ القيود على الشرائح المتقدّمة، والتصنيع المتقدّم، مرتبطة بمنع استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في تطبيقاتٍ عسكرية أو رقابية متقدّمة، ولذلك لم تعد الرقائق سلعة تجارية فقط، بل أصبحت أداة قوة.

وأعلنت وزارة التجارة الأميركية في أيار 2025، إلغاء قاعدة «انتشار الذكاء الاصطناعي» التي صدرت أواخر عهد الرئيس جو بايدن، لكنّها في الوقت نفسه شدّدت توجيهات الالتزام بالشرائح المتقدمة، وبخاصة في ما يتعلق بتحويلها إلى الصين، أو استخدامها في نماذج صينية.

في المقابل، أعلنت وزارة التجارة الصينية العام الماضي ضوابط تصدير على بعض المواد المرتبطة بالمعادن الأرضية النادرة، المتوسطة، والثقيلة، وألزمت المصدّرين بالحصول على تراخيص وفق قانون الرقابة على الصادرات، وقواعد السلع مزدوجة الاستخدام.

وكانت الصين قد فرضت ضوابط على الغرافيت المستخدم في البطاريات، وأكدت أنّ ضوابط الغاليوم (معدن في صناعة أشباه الموصلات)، والجرمانيوم (معدن يدخل في إنتاج الألياف البصرية) ليست حظرًا كاملًا، بل نظام تراخيص لأسباب تتعلّق بالأمن القومي، والالتزامات الدولية.

كيف يتأثر العالم؟

يحذّر صندوق النقد الدولي في تقريره «آفاق الاقتصاد العالمي» للعام الحالي 2026 من أنّ التوترات التجارية المتجدّدة، والتفتّت الجيو - سياسي، وارتفاع أسعار السلع قد تُضعف النمو الاقتصادي، وتضغط على التضخّم، والأوضاع المالية. في حين تُظهر منظمة مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، أنّ الولايات المتحدة والصين هما أكبر سوقين لتجارة الاقتصادات النامية.

ووفق المنظمة، استوعبت الولايات المتحدة 1.8 تريليون دولار، بينما حازت الصين على 1.9 تريليون دولار.

وتشير المنظمة الأممية إلى أنّه عندما تتراجع الواردات الأميركية في الصين، أو تتحوّل إلى دول أخرى، لا يتغيّر بلد المنشأ فقط، بل تتغيّر مسارات سفن الحاويات، وأسعار الشحن، وحجوزات الموانئ، ومواعيد المصانع في آسيا وأميركا اللاتينية، وأوروبا، الأمر الذي يزيد أهمية أي تهدئة جمركية، أو تصعيد تكنولوجي بين أكبر اقتصادين في العالم.

وضمن التشابك في العلاقات الاقتصادية بين البلدين ما يتعلّق بحجم حيازة بكين لسندات الدين الأميركي، فقد بلغت قيمة ما تملكه بكين من سندات الخزانة الأميركية في شباط 2026 نحو 693.3 مليار دولار مقارنة بـ 784.3 مليار دولار قبل عام.

في المحصلة، إن دلّت لغة الأرقام على شيء، إنما تدل على حاجة الدولتين، لا بل حاجة العالم بأسره إلى التعاون والانصراف نحو الحوار الإيجابي لمعالجة الأزمات المعقّدة، لأنّ سلام العالم، واستقراره الاقتصادي والاجتماعي، هو مسؤولية الدول المقتدرة، وفي الطليعة الولايات المتحدة والصين.

قضايا إقليمية

الكمّاشة الاستراتيجية

بين مضيقَي هرمز وباب المندب

إحسان مرتضى - كاتب وباحث

شكّل إقفال مضيق هرمز العقدة المعضلة الأبرز التي واجهت الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران. ومع تصاعد أزمة الطاقة العالمية بسبب إغلاق المضيق والحصار البحري، واستعار الحرب في جنوب لبنان، يبدو أنّ التقديرات التي وُضعت لعملية عسكرية سريعة وقاصمة، لم تتوافق مع واقع الحرب التي باتت تمتد من مضيق هرمز في الخليج حتى الحدود اللبنانية جنوبًا عند البحر المتوسط، وصولاً إلى باب المندب على البحر الأحمر، إثر إعلان جماعة أنصار الله الحوثيين، دخولهم العسكري المباشر فيها.

ولهذا الموقف دلالات بارزة إذ إنّ أنصار الله في اليمن كانوا قد أقفلوا سابقًا بشكلٍ شبه تام مضيق باب المندب أمام السفن التي اعتبروها مرتبطة بـ «إسرائيل» والولايات المتحدة الأميركية على مدى سنتين من الحرب على غزة منذ تشرين الأول 2023، ونفّذوا هجمات بالصواريخ والمسيّرات على «إسرائيل»، كما اشتبكوا مع قطع بحرية أميركية في البحر الأحمر، إلى أن تمّ التوصل إلى اتفاق على وقف لإطلاق النار في 6 أيار 2025.

ولباب المندب أهمية استراتيجية، لكونه واحدًا من أهم أربعة ممرات مائية في العالم، إلى جانب مضيق هرمز وقناة السويس في مصر ومضيق ملقا بين ماليزيا وإندونيسيا. ويمر عبره من 10 إلى 12 في المئة من التجارة العالمية، ونسبة كبيرة من تجارة النفط والغاز والحاويات بين آسيا وأوروبا، وأي اضطراب في باب المندب يؤثّر على أسعار النفط عالميًا. وهذا يعني أنّ إيران وحليفها اليمني يسيطران تباعًا على فكّي كماشة جيو - استراتيجية طرفاها بين مضيق هرمز ومضيق باب المندب.

مضيقا هرمز وباب المندب في الاشتباك الاستراتيجي

إذا كان مضيق هرمز يمثّل قلب معادلة الطاقة العالمية، فإنّ مضيق باب المندب يُعدّ البوابة التي تتحكم في تدفقات التجارة بين الشرق والغرب. ويُعدّ مضيق هرمز من أكثر نقاط الاختناق أهمية في العالم، إذ يمر عبره يوميًا بين 19 و21 مليون برميل من النفط الخام ومشتقاته، أي أكثر من 21% من الاستهلاك العالمي للنفط، إضافة إلى نحو 20% من تجارة الغاز الطبيعي المُسال المنقول بحرًا، معظمها من قطر. وهذه الأرقام لا تمثّل مجرّد حجم تجارة، بل نقطة اختناق لا بديل عمليًا لها، على الأقل في الأجل المنظور. ويُعد مضيق باب المندب نقطة اختناق أخرى لها ثقلها الوازن أيضًا، إذ يقع عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ويشكّل بوابة حيوية لاستمرار تدفق البضائع والطاقة بين آسيا وأوروبا عبر قناة السويس. ويمر عبر هذا المضيق ما بين 8 و10% من تجارة النفط البحري العالمي. ويشكّل المضيقان معًا فكّي كماشة جيو-اقتصادية يُمسكان بقوة بممرات الطاقة والتجارة العالمية. وهذا الواقع يعكس تحوّلاً بنيويًا في تسعير النفط، الذي لم يعد محكومًا بالعرض والطلب فحسب، بل بات وثيق الارتباط بالاعتبارات الجيوسياسية وسيناريوهات الصدمة. وبتعبيرٍ آخر، إنّ استقرار تدفق صادرات النفط عبر مضيق هرمز يمثل شرياناً رئيسًا للاستقرار المالي والاقتصادي والمعيشي في العالم. وفي الوقت نفسه، إذا ترافقت أزمة هرمز مع تعطيل باب المندب، وهو السيناريو الأسوأ في حال توسعت رقعة التوترات لتشمل اليمن، فإنّ ناقلات النفط ستجبر على تغيير مساراتها من البحر الأحمر إلى المسار الأطول حول رأس الرجاء الصالح، ما يضيف 15 يومًا من الإبحار على الأقل، فضلًا عن توابعها من تكاليف ضخمة على الشحن. وهذه ليست مجرد مضاعفات لوجستية، بل هي تكاليف ستُترجم فورًا إلى أسعار أعلى للطاقة وتكاليف تشغيل أكبر للشركات الصناعية والنقل، ما ينعكس بشكلٍ مباشر على تكلفة الإنتاج وعدم استقرار سلاسل الإمداد الدولية، ويضع الاقتصاد العالمي كله أمام صدمة مضاعفة تتمثل بارتفاع حاد في أسعار النفط، وضغوط تضخمية تتسرب إلى أسعار السلع الأساسية، وعجز محتمل في ميزانيات الدول المعتمدة على النفط.

خيارات محدودة

لقد أدار الإيرانيون لعبة حافة الهاوية مع أعدائهم بعقل الجغرافيا لا بانفعال السياسة. وبالتالي تبين أنّ الحصار العسكري بالبوارج وحاملات الطائرات ليس استراتيجية نصر. ومن هنا يخشى الرئيس الأميركي دونالد ترامب من ارتفاع الخسائر عليه وعلى حلفائه، بخاصةٍ بعدما أظهر استطلاع للرأي أجرته وكالة رويترز بأنّ تأييده داخل أميركا وصل إلى أدنى مستوى له منذ إعادة انتخابه في العام 2024. وهو يكرّر شكواه أيضًا من عدم انخراط حلفائه في الحرب إلى جانبه وبخاصةٍ حلف الناتو الذي يصفه بأنه نمر من ورق، في حين أصدر وزراء خارجية مجموعة الدول السبع بياناً مشتركًا حثّوا فيه على وقف فوري للهجمات على السكان والبنية التحتية المدنية. وهذه الدول، لأسباب استراتيجية واقتصادية وأمنية، تدرك أنّ كلفة أي مواجهة عسكرية في الممرات الحيوية ستكون باهظة الكلفة وغير مضمونة النتائج. ويزداد تشكيكهم في مواقف ترامب الذي يكرر الحديث عن تغيير النظام الإيراني والإقليمي في حين تبدو إيران وحلفاؤها مصمّمين على الاستمرار في حرب استنزاف مؤلمة وطويلة الأمد للجانبين الأميركي والإسرائيلي بما يؤدي إلى رسم معادلات جديدة وفق خطتهم على مساحة الشرق الأوسط. ويعزّز الانطباع بعدم نجاعة الخيار العسكري، ما شهدته الساحة اليمنية سابقًا في إطار معركة إسناد غزة، إذ فرضت صنعاء حصارًا كاملًا على السفن الإسرائيلية أو تلك المرتبطة بها، ووسّعت إجراءات الضغط لتشمل الناقلات الأميركية والأوروبية، وذلك على خلفية مواقف تلك الدول الداعمة لحرب الإبادة الجماعية في غزة. وفي المقابل، سُمح بمرور سفن دول أخرى كالصين وروسيا وعدد من الدول النامية. وفي حين بادرت الولايات المتحدة إلى تشكيل ما عُرف بـ «تحالف حارس الازدهار»، مروّجةً لإمكان فرض فتح الممرّ بالقوة، بما في ذلك تنفيذ ضربات جوية داخل الأراضي اليمنية، اتّجه الاتحاد الأوروبي إلى مسارٍ موازٍ عبر إطلاق بعثة «أسبيدس»، الهادفة إلى تأمين الملاحة ومرافقة السفن وصولاً إلى قناة السويس، من دون الانخراط في ضربات داخل الأراضي اليمنية. ولكن بعد اتفاق وقف النار، عاد الوضع إلى طبيعته في المضيق، الأمر الذي عُدّ مؤشرًا إضافيًا إلى محدودية فعالية الخيار العسكري في مثل هذه النزاعات المركّبة.

عقدتان متصلتان بشريانٍ واحد

بين مضيقَي هرمز وباب المندب، لا يجري الحديث عن ممرّين بحريين منفصلين، بل عن عقدتين متصلتين بشريانٍ واحد يربط الطاقة بالتجارة وبالغذاء على مستوى العالم. وإذا كان مضيق هرمز هو البوابة الكبرى لصادرات النفط والغاز من الخليج، فإنّ باب المندب هو الممر الذي يسمح لتلك الشحنات، ومعها جزء كبير من التجارة بين آسيا وأوروبا، بالعبور نحو البحر الأحمر ثم قناة السويس. وهنا تحديدًا يدخل لبنان إلى قلب المشهد كبلد يعتمد بشكلٍ شبه كامل على الاستيراد لتأمين الطاقة والغذاء، ويعمل بعملة ضعيفة ونظام مالي مثقل بالعيوب، وبالتالي فهو لن يتأثر بارتفاع الأسعار العالمية فحسب، بل بما هو أخطر: الكلفة النهائية الواصلة، أي كلفة الشحن والتأمين والتأخير. وهذه الكلفة هي التي ستُترجم مباشرة إلى تضخم محلي، وضغط إضافي على القدرة الشرائية للناس وتآكل ما تبقى من استقرار اجتماعي هش.

LEBANON'S GATEWAY

الاقتصاد اللبناني

بين تراكم الأزمات وتداعيات الحروب الإقليمية

العميد المتقاعد غازي محمود – دكتوراه في الاقتصاد

منذ نهاية العام 2019 والاقتصاد اللبناني يُراكم خسائر متعاظمة ومتتالية، في ظل تفاقم اختلالاته البنيوية وتعقّد أزماته المالية والاقتصادية، من دون أن تلوح في الأفق مؤشرات جدّية لحلٍّ مستدام. وفي هذا السياق المتأزم، ها هو لبنان واقتصاده يواجهان اليوم أزمة جديدة ناجمة عن الاعتداءات الإسرائيلية التي من المرجّح أن تتجاوز في آثارها الاقتصادية والإنسانية مجمل الأزمات التي شهدها البلد على مدى السنوات الماضية.

كانت الأزمة المالية والاقتصادية التي انفجرت في العام 2019 ، بالتزامن مع جائحة كورونا التي تسببت بدورها في تعميق أزمة الاقتصاد الوطني وانكماشه في ذلك الحين، قد أدت إلى تكوين فجوة مالية تُقدَّر بنحو 80 مليار دولار أميركي؛ كما ترافقت أيضًا مع تبديد مدّخرات اللبنانيين في المصارف اللبنانية، فضلًا عن انهيار حاد في قيمة العملة الوطنية، وما استتبعه ذلك من تآكل القدرة الشرائية وارتفاع معدلات التضخم والفقر والبطالة.

وقبل أن يلتقط الاقتصاد اللبناني أنفاسه ويستعيد نشاطه، جاء انفجار مرفأ بيروت في الرابع من آب 2020 ليُعمّق حدة الانهيار، إذ أسفر عن خسائر مادية تُقدّر بما بين 10 و15 مليار دولار أميركي. وبلغت الخسائر البشرية أكثر من 220 شهيدًا، فضلًا عن إصابة أكثر من 7000 آخرين ودمار واسع في العاصمة بيروت، مما جعل هذا الانفجار واحدًا من أكبر الانفجارات غير النووية في التاريخ.

حروب متلاحقة

فاقم العدوان الإسرائيلي على لبنان منذ تشرين الأول 2023 والذي تصاعدت حدّته في العام 2024، الانهيار الاقتصادي المستمر منذ نهاية الـ 2019، وتسببت بخسائر تُقدَّر بما بين 11 و14 مليار دولار أميركي، إضافة إلى أضرار جسيمة في القطاعات الزراعية والصناعية والتجارية، وسقوط أكثر من 4040 شهيدًا ونحو 16 ألف جريح. كما قُدّر عدد الوحدات السكنية المتضررة جزئيًا بنحو 317 ألف وحدة، فيما بلغ عدد الوحدات المدمّرة كليًا نحو 51 ألف وحدة، موزعة على الضاحية الجنوبية والبقاع والقرى الحدودية.

ويأتي العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان ليكبّده خسائر اقتصادية إضافية قدّرتها وزارة الاقتصاد بما يراوح بين 60 و80 مليون دولار يوميًا، مع احتمال ارتفاعها إلى أكثر من 100 مليون دولار في حال

تجدُّد الاعتداءات الإسرائيلية التي لم تتوقف في الواقع، ذلك أنّ الجيش الإسرائيلي يقوم بعمليات هدم ممنهجة للقرى والبلدات التي احتلها، ما أدى إلى دمار واسع في عشرات البلدات والقرى.

تكلفة اقتصادية متعاظمة

تتفاقم وطأة هذه الحرب وتكلفتها الاقتصادية على لبنان، بفعل تزامنها مع التصعيد الإقليمي، ولا سيما الحرب على إيران، وما نتج عنها من اضطرابات في الاقتصاد العالمي. فقد أدّى تعطيل الملاحة في مضيق هرمز إلى إرباك سلاسل الإمداد العالمية، لا سيما إمدادات الطاقة التي كانت تُقدّر بنحو 20 مليون برميل من النفط الخام والمنتجات النفطية يوميًا، وارتفاع أسعار النفط والشحن والتأمين، ما انعكس مباشرة على أسعار السلع والخدمات.

وقد أدى إغلاق مضيق هرمز إلى تعطّل سلاسل إمداد الأسمدة الزراعية العالمية، نظرًا إلى أنّ دول الخليج وإيران تصدّر جزءًا كبيرًا من إنتاجها من الأسمدة النيتروجينية (اليوريا والأمونيا) والفوسفات عبر هذا الممر البحري. وتقدّر التقارير مرور نحو 25-35% من تجارة الأسمدة العالمية عبره، مما يُهدد المواسم الزراعية في العديد من دول العالم ويتسبب في ارتفاع أسعار منتجاته، بما في ذلك المنتجات اللبنانية.

كما يؤدي حظر الملاحة في مضيق هرمز الذي يمر عبره خُمس الإمدادات العالمية من النفط والغاز، إلى نقص وشيك في وقود الطائرات (الكيروسين) بخاصة في كل من أوروبا وآسيا. ومع ترجيح تراجع المخزونات إلى مستويات حرجة، يتصاعد القلق من تحوّل الأزمة إلى أزمة بنيوية في منظومة الإمدادات؛ الأمر الذي قد يُجبر شركات الطيران على تقليص رحلاتها أو إلغائها جزئيًا بالتوازي مع ارتفاع كلفة النقل الجوي، ما سينعكس سلبًا على النشاط السياحي العالمي، ويحدّ من قدوم المغتربين اللبنانيين لزيارة عائلاتهم وأقربائهم.

وفي ظل هذه المتغيرات، يواجه الاقتصاد اللبناني تحديات داخلية مضاعفة ومعقّدة، إذ يتأثر بشكلٍ مباشر بأي اضطراب خارجي، خصوصًا ذلك الذي قد يطال الدول التي تستقطب اليد العاملة اللبنانية. ومع تصاعد المخاطر الأمنية في دول الخليج، يُصبح أي دعم مالي من هذه الدول للبنان مستبعدًا، كما تتأثر تحويلات المغتربين سلبًا، ما يزيد الضغوط على ميزان المدفوعات والاقتصاد الوطنيَّين.

إلى ذلك، تتفاقم ظاهرة التضخم المستورد، نظرًا لاعتماد لبنان بشكلٍ كبير على الخارج، إذ إنّه يستورد النفط ومشتقاته التي تشكّل نحو 25% من إجمالي الواردات. كما يعتمد على الاستيراد لتأمين نحو 85% من المواد الاستهلاكية، ما يجعل أي ارتفاع في الأسعار العالمية سببًا مباشرًا في زيادة الأسعار المحلية، وهذا ما يؤدي إلى تصاعد الضغوط التضخمية ويُفاقم تآكل القدرة الشرائية للمواطنين.

هشاشة مركّبة

يدل انكشاف لبنان المفرط على التحوّلات الإقليمية والدولية وعجزه عن مواجهتها والحد من تأثيرها، على هشاشته تجاه الخارج، في ظل هشاشة مؤسساتية تتمثل في العجز عن إدارة الأزمات وغياب السياسات العامة الفاعلة؛ فضلًا عن هشاشة بنيوية ناتجة عن نموذج اقتصادي ريعي وضعف الحوكمة، مما يؤدي إلى «هشاشة مركّبة» (Compound Fragility) في الاقتصاد اللبناني، وهذا ما يُفسّر عمق الانهيار وصعوبة التعافي.

ذلك أنّ هذا التداخل بين الأزمات يجعل الاقتصاد اللبناني أكثر عرضة للصدمات، ويُضاعف آثارها، إذ تتحوّل أي أزمة خارجية، كالحروب أو اضطرابات سلاسل الإمداد، إلى عامل تسريع للانهيار الداخلي، بدل أن تكون مجرد ضغط ظرفي يمكن احتواؤه. ومن هنا، فإنّ فهم طبيعة هذه الهشاشة المركبة يُعد مدخلًا أساسيًا لأي مقاربة جدّية تهدف إلى الخروج من دائرة الانهيار نحو مسار تعافٍ مستدام.

التّحدي الأبرز

في المحصّلة، لقد استنفدت الاعتداءات الإسرائيلية الاقتصاد اللبناني جرّاء الحروب المتتالية، في وقتٍ يعاني فيه لبنان من هشاشة مركّبة عميقة جعلته غير قادر على امتصاص الصدمات المتكررة، سواء كانت داخلية أو خارجية. فالخروج من دوامة الانهيار والأضرار الناتجة عن الحروب المتتالية والسياسات السابقة، تتطلّب بدايةً وقف العدوان الإسرائيلي وانسحاب «إسرائيل» إلى الحدود الدولية، لوضع حد للأضرار والخسائر المادية التي يتسبب بها العدوان.

ويبقى التحدي الأبرز الذي يواجه الاقتصاد الوطني متمثّلًا في تكلفة الأضرار البنيوية (Structural Damage) التي نتجت عن الاعتداءات الإسرائيلية المتتالية، ولا سيما الاعتداءات المرتبطة بالحرب الأخيرة، التي تُضاف إلى أعباء حرب إسناد غزة وما سبقها من أزمات، في ظل عجز لبنان عن تأمين مصادر تمويل لإعادة الإعمار، وانهيار مالي مستمر، وانقسام سياسي. كما أنّ ربط المساعدات الدولية بشروطٍ سياسية وأمنية، يزيد تعقيد المشهد ويؤخر عملية التعافي.

فالأزمة التي يواجهها الاقتصاد اللبناني ليست أزمة عابرة، بل أزمة وجودية تتطلب اعتماد نموذج اقتصادي جديد قادر على الصمود أمام الصدمات الخارجية، وليس مجرد أداة لإدارة الانهيار. وفي ظل استمرار التوترات الإقليمية وغياب رؤية إصلاحية واضحة، يبقى لبنان عرضة لمزيد من الانهيار الاقتصادي والاجتماعي ما لم تُبادر الدولة إلى تبنّي مسار إصلاحي شامل، مدعوم بإرادة سياسية فعلية ومساندة دولية فاعلة تضع حدًا لمسار الانهيار المستمر.

شهداء الصحافة
صوت الحقيقة الذي لم يُسكَت

ريما سليم

تجاوزت الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان حدود المواجهة العسكرية، وامتدّت لتستهدف الكلمة والصورة، في محاولةٍ لإسكات الرواية ومنع توثيق الحقيقة. شكّلت ساحة استهدافٍ مباشر للإعلاميين الذين تحوّلت كاميراتهم إلى شاهدٍ على الغدر والظلم، فيما كُتبت الحكايات بدم من حملوا مسؤولية روايتها.

لم يكن الصحافيون الذين انتشروا على الحدود الجنوبية للبنان سوى شهود يحملون أدواتهم المهنية: الكاميرات، الميكروفون، أجهزة البث والتسجيل، والأوراق والأقلام. ومع ذلك وجد الكثيرون منهم أنفسهم في دائرة الاستهداف المباشر. ففيما كانت العدسات تنقل مشاهد القصف والدمار، سقط عدد من الإعلاميين بين شهيدٍ وجريح، في أحداث دفعت منظمات دولية وهيئات حقوقية إلى المطالبة بتحقيقاتٍ مستقلة، معتبرةً أنّ بعض هذه الوقائع ترقى إلى مستوى جرائم حرب.

خلال الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، تحوّلت التغطية الإعلامية من مهمّة محفوفة بالمخاطر إلى مواجهة مفتوحة مع الموت، في ظلّ استهداف الصحافيين إمّا بشكلٍ مباشر أو عبر هجماتٍ لم تُراعِ وجودهم الواضح في الميدان.

حين تتحوّل الكلمة إلى هدف

شكّل استشهاد عدد من الصحافيين صدمة كبيرة ومؤشرًا خطيرًا على تصاعد استهداف الإعلاميين من دون أي رادع. وقد شهد شهرا آذار ونيسان من العام الجاري اعتداءات متكررة، استشهد خلالها وأُصيب عددٌ من الإعلاميين بجروحٍ متفاوتة، بينهم مصوّرون ومراسِلون كانوا يؤدّون مهامهم في ظروفٍ بالغة الخطورة، ما يعكس «نمطاً متكررًا وخطيرًا من استهداف الإعلاميين خلال التغطية» وفق ما أكّده مركز الخليج لحقوق الإنسان. يُذكر في هذا الإطار أنّ منظمات حقوقية دولية وثّقت، منذ تشرين الأول من العام 2023، مقتل 27 عاملًا في المجال الإعلامي وإصابة ما لا يقل عن 15 آخرين بجروحٍ، من جراء الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة التي شهدتها مناطق مختلفة من لبنان.

وفي السياق، ذكر تقريرٌ للجنة حماية الصحافيين، أنّ العام 2025 سجّل رقمًا قياسيًا في عدد الإعلاميين الذين قُتلوا حول العالم، مشيرةً إلى أنّ القسم الأكبر من الضحايا سقطوا نتيجة العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة ولبنان. واعتبرت أنّ هذه الحرب من أكثر الفترات دموية بحق الصحافيين منذ بدء توثيقها للانتهاكات قبل أكثر من ثلاثة عقود.

إدانات ومطالب بالمحاسبة

أثارت الاعتداءات المتكررة على الطواقم الإعلامية في لبنان ردود فعلٍ رسمية لبنانية ودولية، شدّدت على خطورة استهداف الإعلاميين وضرورة محاسبة المسؤولين. كما عبّرت منظمات معنية بحرّية الصحافة عن قلقها من تكرار استهداف الإعلاميين. فقد دعت منظمة لجنة حماية الصحافيين إلى إجراء تحقيقات شفافة، مؤكدة أنّ الصحافيين مدنيون ويجب ألّا يكونوا أهدافًا في النزاعات، وأي استهداف لهم يستوجب مساءلة واضحة. كما جدّدت منظمة الأمم المتحدة عبر مسؤوليها التأكيد على أنّ القانون الدولي الإنساني يضمن حماية الصحافيين باعتبارهم مدنيين، وأي انتهاك لذلك قد يرقى إلى جريمة تستوجب التحقيق.

في القانون الدولي: هل يشكّل استهداف الصحافيين جريمة حرب؟

يمنح القانون الدولي الإنساني الصحافيين العاملين في مناطق النزاع صفة المدنيين، ويوفّر لهم حماية خاصة بموجب المادة 79 من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف، ما داموا لا يشاركون مباشرة في الأعمال القتالية. وبناءً عليه، يمكن أن تُصنَّف الاستهدافات المتعمّدة للصحافيين كجرائم حرب تستوجب التحقيق والمحاسبة. وفي هذا السياق، أدّت الشكاوى والتحقيقات القانونية، التي تواصلت وتصاعدت، إلى نتائج سياسية وحقوقية بارزة على الساحة الدولية. فقد أفضت هذه التحرّكات إلى إدانات أممية واضحة، إذ دعا خبراء الأمم المتحدة في نيسان 2026 إلى فتح تحقيق دولي مستقل في استهداف الصحفيين في لبنان.

أما على صعيد التحرّكات القضائية والدبلوماسية خلال العامَين 2025 و2026، فقد واصلت الدولة اللبنانية ضغوطها عبر مجلس الأمن الدولي، وكان آخر تحركاتها تقديم شكوى عاجلة في 8 نيسان 2026، عقب غارات وصفتها الحكومة بأنّها «الأعنف»، واستهدفت مدنيين وإعلاميين في بيروت ومناطق أخرى. كما كلّف مجلس الوزراء اللبناني، في نيسان 2026، وزارتي الإعلام والخارجية بإرسال ملفات موثّقة بالأدلة والصور إلى المفوض السامي لحقوق الإنسان، تمهيدًا لبحث مسارات قانونية إضافية. وقد أثارت هذه التطورات ردود فعل دولية واسعة، إذ أكّد الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، أن استهداف الطواقم الإعلامية وعرقلة عمل فرق الإنقاذ يشكّلان انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي الإنساني.

من شاهدٍ إلى شهيد

في الحروب، يُفترض أن يكون الصحافي شاهدًا على المأساة، لكنّ الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان أظهرت أنّ الشاهد نفسه قد يتحوّل إلى ضحية. وبين الكاميرا والخوذة والسترة التي تحمل عبارة «PRESS»، سقط صحافيون فقط لأنّهم كانوا يحاولون نقل ما يجري إلى العالم.

ومع استمرار النزاعات، يبقى السؤال الأكثر إلحاحًا: هل ما زال القانون الدولي قادرًا على حماية الكلمة الحرة، أم أنّ الصحافي أصبح جزءًا من الأهداف في الحروب الحديثة؟

METROPOLITAN DEFENSE & SECURITY SOLUTIONS

INTERNATIONAL DEFENSE SUPPLIER

SHOOTING RANGE SOLUTIONS

INTELLIGENT SUPPORT SYSTEMS

DEFENSE SOLUTIONS FOR MILITARY BASES

about us.

"Metropolitan Defense and Security Solutions" (MDS) is your international strategic partner when it comes to Security and Defense Solution. We represent several well-known worldwide firearm platforms, defense systems, and precision mechanical engineering e.g Ceska Zbrojovka "CZ" (Czech Republic), Fiocchi and Benelli Defense (Italy), B&T(USA). MDS also provide full defense solutions for military bases (Airports, Naval and Land bases) . Our field of expertise also includes IT, Cyber Security, Intelligent Systems training and support..

B&T BENELLI DEFENSE FIOCCHI CZ

Call us Now +961 1 99 99 66

غرينلاند

مناجم الذهب واليورانيوم تحت المعطف الجليدي

د. هيام كيروز – كاتبة وباحثة

تُعدّ جزيرة غرينلاند (Greenland) من أكبر جزر العالم مساحة (2,1 مليون كلم²)، وهي تقع بين المحيط المتجمّد الشمالي والمحيط الأطلسي، شرق أرخبيل القطب الشمالي الكندي، ولا يتجاوز عدد سكانها الـ60 ألف نسمة، ينتمون في غالبيتهم، إلى شعب الأنويت الذي هاجر أسلافه من ألاسكا عبر كندا الشمالية. عاصمتها هي نوك (Nuuk) وهي تتمتّع بالحكم الذاتي تحت مظلة السيادة الدنماركية.

وتعود الضجة التي أثيرت حولها في الأشهر الأخيرة إلى رغبة الرئيس الأميركي دونالد ترامب في ضمّها إلى بلاده على أساس موقعها الاستراتيجي وثرواتها الدفينة ومواردها السياحية.

هذه الرغبة ليست سوى الوجه الآخر للمتغيرات الجيوسياسية في منطقة القطب الشمالي. وتتمثّل في شق ممر بحري يسمح به ذوبان الجليد وطبقاته الكثيفة، ما أسال لعاب الدول الكبرى، وفي صدارتها الولايات المتّحدة، والصين وروسيا لكنوز دفينة في قلب الثلوج الأبدية. إلى ذلك، ثمة من يرى أنّ الهمّ الدفاعي الترامبي يتجاوز الهموم الاقتصادية الأخرى في الجزيرة العملاقة. ومنذ زمن بعيد، وظّفت واشنطن المزايا والمميّزات العسكرية والدفاعية الخاصة بهذا الكنز الجليدي النادر في قلب القطب الشمالي لترهيب روسيا والصين وحتى كندا وأوروبا، خصوصًا أنّ غرينلاند في وسط المسافة الفاصلة بين نيويورك وموسكو. وتحتضن قاعدة بيتوفيك (Pituffik) القاذفات الاستراتيجية ورادارات الشبكة الجو - فضائية لأميركا الشمالية. وكانت الولايات المتّحدة قد أبرمت اتّفاقًا مع الدنمارك في العام 1951 يسمح للحلف الأطلسي باستخدام بعض مناطق الجزيرة في مسائل دفاعية - هجومية. لكن بعد الحرب الباردة، تراجعت أهميّة غرينلاند التي غرقت من جديد في صمت جليدي إلى أن أثار الرئيس ترامب الجدل حولها. كيف ولماذا؟

خروج الجزيرة من الستاتيكو

خلال عقود من الزمن، كان الشعار الأكثر ترداداً وتردّداً في منطقة شمالي القطب الشمالي هو الآتي: «الشمال الكبير والعالي بتوترات جد خفيفة وخافتة». إلى أن جاء دونالد ترامب الذي أفصح بشكل

”تبرز منطقة شمالي القطب الشمالي كنقطة تقاطع لتجاذبات وتوتّرات راهنة. فهناك، من جهة، الاحترار المناخي الذي يؤثّر في هذا المدى الجغرافي الأبيض اللامتناهي، ومن جهة ثانية، السباق اللاهث بين ثلاثة عمالقة للوصول إلى الموارد والثروات الدفينة واستخراجها واستغلالها.“

واضح بعيد عن أي التباس بأنّه يريد وضع اليد على جزيرة غرينلاند، ما أثار حيرة القادة الأوروبيين وذهولهم، إذ رأوا في هذا التجاوز عدواناً سافرًا على الدنمارك، الحليف والعضو في حلف شمالي الأطلسي (الناتو) منذ العام 1949. وكان لافتاً أنّ البيت الأبيض وضع حدًّا، وبشكل مجلجل، لعقود من السلام النسبي في شمالي القطب المتجمّد التي يدعوها الأوروبيون «منطقة L’Arctique»، كما التعاون التقليدي بين الدول الشمالية الصغيرة واللاعبين الكبار مثل روسيا، الصين والولايات المتّحدة الأميركية. وإزاء ردّة فعل دول الاتّحاد الأوروبي الـ 27، تراجع ترامب تكتيكيًّا عن إصراره على ضمّ الجزيرة، معلناً في المقابل عن اتّفاق إطاري بملامح ضبابية يُلقي على كاهل الحلف الأطلسي عبء الدفاع عن جزيرة الصقيع والمعادن النادرة الدفينة. وفي الدورة 62 لمؤتمر ميونيخ للأمن الذي انعقدت فعّالياته بين 13و15 شباط الماضي، أكّدت رئيسة وزراء الدنمارك Mette

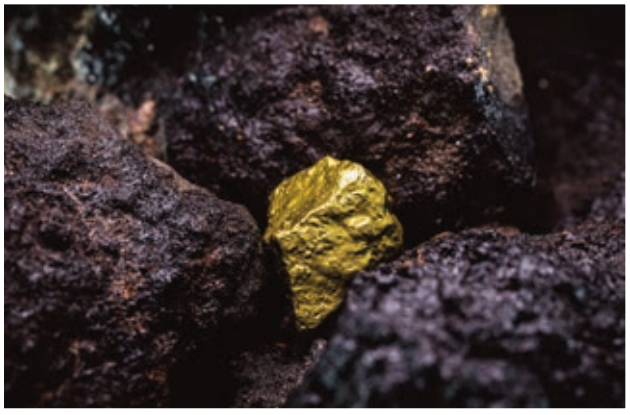

”أولويات موسكو وبكين في جزيرة غرينلاند تجارية، وتتلخّص في الربط بين القارات وتسهيل الاستيراد والتصدير. أما اهتمامات واشنطن، فهي عسكرية – استراتيجية في المقام الأول، تليها اعتبارات الاقتصاد، والسياحة والموارد المعدنية الثمينة.“

Frederiksen أنّ الرئيس الأميركي لم يتراجع عن خطّته بضم Greenland إلى إمبراطوريته، وأنّ التصدّي لها من مسؤولية الاتحاد الأوروبي بكل دوله. وهنا يقول مؤلف كتاب «ذوبان الجليد: المعركة من أجل مستقبل القطب الشمالي» الصادر في كوبنهاغن وبروكسل، ويُدعى كلاوس دوديس، إنّ الحلفاء الأوروبيين يُجمعون على أنّ اليد الترامبية سوف تُطلِق شرارة أزمات ونزاعات دراماتيكية بالنسبة إلى الدويلات الصغيرة، وغالبيتها عبارة عن جزر يقطنها عدد قليل من السكان، على غرار غرينلاند، وسفالبارد (Svalbard) التابعة لمملكة النروج، وفيرويه، وإيسلندا، ذات الجاذبيّة السياحية الخاصة. وقد أيقظ نزعة إلى التنافس لديها، معطوفًا على ارتباط بالقوى العظمى، كمظلة أمن وأمان مقابل رهن ثرواتها لها.

وثيقة الأمن القومي الأميركي

واللافت أنّ الرئيس ترامب برّر أطماعه في جزيرة الذهب واليورانيوم باللجوء إلى مفهوم جديد هو «الدفاع عن نصف الكرة الأرضيّة» (Défence hémisphérique). وقد اشتقّه من نظرية «وسترن نصف الكرة الغربي» التي تشمل أميركا بكليتها. ومفادها أنّ السيطرة على كل القارة الأميركية ضرورية لواشنطن. ذلك أنّ الدرع الدفاعية الوقائية - الاستباقية هي بنية هيكلية متكاملة، كما جاء في وثيقة «الاستراتيجية الجديدة لأمن الولايات المتّحدة القومي»، الصادرة عن البنتاغون في 26 كانون الثاني الماضي. ولأول مرة تُقدّم هذه الوثيقة رؤية جديدة لحوض شمالي القطب الشمالي (Arctique)، تنقض وتزعزع الستاتيكو السائد. وترنو من خلال مقاربة دقيقة إلى إحلال المواجهة مكان التعاون، وتستخدم عبارة «اللعبة الكبرى» التي تعود إلى زمن التنافس الحاد بين الإنكليز والروس في آسيا، في القرن التاسع عشر، وتعني في نص البنتاغون «مواجهة بين القوى العظمى حول القطب الشمالي». من هنا، لم يخترع الرئيس ترامب البارود الأبيض، بل تقيّد بتوجيهات وإرشادات الكتاب الأبيض لوزارة الدفاع الأميركية، إذ إنّ «جزيرة غرينلاند بوابة الدخول للدفاع عن نصف الكرة الأرضية»، وفق الخبير Thomas Dans الذي عيّنه ترامب على رأس اللجنة الأميركية للبحث في شؤون القطب الشمالي. ويضيف أيضًا «أنّ المسألة ليست فقط في ذوبان الجليد، إنما أيضًا في الاعتماد على دويلة مجهريّة تقع في الجانب الآخر من الكرة الأرضية لضمان أمن بوابة دخول الولايات المتّحدة الأميركية». والمعروف أنّ توماس دانس مواطن أميركي ويدعو منذ سنوات إلى تقارب بين بلاده وغرينلاند، لافتاً إلى أنّ «الأمر قد يبدو نوعًا من «الشوفينية» (التزمُّت الوطني) الأميركية. وهذا ليس خطأ، لكن لم يعد لدينا عُقَد نقص أو خجل في هذا الإطار، لأنّ الولايات المتّحدة لا تستطيع سوى الاعتماد على قدراتها للحفاظ على أمنها..» هذا الخطاب هو الذي أشعل الخلاف مع دول القطب الشمالي.

احتدام المصالح وخرائط النفوذ

مَن هي الدول التي تملك جزرًا في منطقة القطب الشمالي الذي تتطلّع إليه مطامع الدول الكاسرة؟ هناك، أولاً، كندا. ثم تكرّ سبحة الدنمارك، فنلندا، إيسلندا، النروج والسويد، وهي على نغمة واحدة من الإشكالية المطروحة، وتسعى إلى الحفاظ على الوضع القائم في الشمال الكبير لأنّها تخشى استدراج روسيا والصين بسبب طموحات ترامب الجغرافية. وقد كلّفت هذه الدول الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لقيادة حملة ردع دبلوماسية. وتتخوّف عاصمة الاتّحاد الأوروبي، بروكسل، من صدام مصالح صينيّة - أميركيّة فوق هذا المدى الجليدي الأبيض. والروس جزء من «اللعبة الكبرى»، لكنّهم منذ اجتياح أوكرانيا في شباط 2022، تراجعت شهيتهم إلى التزلج فوق صفائح غرينلاند المتجمّدة أو البحث في باطنها عن معادن نادرة. ويلتقط المحاضر المتخصّص في الجيوبوليتيك في لندن Klaus Dodds طرف الخيط ويكشف أنّ احترام المصالح سوف يُخرج جزيرة غرينلاند من قيلولتها التاريخية الطويلة لكي

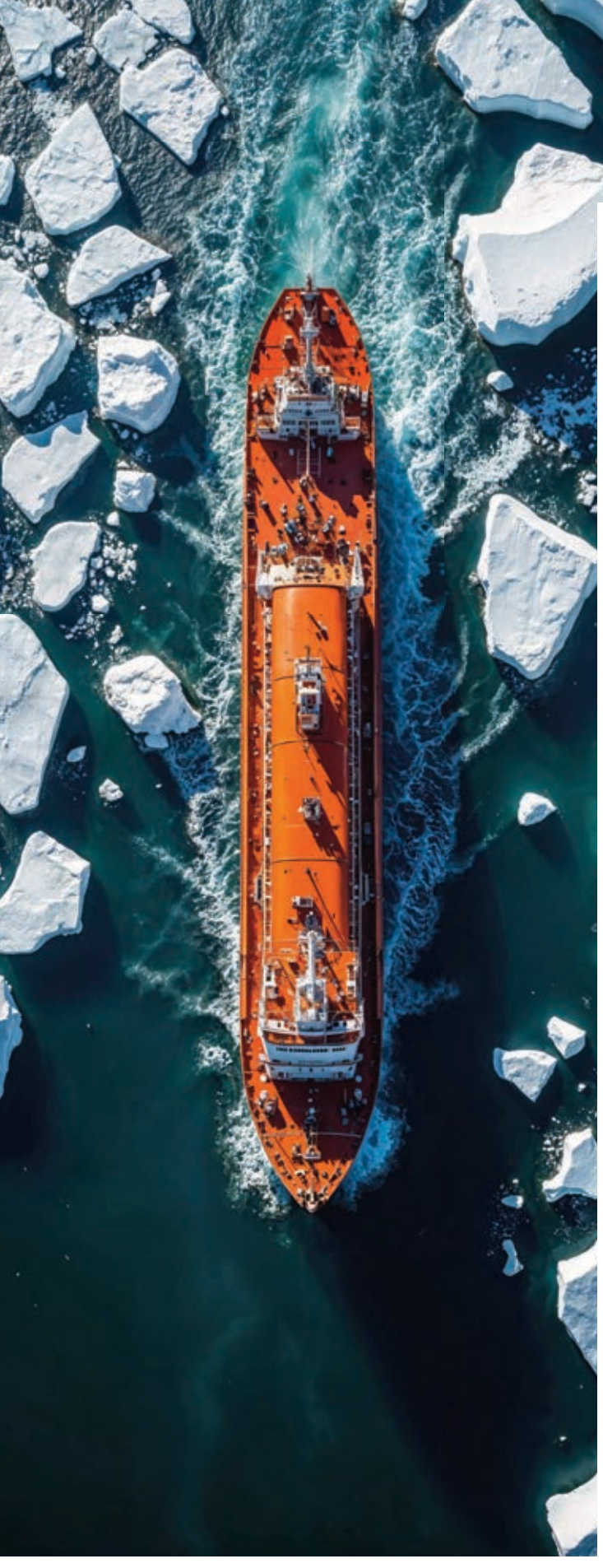

تتحوّل إلى ساحة صراعات دولية. ويُحمّل إدارة الرئيس ترامب وطموحاتها مسؤولية التوتّرات الآتية. ويعود إلى العام 2021، يوم أفصح الرئيس الأميركي عن اهتمامه بالجزيرة القطبية الشمالية معتبرًا إياها «مساحة عقارية وملكية تجارية»، وأضاف: «إنني مولع بالخرائط الجغرافية، ونظرت مليًّا إلى مساحة جزيرة غرينلاند، فوجدتها عملاقة، وقلت في نفسي: يجب أن تكون جزءًا من الولايات المتّحدة، والأمر لا يختلف عن التفاوض في المجال العقاري». ويخشى Klaus Dodds من أنه في حال وضع ترامب يده على الجزيرة القطبية، ستكون التداعيات دراماتيكية على التوازنات القائمة في هذا الإقليم الجليدي. فتُسارع روسيا إلى السيطرة على جزيرة Svalbard المجاورة، وهي عبارة عن أرخبيل تملكه النروج، وتعيش فيه جالية روسية. ويلفت Dodds إلى أنّ الصين قد تحاول استغلال الضعف الراهن لموسكو لكي تتجذّر أكثر في منطقة القطب الشمالي، بعدما أظهرت اهتمامًا بالطريق البحرية الشمالية التي تختصر إلى النصف الوقت التجاري مع أوروبا. ويخلص هذا الخبير البريطاني إلى القول، كما تنقل عنه دوريات أوروبية: «إننا نشهد عودة إلى «اللعبة الكبرى» التي سادت القرن التاسع عشر بين الدول الكبرى، وهي تقوم على تقاسم مناطق النفوذ. والمنطق المؤلم والفظيع هو أنّ القارة الأوروبية تجد نفسها في فخ مطبق وسط مناطق التسويات بين العمالقة الثلاثة».

الصين لاعب أساسي

وفق هذا الإيقاع غير الجليدي، تجد غرينلاند نفسها في قلب مروحة واسعة من الرهانات والمجازفات التي تتجاوزها. ويشعر سكّانها مجهريّو العدد (58 - 60 ألف نسمة في أقصى حدّ) بأنّهم رهائن عاصفة جيو - سياسية عاتية، بعدما فقدوا بوصلة الاتّجاه، وخضعوا لضغوط وجاذبيات لم يألفوها قبل اليوم. وهنا تقول Sara Olsvig، الوزيرة السابقة في الجزيرة والرئيسة الحالية لـ «المجلس القطبي لشعب الإنويت» حول الطموحات الأميركية: «لقد خضعنا للاستعمار ولا نريد أن نختبره من جديد. وهذا التنافس الحاد بين القوى العظمى الذي نشهده الآن، لن يختفي بين ليلة وضحاها. والعالم اليوم أكثر تعدّدية قطبية ممّا كان عليه الوضع في حقبة الحرب الباردة. والسؤال الكبير يتمثّل في معرفة ما إذا كنّا سنحافظ على النظام الدولي القائم. وفي حال اهتزازه، وصولاً إلى انهياره، تعمّ الفوضى، وترتسم منزلقات لم نتعامل معها من قبل». والذين عكفوا على قراءة بيان Olsvig، وهي أميركية الهوى، استخلصوا أنها تعني الصين في الدرجة الأولى، إذ إنها تتّهمها بتدبير مكائد عسكرية، الأمر الذي ردّ عليه الناطق باسم الحزب الشيوعي في شنغهاي قائلًا: «إننا نستثمر في منطقة شمالي القطب الشمالي بطريقة سليمة تمامًا، ولغايات البحث العلمي والتنمية التجارية». وبدا لافتاً أنّ البيت الأبيض والأوروبيين، وحتى سلطات غرينلاند، يحشرون الطرف الصيني في متاهات أزماتهم ومآزقهم. حتى الآن، لم تظهر أي قرينة أو حجّة تسمح بتأكيد مزاعم أو ادّعاءات بعض السياسيين الغربيين الذين يعلنون أنّ «الجزيرة تعجّ بالسفن الحربية الصينية»، ومنهم دونالد ترامب. وقد تسقط هذه المبالغات لكن ذلك لا يُخفي واقع حضور بكين الثابت الذي يتبلور يومًا بعد يوم في مجاهل الجزيرة البيضاء، وهي لاعب مؤثّر في قضاياها واهتماماتها وهمومها. ويرتكز مشروعها على التنقيب

العلمي، واستكشاف طرق بحرية جديدة، وزيارة أعماق يُقال إنها غنية بالمعادن الدفينة. وبات في حكم المؤكّد أنّ العاصمة الصينية تبني مقاربتها للمسائل القطبية وفق إيقاع تصاعدي وبراغماتي. وفي العام 2004، أنجزت بناء محطة أبحاث على النهر الأصفر في قلب أرخبيل Svalbard التابع لمملكة النروج، وهي تُطوّر إسهاماتها وآليات عملها باستمرار.

طرق حرير جديدة

هل هناك طريق حرير قطبية؟ تتساءل صحيفة لوسوار البلجيكية، تأسيسًا على «طريق الحرير الجديدة» التي هي مجموعة من الشرايين البحرية والبرية المترابطة بطول 12 ألف كيلومتر، ما يُعطي بكين ميزة الهيمنة التجارية والاقتصادية على مستوى العالم. وهذه المروحة الواسعة من الكوريدورات مبادرة هندسها الرئيس الصيني شي جين بينغ، تحت مسمّى «الحزام والطريق» وتعتمد على إنشاء بنى تحتية بالتعاون مع 68 دولة. وفي الكتاب الأبيض حول سياستها في أصقاع القطب الشمالي الصادر في العام 2018، يقول الرئيس الصيني إنّ بلاده قطبية الموقع، والأبعاد، والاهتمامات. وعلى هذا الأساس، تتوخّى الشراكة لتطوير هذه المناطق، وشقّ طرق لتسهيل التبادلات السلعيّة بين آسيا والقارة العجوز، في نطاق احترام القانون الدولي والأخذ في الاعتبار مصالح الجماعات المحلية. وبحكم الموقع الاستراتيجي الذي تحتلّه جزيرة غرينلاند في المدى القطبي الشمالي، فإنّها في قلب الطموحات الصينية منذ بدايات الألفية الجديدة. ومدّت القيادة الصينية يدها نحو سلطات الجزيرة، عارضة التعاون الاقتصادي والتجاري. وتجاوب وزير التنمية الغرينلاندي طارحًا رغبة بلاده في تعميق أواصر الشراكة، كما هو الحال مع أفرقاء دوليين آخرين، ويقصد بالطبع، الولايات المتّحدة الأميركية والفيديرالية الروسية. وطفا على سطح الوقائع أنّ بكين هي الزبون الأول لصادرات الصيد البحري في الجزيرة، ما يكشف عن تداخل مصالح بين العاصمة الصينية ونوك عاصمة غرينلاند. يبقى بند التنقيب عن الموارد المعدنية الخالصة، وهو الأكثر حساسية وسخونة. فالأميركيون يتصدّون بقوة لهذا المسعى الصيني، وحاولت بكين الالتفاف على هذا «الفيتو» الترامبي من خلال الحوار مع سلطات نوك المحلية. وفي وثيقة رسمية تعود إلى العام 2021، تؤكّد أنّ شركاتها تلتزم احترام البيئة والقوانين مرعية الإجراء، وفق خيارات السكان، والعسكرة بعيدة كل البعد عن هذه السلوكيات السلمية. أمّا عن مفاعيل الاحتباس الحراري التي تذيب طبقات الجليد القطبي، فيؤكّد الصينيون أنهم ملتزمون الحفاظ على البيئة ومحاربة التلوّث. فهل العروض مجرّد لعبة إغراءات للتودّد إلى سلطات الجزيرة البيضاء أم أنها لعبة نَصْب أفخاخ لقطاف مصالح تجارية وسياسية؟ الذين يجيبون عن هذا السؤال يقولون إنّ المعادلة الصينية مزيج من الالتزام المبدئي وذرّ الرماد في العيون، وبكين مقاول صعب، وأولويتها الكوريدورات التجارية.

إغراءات البيزنس الروسي

أين تقف موسكو فوق رقعة الشطرنج القطبية؟ قبل العام 2022، كانت العاصمة الروسية لاعبًا محوريًّا في جزيرة غرينلاند وتملك 7 سفن مخصّصة لكسر الجليد وحفر الممرات التي تسلكها البواخر التجارية. ووسّعت بيكار اهتمامها نحو الجزر المتجمّدة الأخرى، على خلفية اقتصادية وجيو - استراتيجية. ومنذ الشرارة الأولى للحرب الروسية - الأوكرانية في 24 شباط 2022، غابت جزيرة المعادن النفيسة عن شاشة الأولويات البوتينية. وتفرّغ سيد الكرملين لـ «اللعبة الوحيدة في المدينة» وهي كييف ورئيسها فولوديمير زيلنسكي، تاركًا مسألة القطب الشمالي وجزره، وهي استراتيجية بكل معنى الكلمة، لنائبه صاحب الخطاب الناري، ديمتري ميدفيديف، حامل العصا الغليظة في وجه كل أعداء بلاده، وتقييمه لغرينلاند أنها منطقة شديدة الجاذبية على المستوى الاستراتيجي والجيو - سياسي، وذات طاقة اقتصادية واعدة، وفي جعبته حزمة مشاريع، الهدف منها مياهها الشمالية. بالطبع، تعارض العاصمة الروسية بشدّة صفقة ترامب ومآلاتها الهادفة إلى وضع اليد على الجزيرة، وتتّهمه بـ «الدَّوس على المصالح الوطنية للكرملين» وفق رئيس المعهد البحري الروسي نيكولاي باتروشيف بمناسبة تدشين كاسحة الجليد الجديدة ستالينغراد، وتحمل الرقم 7 في التشكيلة التي تنتمي إليها، وهي مخصّصة لمواكبة السفن الروسية في معارج القطب الشمالي. وسخِر هذا المسؤول الذي قاد ذات يوم جهاز المخابرات الروسية الخارجية (SVR) من واشنطن التي لا تملك أي كاسحة جليد تعمل بالوقود النووي. أمّا كندا، فلديها كاسحات على الورق فقط، فيما الأوروبيون يؤثرون الكاسحات التي تعمل بالديزل وهي محدودة الفاعلية. ويرى ديمتري Tortev (مسؤول في مجلس الدوما - مجلس النواب) «إنّ التركيز على الأراضي العذراء المتجمّدة في القطب الشمالي من شأنه تحفيز أمّتنا على تحديث بناها التحتية في كل الواجهة البحرية الشمالية للفيديرالية الروسية. وهذه الخطة تشمل 10 مرافئ تمتد من Mourmansk، المدينة الأكثر اكتظاظاً الواقعة وراء الدائرة القطبية الشمالية والقريبة من مملكة النروج، إلى جزيرة سخالين الواقعة شمالي اليابان. وهذا القوس الحيوي للتجارة يُسميه الروس «شريان الشمال البحري».

أولويات مختلفة

وإذا كان اللاعبان المحوريان فوق حلبة القطب الشمالي، أي الصين وروسيا، يُصرّان على اقتطاع «قرص» في «عرس» القطب الشمالي لأغراض الترانزيت والتجارة والمبادلات السلعية، فكيف يتحدّاهما ترامب، ويُعلن أنه يريد السيطرة على غرينلاند وضمّها إلى الولايات المتّحدة الأميركية؟ اللافت في هذا السياق أنّ أولويات موسكو وبكين في الجزيرة تجارية، وتتلخّص في الربط بين القارات وتسهيل الاستيراد والتصدير. أما اهتمامات واشنطن، فهي عسكرية - استراتيجية في المقام الأول، تليها اعتبارات الاقتصاد، والسياحة والموارد المعدنية الثمينة. إنها تطلّعات اسبارطية في مقابل سلاسة البيع والشراء، والعرض والطلب، فضلاً عن سلاسل التوريد التي يراهن عليها الصينيون والروس. ويقول باحثون في معهد الأبحاث الاستراتيجية التابع للمدرسة الحربية الفرنسية، ومقرّه باريس، إنّ الأميركيين استفادوا منذ زمن بعيد من المزايا والمميّزات الجغرافية العديدة لجزيرة غرينلاند. هناك أولاً موقعها في منتصف الطريق، بين نيويورك وموسكو، وفيها تقوم قاعدة بيتوفيك (Pituffik)، توليه (Thulé) سابقًا، التي لعبت دورًا حاسمًا في تموضع القاذفات الاستراتيجية الأميركية وشبكة الرادارات الجو - فضائية الخاصة بأميركا الشمالية. والاتفاق المبرم ثانيًا، بينهم وبين مملكة الدنمارك في العام 1951 يسمح لهم بالقيام بكل ما يريدون، على قاعدة الشراكة في المهمات العسكرية. وعلى الرغم من العسكرة التي سادت في السنوات الأخيرة، فإنّ القواعد الروسية والأميركية في منطقة القطب الشمالي تبقى الآن أقل تعقيدًا ممّا كانت عليه زمن الحرب الباردة (1947 – 1991) حتى أنّ البنتاغون تخلّى عن العديد من المنشآت التي ترقى إلى حقبة الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945). والباحثون الفرنسيون أنفسهم يقولون إنّ مسألة موارد الطاقة والمعادن الثمينة مُبالغ فيها، ولا يشاطرون الأنغلوساكسون إسقاطاتهم المسرفة في التفاؤل. وهذه المسألة تتجاهل في غالبية الأحيان مصاعب التنقيب والاستثمار والشحن التي أحبطت العديد من الخطط. والأراضي النادرة كما تُسمّى، موزّعة على مناطق متباعدة ونائية فوق معطف غرينلاند الأبيض، ومعالجة موادها الأولية تستلزم أموالاً ضخمة، فضلاً عن كونها شديدة التلوّث، وتفرز بشكل خاص نفايات إشعاعية النشاط.

الأسباب العميقة لمشروع الاستئثار

منذ الساعات الأولى للولاية الثانية في البيت الأبيض كشف الرئيس ترامب عن رغبة جامحة في تغيير الخرائط والتلاعب بها. وقال في أحد تصريحاته إنّ «النقطة - الذروة لأميركا الشمالية، وتقع في ألاسكا (Alaska)، لن تُسمّى بعد اليوم جبل دينالي (Denali)، كما هو الأمر منذ أجيال، إنما جبل ماكينلي، في إشارة مرجعية إلى الرئيس الأميركي الخامس والعشرين، وليام ماكينلي (1897 – 1901) الذي مات اغتيالاً، بعد أن ضمّ بورتوريكو، وغوام (جزيرة في المحيط الهادي)، وجزر هاواي، والفليبين، وجزر ساموا، من دون أن يأخذ في الاعتبار موقف السكان الأصليين. وترامب على خطى ماكينلي، يبدو أنه لا يقيم أي وزن لمملكة الدنمارك، ذات الهوى والدور الأطلسي، والزبون الوفي للصناعات العسكرية الأميركية. والمثير كما يقول الباحث السياسي الفرنسي Philippe Descamps في لوموند دبلوماتيك (عدد شباط 2026) أن يستعيد ترامب إيديولوجيا اللاهوتي الفرنسي جان كالفان

”يرتبط الاستئثار بمناجم الثروة بتوازنات عسكرية واستراتيجية جديدة، فضلاً عن شقّ طرق وممرات ملاحية حديثة كشرايين للتجارة العالمية، وسوى ذلك. لكل هذه الأسباب، تحوّلت منطقة شمالي القطب الشمالي إلى مفترق استراتيجي حيوي على تقاطع المتغيرات المتلاحقة والرهانات الأمنية المتشعبّة، فضلاً عن المطامع الاقتصادية والتجارية.“

(1509-1564) وهو الإصلاحي البروتستانتي الذي اعتنق مذهبه العديد من الأميركيين والغربيين، وهي «الصيرورة الجليّة» التي برّرت أو سوّغت الاستيلاء على ولاية تكساس، جنوبي الولايات المتّحدة، المتاخمة للمكسيك. وظهرت عبارة «الصيرورة الجليّة» في العام 1845 للدلالة على الصيغة الأميركية المحافظة للأيديولوجية الكالفينية التي بموجبها، يحقّ للأمة الأميركية التمدّد الجغرافي وضمّ أراضٍ إليها من أجل نقلها من طور التخلّف الحضاري إلى زمن الرقّي والتنوير. وفي المنطق الكالفيني، هذا الدور هو بمثابة رسالة ومهمّة مقدّسة وفرض واجب. هذه العقيدة لم يهضمها جزء من الرأي العام الأميركي، وتحفّظ عليها بعض أعضاء الكونغرس بمن فيهم الجمهوريون. ومن أجل تطويع جبهة الرفض واحتوائها، لجأ الرؤساء الجمهوريون منذ بدايات القرن العشرين، إلى ربط هذه الأيديولوجيا بالعديد من الالتزامات القانونية الدولية مثل الاعتراف بالسيادة الدنماركية على غرينلاند في العام 1917 في مقابل شراء «الجزر العذارى» الواقعة في الحوض الكاريبي. باعت الدنمارك هذه الجزر بدوافع مالية، وهزّت هذه الصفقة أسس اتفاقية حلف شمالي الأطلسي (4 نيسان 1949) المرصودة على «توثيق التعاون السلمي والدفاع المشترك بين الموقّعين عليها». كما أنّها أرعبت الدول الأوروبية التي تملك أراضي ما وراء البحار في الجزء الغربي من الكرة الأرضية مثل فرنسا، وبريطانيا، وهولندا، وإيسلندا، والنروج. وفي منتدى دافوس في سويسرا، عادت حليمة إلى عادتها القديمة، إذ شدّد الرئيس الأميركي على «حقّ بلاده» في شراء أو استئجار جزيرة غرينلاند كبديلٍ من الاحتلال «الخشن».

تراجع تكتيكي ومهادنة ملغومة

لم يمر هذا الموقف من دون ردّ من سلطات الجزيرة البيضاء. وانبرت رئيسة «المجلس القطبي» سارا أولسفيغ (Sara Olsvig) في مطالعة

لنقض عقيدة الرئيس دونالد ترامب التي لا تمنح سوى سيادة محدودة لجيرانها. وجاء فيها «الزمن تغيّر منذ الحقبة التاريخية التي كانت فيها أراضي الإنويت (إسكيمو - سكان الجزيرة الأصليون) بمثابة سلع تُباع وتُشترى». وأصرّت على السير بتؤدة وثبات نحو الاستقلال. ونشرت الأحزاب الخمسة المتمثّلة في البرلمان الغرينلاندي ردًّا مشتركًا حدّدت فيه موقفها من التطوّرات والمساومات. جاء فيه «أنّ الجهد المبذول من أجل مستقبل غرينلاند يجب أن يتم بالتشاور والتنسيق مع القواعد الشعبية الغرينلاندية استنادًا إلى القانون الدولي والتشريعات الخاصة بالحكم الذاتي. ولا نسمح لأي دولة أخرى بالتدخّل في هذه العملية، ونحن نقرّر بأنفسنا مستقبل جزيرتنا من دون ضغوط تجبرنا على التسرّع في اعتماد الخيار النهائي». وأدلى رئيس الحكومة الغرينلاندية ينس - فرديريك نيلسن بدلوه في المعمعة حاسمًا الخيار والقرار قائلًا: «إذا اضطُررنا للمفاوضة بين الولايات المتّحدة والدنمارك، فإننا من دون شك نختار الدنمارك». وفي 15 كانون الثاني الماضي، التقى وزير الخارجية الدنماركي لارس لوك راسموسين في البيت الأبيض نظيره الأميركي ماركو روبيو (يتحدّر من أصول كوبية)، وانتهى اللقاء إلى «سوء تفاهم جوهري». وفي اليوم ذاته، أوفد الأوروبيون نحو 40 ضابطاً لتهيئة الساحة الجليدية القطبية لانتشار عسكري محتمل. وتخلّت رئيسة الحكومة الدنماركية ميتي فريدريكسن عن خطابها المعتدل، وارتدت البزة المرقطة، محذّرة من أنّ «أي هجوم أميركي على الجزيرة التابعة لنا، ونحن أعضاء في منظمة الحلف الأطلسي، يعني أنّ كل شيء انتهى على مستوى الناتو والقانون الدولي». وأمام هذه الوقفة الدفاعية، تراجع ترامب معلناً أنه لن يستخدم القوّة، وتخلّى عن تدابيره التجارية الانتقامية، كاشفًا عن خطّة عسكرية فضفاضة يقوم بها مع الأطلسيين لحماية منطقة القطب الشمالي من محاولات الهيمنة الروسية والصينية.

محاولة سابقة

غرينلاند كيان يتمتّع بالحكم الذاتي تحت مظلة النظام الدستوري لمملكة الدنمارك. وأبرز مواردها: النفط، الغاز، الذهب، الماس، اليورانيوم، الزنك والرصاص.
حاول الرئيس الأميركي الثالث والثلاثون هاري ترومان (1945 - 1953) شراء الجزيرة في العام 1946 مقابل 100 مليون دولار... لكن كوبنهاغن رفضت.

هل انتهت اللعبة؟

لم تنتهِ «اللعبة الكبرى» عند هذا الحدّ، فبعد قيلولة طويلة على هامش النظام السياسي العالمي بدت خلالها كضاحيةٍ نائية تكسوها طبقات الجليد ويغمرها الصقيع القطبي، ما أبعدها عن ديناميات النفوذ، تبرز منطقة شمالي القطب الشمالي كنقطة تقاطع لتجاذبات وتوتّرات راهنة. فهناك، من جهة، الاحترار المناخي الذي يؤثّر في هذا المدى الجغرافي الأبيض اللامتناهي، ومن جهة ثانية، السباق اللاهث بين ثلاثة عمالقة للوصول إلى الموارد والثروات الدفينة واستخراجها واستغلالها. ويرتبط الاستئثار بمناجم الثروة بتوازنات عسكرية واستراتيجية جديدة، فضلًا عن شقّ طرق وممرات ملاحية حديثة كشرايين للتجارة العالمية، وسوى ذلك. لكل هذه الأسباب، تحوّلت هذه المنطقة إلى مفترق استراتيجي حيوي على تقاطع المتغيرات المتلاحقة والرهانات الأمنية المتشعبّة، فضلًا عن المطامع الاقتصادية والتجارية. ولذلك تتخوّف رئيسة وزراء كوبنهاغن من ألّا يتخلّى الرئيس ترامب عن مآلات الخطة التي صاغها البنتاغون لوضع اليد على غرينلاند، والتحكّم بمفاصلها الطبيعية، على الرغم من المهادنة المرحلية. والزمن سوف يلعب دوره في هذا الإطار، مع العلم أنّ مملكة الدنمارك والسلطات الغرينلاندية تمتلكان القليل من وسائط المواجهة أمام لاعب قادرٍ على السيطرة على الجزيرة في وقتٍ قصير.

المراجع

1- Institut polaire français Paul-Emile Victor (IPEV) – Technopole Brest – Iroise - Rapports d'activité 2025-2026
2- « La coopération Chine-Russie en Arctique : les principaux enjeux et perspectives du développement de la route de la soie polaire – Regards géopolitiques » - 2024 – Auteurs : O. Alexeeva – F. Lasserre – G. Alberola – L. Brodt.
3- « Groenland entre indépendance et récupération géostratégique : Enjeux, défis et opportunités » - Editeur : L'Harmattan. Auteurs : Viviane du Castel et Paulo Brito – 2024 – Paris
4- « Groenland, l'Île continent » - de Raphael Sané, Alian Bidart et Samuel Blanc – date de publication : octobre 2023 – Editeur : Omniscience – Paris
5- « Groenland : Tout ce que vous devez savoir » - DE Noah Gil-Smith, Editeur : Independently Published – Date de parution : novembre 2024
6- « Géopolitique du brise-glace » - de Sandrine Baccaro et Philippe Descamps – le Monde diplomatique – Avril 2020
7- « Au Groenland, l'indépendance à petits pas » - Le Monde diplomatique – Philippe Descamps – Février 2023

weber
SAINT-GOBAIN

سوا منعمّر

مواد لمنع النش
Waterproofing solutions

03 104 638

SODAMCO S.A.L. - Naher-El-Mot Warehouse - Main Str. Jdeideh, Roumieh Highway

SAINT-GOBAIN

لبنان على طريق الهند – أوروبا؟!

د. ألكسندر أبي يونس
باحث وأستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

في 9 أيلول 2023 أطلقت قمة مجموعة العشرين* في نيودلهي مشروع الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا المعروف باللغة الإنكليزية بالـ IMEC أي India–Middle East–Europe Economic Corridor. وقد وصفه الرئيس الأميركي دونالد ترامب بأنّه "أحد أعظم الطرق التجارية في التاريخ" لأنّه يُعدّ تحوّلاً جيو - سياسيًا وجيو -اقتصاديًا.
للوهلة الأولى، ظنّ البعض أنّ هذا المشروع هو ردّ أميركي - غربي على مبادرة الحزام والطريق الصينية، لكن في الواقع، معظم الدول التي وقّعت** مذكّرة التفاهم الخاصة به، لديها علاقات تجارية مع الصين التي هي عضو في مجموعة العشرين.

بينما يركّز المخطط على ربط الهند بالإمارات العربية المتحدة والسعودية والأردن «وإسرائيل» وصولاً إلى أوروبا على امتداد 6400 كلم وبتكلفة مقدّرة بـ 500 مليار يورو، يَبرز تساؤل جوهري حول موقع لبنان من هذا الطريق الاستراتيجي، ذلك أنّ مسار ربط الهند بأوروبا يعتمد على طرق برية وبحرية عبر شبكة متكاملة من السكك الحديدية والمرافئ التي ستمر عبر الإمارات والسعودية، ثم برًّا إلى الأردن ومنها إلى ميناء حيفا، ومن ثم بحرًا إلى أوروبا. وهو منظومة متكاملة تشمل كابلات البيانات لربط الاتصالات الرقمية بين القارات، وأنابيب الهيدروجين النظيف لدعم تحوّل الطاقة في أوروبا التي توفّر مصدر طاقة بديلًا عن الغاز الطبيعي والهيدروكربونات الأخرى من روسيا، وتخفّض وقت الشحن بنسبة 40٪ والتكاليف بنسبة 30٪ مقارنةً بقناة السويس. غير أنّ ذلك يستدعي التغلّب على عقبات تقنية ومالية، ويتطلّب بناء البنى التحتية الضرورية في كل دولة مشاركة في هذا المشروع.

وعلى الرغم من أنّ الخرائط الأولية للممر تمر عبر ميناء حيفا، إلّا أنّ هناك اعتبارات تجعل من لبنان نقطة جذب تقنية واقتصادية إذا ما توافرت الظروف الملائمة.

في هذا الإطار، زار المبعوث الفرنسي الخاص للمشروع، Gérard Mestrallet، لبنان في 25 شباط 2026، وصرّح بأنّ «فرنسا مُقتنعة بأنّ دور لبنان مهمّ في هذا الممر، وبأنّه جسر عبور بين الشرق والغرب، وهو يمتلك مقوّمات قوية كمرفأ بيروت ومرفأ طرابلس اللذين يمكن توسيعهما، ما يجعله مرشّحًا طبيعيًا للانضمام إلى المشروع، ليعيد توطين نفسه اقتصاديًا ضمن شبكات التجارة العالمية». يبدو الدفع الدبلوماسي الفرنسي واضح الازدواجية، فهو مزيج من طموح فرنسا الاستراتيجي الذي التقى مع إعادة تموضع بيروت في النظام الاقتصادي الإقليمي والدولي. وقد عبّرت الدولة اللبنانية عن استعدادها للانخراط في هذه المبادرة، غير أنّ الواقعية الاقتصادية تفرض مقاربة منطقية حول قدرة لبنان للانتقال من محطّة هامشية إلى لاعب مؤثّر، في ظل منافسة إقليمية حادّة على استقطاب مسارات التجارة العالمية.

بعد يوم واحد من زيارة المبعوث الفرنسي لبنان، زار رئيس الحكومة الهندية ناريندرا مودي «إسرائيل» ووقّع مع رئيس حكومتها بنيامين نتنياهو على أضخم حزمة اتفاقيات هندية - إسرائيلية بقيمة 8 مليارات دولار، ركّزت على الأمن السيبراني والذكاء الاصطناعي العسكري. بعد

يومين من هذه الزيارة، اندلعت الحرب في المنطقة (28 شباط 2026)، وأدت إلى إغلاق مضيق هرمز وارتفاع سعر برميل النفط، وازدادت أهمية خطوط الاتصال بالنسبة إلى جميع دول الخليج، سواء كانت سككًا حديدية أو خطوطاً بحرية أخرى. فهذه الخطوط تُعدّ ضرورية لتحقيق تنوّع المسارات، بخاصةٍ في ما يتعلّق بتصدير منتجات الطاقة المختلفة، وتطوير صناعة التعدين، وضمان الإمدادات الغذائية. في ظل هذا الواقع، يكتسب مشروع ممر الهند - الشرق الأوسط الذي سيضمن أمن الطاقة، بخاصةٍ في أوروبا مزيدًا من الأهمية، وهو سيعيد رسم موازين القوى في المنطقة.

مسار المشروع يصنّف الدول بين مستفيدة ومتضرّرة

نصّت مذكرة التفاهم التي تمّ توقيعها في نيودلهي سنة 2023 على تطوير ممرّين يشكّلان رابطاً مدعوماً بمجموعةٍ من البنى التحتية، سواء

> "إذا استطاع لبنان الانخراط في مشروع IMEC، فإنّه سيتمكن من استقطاب استثمارات هندية وأوروبية لتطوير الموانئ والمناطق الحرة وخلق فرص عمل في قطاعات اللوجستيات والتكنولوجيا وصناعات إعادة التصدير. وستنخفض كلفة الاستيراد بفضل تنوّع مصادر السلع الأساسية القادمة من الهند وجنوب شرق آسيا بأسعار تنافسية."

تلك المشيّدة مُسبقًا أو التي ستُشيّد حديثاً. يربط الممر الشرقي الهند بالخليج العربي، بينما يربط الممر الشمالي الخليج العربي بأوروبا. ويبرز نظام السكك الحديدية التقليدي لتسهيل حركة السلع والخدمات بين الهند والإمارات العربية المتحدة والسعودية والأردن، فميناء حيفا، فأوروبا، وتحديدًا ميناء بيرايوس في اليونان. تتولّى تشغيل هذا الميناء جزئيًا عبر البحر المتوسط شركة «كوسكو» الصينية، من خلال شبكة عبور تتألّف من السفن والسكك الحديدية. ويشمل المشروع تركيب كابلات الطاقة والاتصال الرقمي على طول خط السكك الحديدية، بالإضافة إلى إنشاء قناة لتصدير الهيدروجين النظيف من الخليج إلى أوروبا.

يطرح هذا المسار الذي يتجاوز قناة السويس تساؤلات حول التداعيات على الاقتصاد المصري، إذ تشكّل القناة شرياناً تجاريًا عالميًا أساسيًا، وتدرّ لمصر عائدات هائلة وصلت في العام 2023 إلى 9,4 مليار دولار. لذا، فإنّ مشروع IMEC يضر بمصر لأنه ينافس قناة السويس.

بدورها، أعربت تركيا عن معارضتها الشديدة لهذا الممر، وصرّح رئيسها رجب طيب أردوغان «إنّه لن يكون هناك ممرّ من دون تركيا»، مشدّدًا على أنّ أي ممرّ اقتصادي حيوي في المنطقة يجب أن يتضمّن مشاركة بلاده، ما يطرح تعقيدات تعرقل نجاح المشروع. وخير دليل على ذلك الإعلان عن مشروع طريق التنمية الذي يهدف إلى ربط الخليج العربي بأوروبا عبر العراق وتركيا من خلال شبكة نقل بري وسكك حديدية لنقل

تقدّم حزمةً شاملة، من تطوير البنى التحتية والتمويل والفرص التجارية التي تجذب بلداناً متعدّدة في المنطقة. إلى ذلك، تزيد هيمنة الصين بصفتها أكبر مستهلك لصادرات الهيدروكربونات الخليجية الأمور تعقيدًا. وفي ظلّ غياب بديلٍ مضمون وفوري، فإنّ التكاليف المحتملة لتعريض هذه العلاقات مع الصين للخطر تفوق المكاسب غير المؤكّدة المرتبطة بتأييد مشروع الممرّ، بخاصةٍ وأنّ دول الخليج تميل إلى تنويع شراكاتها وانتهاج سياسة خارجية مستقلّة عن واشنطن، والتواصل مع كوريا الجنوبية واليابان وإندونيسيا، بدلاً من دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

"لقد أثبت استهداف ناقلات الطاقة خلال الحروب والتوترات في منطقة الشرق الأوسط، أنّ الطرق البحرية التقليدية غير آمنة، مما يحوّل الممر الهندي – الأوروبي من مجرّد خيار مستقبلي مطروح إلى ضرورة عاجلة يفرضها الأمر الواقع للبقاء الاقتصادي."

البضائع بين المنطقتين. وبالفعل، وقّعت كل من تركيا والعراق وقطر والإمارات في بغداد على اتفاقية هذا الطريق في 22 نيسان 2024.

بالنسبة إلى الأردن، ليس هناك أدلة كثيرة على وجود فرص تجارية واستثمارية يتيحها له مشروع طريق الهند – أوروبا. وفي ما يخصّ دول مجلس التعاون الخليجي، فثمة دول مثل عُمان، هي خارج المشروع برمّته، فضلاً عن أنّه لن يتم استخدام السكك الحديدية لدول المجلس التي تمّ إنشاؤها سنة 2022 بشكلٍ كامل في هذا الممر.

يرى البعض أنّ ممر IMEC يمكن أن يشكّل بديلًا نسبيًا عن مضيق باب المندب ومضيق هرمز اللذين يُعتبران منطقتَي توتر جيوسياسي، لكنّ مسار هذا الطريق يتطلّب المرور الجزئي عبر مضيق هرمز، ومن المحتمل أن يكون مشروع IMEC غير قابل للتنفيذ، نظرًا لغياب بديلٍ واضح، بخاصةٍ وأنّ دولاً مشاركة في هذا المشروع منخرطة في استثمارات ومشاريع مرتبطة بمبادرة الحزام والطريق الصينية التي

أين موقع لبنان في المشروع؟

هناك رأي يميّز بين الشركاء المؤسّسين للمشروع بصفتهم الوطنية، والشركاء غير الأساسيين الذين يتخذون صفة شريك جغرافي في مسار الربط البري، ما يتيح لهم الاستفادة من رسوم العبور، وتطوير البنية التحتية، وتعزيز موقعهم كمحاور لوجستية إقليمية. أما على المستوى التنفيذي، فتبرز شركات تشغيل المرافئ، ومشغّلو السكك الحديدية، وشركات الشحن العالمية، إضافة إلى مطوّري مشاريع الطاقة النظيفة والربط الكهربائي والهيدروجين الأخضر. وثمة مستفيدون غير مباشرين، مثل قطاعات التمويل والتأمين والخدمات اللوجستية، ودول في شرق المتوسط قد تسعى للانضمام إلى مقدّمي الخدمات، بما يتيح لها إعادة التموضع ضمن الخريطة الجيو - اقتصادية الجديدة، وهنا يُذكر اسم لبنان بقوة.

تحاول فرنسا تغيير مسار الممر لإدخال لبنان في المشروع ليصبح كالآتي: يبدأ بالهند، يمر بالإمارات، السعودية، «إسرائيل»، الأردن، فلبنان، ومنه إلى أوروبا في ظل احتمال انضمام كل من: مصر، عمان، سوريا، وقبرص. وقد وعدت فرنسا لبنان بأن يتم تعديل الخط بشكلٍ يجعله لا يمر من «إسرائيل» مباشرةً باتجاه لبنان.

لقد أثبت استهداف ناقلات الطاقة خلال الحرب بين الولايات المتحدة الأميركية و«إسرائيل» من جهة وإيران من جهة أخرى، أنّ الطرق البحرية التقليدية غير آمنة، مما يحوّل الممر الهندي - الأوروبي من مجرّد خيار مستقبلي مطروح إلى ضرورة عاجلة يفرضها الأمر الواقع للبقاء الاقتصادي. لكنّ الخوف هو أن تصبح «إسرائيل» قلب المنطقة النابض اقتصاديًا وتقنيًا، بينما يظل لبنان غارقًا في دخان الصراعات والحروب.

خلفيات المشروع

من خلفيات المشروع منافسة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لطريق الحرير الصيني، لكنّ الطرفَين يفتقدان القدرة على تمويل هذا الممر بالطريقة التي اعتمدتها الصين. فالأخيرة اعتمدت على قطاع البنوك المحليّة لتوسيع بنيتها التحتية وقدرتها على الاتصال بالأسواق الناشئة الجديدة، بينما يُعدّ الممر الهندي جزءًا من تعاون أوسع يشمل حكومات مجموعة السبع والمؤسسات المالية الدولية، ما يجعل الأمر معقدًا. فالظروف السياسية والاقتصادية الفريدة لكل بلد سوف

تفرض تحدّيات واختيارات متميزة. مع ذلك، يخدم الممر أمن الطاقة للدول الأوروبية ويسمح للولايات المتحدة بدعم التكامل الاقتصادي الإقليمي من خلال ربط شركائها الاستراتيجيين بالسكك الحديدية على الأقل، إلّا أنّه يبقى تصوّرًا سياسيًّا غربيًّا لتحقيق التوازن إذا ما نشب صراع مستقبلي مع الصين.

من خلفيات المشروع أيضًا، تعزيز الشراكة الاقتصادية الاستراتيجية بين الهند والولايات المتحدة و«إسرائيل» والإمارات العربية المتحدة التي وقّعت سنة 2022 بموجب اتفاق «I2U2». لذلك، يجب عدم النظر إلى ممر IMEC كمبادرة جديدة، بل أنّ الفكرة كانت تتطوّر وتتماشى مع التطور التكنولوجي، وتُبنى على اتفاقات أبراهام للعام 2020 التي تربط المصالح الاستثمارية والتعاون التكنولوجي بين الإمارات و«إسرائيل» مع الهند كموقعٍ للإنتاج والاستثمار المشترك.

بالنسبة إلى الهند، يمكن أن يخدم المشروع غرضًا مزدوجًا. ففي العام 2022، توصّلت الهند والإمارات إلى اتفاقية CEPA للشراكة الاقتصادية الشاملة والتي تهدف إلى توفير إمدادات طاقة آمنة بأسعار معقولة للاقتصاد الهندي. ومن المتوقّع أن تصل قيمة التجارة بينهما في العام 2027 إلى 100 مليار دولار. وبالنسبة إلى الموانئ السعودية الجديدة، سيظلّ البحر الأحمر ممرًّا حيويًّا وموقعًا لتطويرها. وإذا كانت السكك الحديدية من السعودية إلى ميناء حيفا عبر الأردن تتضمّن منشأة للهيدروجين، فقد يشكّل ذلك بعض التحدّيات، لأنّ المنشأة تقع في نيوم بالقرب من ساحل البحر الأحمر، وليس على طول الطريق الداخلي. ومع التوسّع السريع لاستثمارات دول الخليج في مشاريع الغاز في شرق البحر المتوسط، بخاصةٍ تلك التي تقوم بها شركة قطر للطاقة وأرامكو وأدنوك لتعزيز إنتاج الغاز الطبيعي في الداخل، فإنّ تصدير الغاز المُسال سيكون عاملًا محفّزًا لدفع تطوير اتصالات الموانئ في المستقبل المنظور. مع ذلك، لا بد من الإشارة إلى أن ممر IMEC ولو أنه يعالج أمن الطاقة في أوروبا لكنه لا يُغني عن الحل الكامل للتكامل الاقتصادي.

عقبات كبيرة

يواجه مشروع IMEC عقبات كبيرة أبرزها قلّة الثقة ما بين السعودية وإيران بخاصةٍ بعد الحرب الأميركية - الإسرائيلية على إيران ولجوء هذه الأخيرة إلى استهداف المصالح الأميركية في السعودية. كما أنّ العلاقات العدائية بين «إسرائيل» وإيران، والإبادة الجماعية المستمرّة في غزة، والحرب على لبنان، والأوضاع في سوريا واليمن تشكّل تحدّيًا كبيرًا لأمن السعودية وللممرّ الاقتصادي، ما يخلق وضعًا متقلّبًا على طول الحدود من شأنه أن يُعطّل بنى الممرّ التحتية لا سيّما خط السكك الحديدية المُقرَّر عبر السعودية والأردن. وقد تدفع الصراعات في غزة ولبنان واليمن وسوريا المستثمرين إلى التردّد في التزام الممرّ الاقتصادي، نظرًا للمخاطر المرتبطة بالعمل في بيئات متقلّبة. في نهاية المطاف، يُهدّد غياب السلام المستدام وجود الممرّ بحدّ ذاته، ما قد يؤدّي إلى زعزعة المشروع برمّته قبل أن يتحوّل إلى واقع ملموس على الأرض.

من جهة أخرى، يهدف الحراك الإسرائيلي على خط الممر إلى تشجيع تطبيع العلاقات مع الدول العربية، لكنّ هذا الهدف يواجه تحدّيات كبيرة. بالمقابل، فرضت حالة عدم الاستقرار السياسي الداخلي في «إسرائيل»، التي فاقمتها حروب غزة ولبنان وإيران، ضغوطاً هائلة على موارد البلاد المالية، ما يثير تساؤلات بشأن قدرتها على التزام مشروعٍ طموح مثل هذا الممرّ الاقتصادي. لقد فرض الصراع تبدّلاً في الأولويات، فحوّل موارد ضخمة إلى الإنفاق العسكري وحمّل سكان المناطق الحدودية تكاليف النزوح المستمرّ. وأقرّ وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش بأنّ «الاقتصاد الإسرائيلي يتحمّل عبء الحرب الأطول وأكثرها تكلفة في تاريخ إسرائيل». وقد أصبحت التداعيات الاقتصادية ملموسة مع خفض تصنيف «إسرائيل» الائتماني مرتين. كما أنّ جدوى الممرّ اللوجستية باتت تثير تساؤلات،

لا سيّما في ظلّ التحدّيات التي تواجه البنى التحتية الرئيسة مثل ميناء حيفا الذي يواجه مشاكل أمنية تُهدّد بعرقلة العمليات وزيادة التكاليف وتقويض ثقة المستثمرين.

ومن العقبات التي لا يزال يواجهها مشروع IMEC، استبعاد قطر ومصر وتركيا وإيران، الأمر الذي يثير تساؤلات حول شموليّة الممرّ وجدواه على المدى الطويل. كما أن الأردن يحاول أن يكون من اللاعبين الرئيسيين في المشروع وليس فقط نقطة عبور للممر.

لبنان في ميزان ممر IMEC

رغم أن الخرائط الأولية للممر تستثني لبنان من المشروع وتركّز على ميناء حيفا، إلّا أنّ هناك اعتبارات تجعل من لبنان نقطة جذب تقنيّة واقتصادية إذا ما توافرت الظروف الملائمة، أبرزها:

- مرفآ بيروت وطرابلس كمنفذَين رديفَين: يتمتّع مرفأ بيروت بموقع جغرافي فريد، فيما يمتاز مرفأ طرابلس بعمقه وقدرته الاستيعابية وقربه من الحدود السورية، ويمتلك المقوّمات ليصبح مركزاً لوجستيًا يربط الممر الاقتصادي بالداخل السوري وعمق آسيا الوسطى.

- الربط الرقمي والطاقوي: بما أنّ المشروع يشمل كابلات ألياف بصرية ونقل طاقة، يمكن للبنان أن يتحوّل إلى منصة بيانات إقليمية. البنية التحتية البحرية الحالية للبنان غير جيدة لذا يمكن ربطها بمبادرات الممر لتعزيز سرعة الإنترنت وتقليل تكاليف الطاقة.

- التكامل مع شبكة السكك الحديدية العربية: تاريخيًا، كان لبنان جزءًا من «خط حديد حيدر باشا» لسنة 1908 الذي يربط أوروبا بالخليج. إحياء هذا الدور ضمن رؤية الممر الاقتصادي يعيد للبنان ثقله كجسرٍ تجاري بين الشرق والغرب. كما أنّ بيروت كانت جزءًا من المشروع الألماني BBB (برلين – بيروت – بغداد). وقد اشتهر لبنان بمحطتَي رياق وطرابلس اللتين وصلتا لبنان بالعالم العربي وأوروبا (خط بيروت - دمشق دُشّن سنة 1895، ومحطة طرابلس دُشّنت سنة 1911).

بالمقابل، لا يخلو مسار لبنان نحو هذا المشروع من تعقيدات وتحدّيات جيوسياسية شائكة، منها المنافسة الإقليمية بين موانئ المنطقة (حيفا، دبي، وجدّة) الأمر الذي يفرض على لبنان تقديم ميزات تفضيلية وسرعة في التحديث، بخاصةٍ وأن بنيته التحتية

متهالكة، ويعاني نقصًا حادًا في الطاقة الكهربائية، وضعفًا في شبكات النقل البري، وغياب السكك الحديدية، كل ذلك يعيق القدرة على استيعاب تدفقات تجارية ضخمة. وتبقى النقطة الأهم وهي أن لبنان يتطلّب استقرارًا سياسيًا للانخراط في ممرات دولية، وتأمين استقرار تشريعي وأمني طويل الأمد لطمأنة المستثمرين الدّوليين.

التقاء المصالح بين فرنسا ولبنان في ممر IMEC

تسعى فرنسا إلى إدخال لبنان في مشروع IMEC لأسبابٍ استراتيجية، اقتصادية، وجيوسياسية، تهدف إلى إعادة تموضع لبنان في خريطة التجارة العالمية وتعزيز النفوذ الفرنسي في شرق المتوسط. ويمكن تلخيص الأسباب الرئيسية في النقاط الآتية:

- تعزيز الدور الاستراتيجي للبنان (جسر عبور): ترى فرنسا في لبنان جسرًا طبيعيًا وتاريخيًا بين الشرق والغرب، وتريد إعادة تفعيل هذا الدور عبر مرفأي بيروت وطرابلس كحلقة وصل أساسية في نقل البضائع

والطاقة والألياف البصرية، من الخليج إلى أوروبا عبر المتوسط.

- فوائد اقتصادية ضخمة: يهدف الدفع الفرنسي إلى إنعاش الاقتصاد اللبناني المنهار، فيتحوّل لبنان من دولة منكوبة اقتصاديًا إلى نقطة ارتكاز إقليمية مما يحقق له مكاسب اقتصادية، ويعيد تعزيز النفوذ الفرنسي التقليدي في المنطقة.

- تعديل مسار الممر لخدمة الشراكة الفرنسية - المتوسطية: في حين أنّ التصوّر الأوّلي للمشروع يمر عبر حيفا فقط، تسعى فرنسا إلى دمج لبنان وتحويله إلى عقدة وصل ضمن شبكة فرنسية - متوسطية، ما يمنح باريس ورقة استراتيجية قوية في المنطقة.

- إعادة إعمار البنية التحتية والاستثمار: تسعى فرنسا من خلال شركاتها مثل CMA CGM، إلى تطوير مرفأي بيروت وطرابلس وإدراجهما ضمن استثمارات ضخمة مرتبطة بالممر، بخاصةٍ وأنّ لبنان يفتقد إلى شبكة سكك حديد حديثة تربط المرافئ اللبنانية بالداخل العربي، فضلًا عن ضعف الاستثمار في الأنظمة الرقمية وإدارة سلاسل الإمداد، ما يفرض حاجة ملحّة إلى استثمارات هائلة لتحديث البنية التحتية وفق المعايير العالمية. قبل انفجار 4 آب 2020، كان مرفأ بيروت من أهم المرافئ في المنطقة، وكان قادرًا على استيعاب أكثر من مليون حاوية سنويًا، كما كان يشكّل حلقة مركزية في التجارة اللبنانية والإقليمية. لكن الانفجار أدّى إلى أضرار هائلة فاقت 15 مليار دولار في البنى التحتية وأضعف كفاءته اللوجستية، ما دفع العديد من خطوط الشحن إلى تحويل مسارها صوب مرافئ بديلة في المنطقة، منها ميناء حيفا. وقد كانت فرنسا الأولى في المبادرة إلى المشاركة في خطط إعادة إعمار المرفأ وتطويره بشكلٍ عصري من خلال شركاتها.

- مشروع سلام واستقرار جيو - سياسي: تَعتبر فرنسا الممر «مشروع سل» يربط الدول اقتصاديًا ببعضها، مما يساعد في تثبيت الاستقرار، ودعم المؤسسات اللبنانية، وإعادة دمج لبنان في محيطه العربي والخليجي.

أدركت فرنسا حساسية حصر المشروع بمرفأ حيفا، لذلك تدفع باتجاه توسيع الشراكات مع القطاع الخاص بهدف تسريع بناء البنى التحتية القادرة على منح مرفأي لبنان القدرة على المنافسة. بالإضافة إلى ذلك، شجّعت باريس على إنشاء ممرّات بحرية وبرية تشمل لبنان وسوريا والعراق، وبالفعل بدأت سوريا العمل على تحقيق مشروع نقل نفط العراق عبر أنابيب تمر عبر أراضيها إلى البحر المتوسط. ويجري العمل على تفعيل ربط مرافئ بيروت وطرابلس وطرطوس واللاذقية، عبر البحر وبشبكات نقل برية وجوية تمتد داخل سوريا وصولاً إلى العراق. وتقوم المرحلة الأولى على توسيع القدرة التشغيلية لهذه المرافئ وتعزيز طاقتها الاستيعابية، بالتوازي مع إنشاء منصّات حاويات داخل العمق البري في سوريا ولبنان (البقاع مثلًا)، على أن تُعامل كمناطق حرة، مع حصر النقل في المرحلة الأولى بالشاحنات. وتتضمن المراحل اللاحقة إنشاء شبكة سكك حديد تربط بين المرافئ المذكورة، واستخدام مطارات ثانوية كمراكز للنقل والشحن الجوي، مثل مطار حامات.

ويقع الحراك الفرنسي ضمن استراتيجية أوسع لإعادة تثبيت النفوذ الفرنسي في شرق المتوسط، إذ يبرز دور شركة CMA CGM التي عزّزت حضورها في لبنان منذ العام 2020، وتولّت إدارة محطات الحاويات في بيروت وطرابلس، واشترت أسهم كبرى الشركات اللبنانية مثل «مجموعة فتّال» و«مجموعة الرفاعي» و«شركة سوشيه»، ومستودعات في البقاع، وحصة من شركة Merit Invest وليبان بوست. يؤسّس هذا الحضور لشبكة لوجستية فرنسية متكاملة من الشحن إلى التوزيع النهائي، قد تشكّل مسارًا بديلًا أو مكمّلًا للممر الهندي - الأوروبي يربط الموانئ اللبنانية مباشرة بمرسيليا، ويكمل منها إلى العمق الأوروبي. بذلك يتحوّل لبنان إلى عقدة وصل ضمن شبكة فرنسية – متوسطية، بما يعزّز مرونة الممر ويمنح باريس ورقة استراتيجية إضافية. لكن، هناك فريقٌ آخر يقول إنّ فرنسا غير قادرة على إعادة لبنان إلى الواجهة في هذا الزمن الأميركي، لا سيّما بعد إنفجار مرفأ بيروت.

يعاني لبنان أزمات سياسية كبيرة يبدو معها اتخاذ قرارات استراتيجية طويلة الأمد صعبًا. لذا، فإنّ أي إعادة بناء للبنى التحتية، بخاصةٍ السكك الحديدية، تتطلّب إصلاحات هيكلية وحوكمة لم تتحقق بعد. من دون ذلك، سيبقى لبنان مرشّحًا لأن يكون محطة عبور هامشية، بدلاً من أن يتحوّل إلى نقطة محورية في شبكة التجارة العالمية الجديدة، بخاصةٍ وأنّ مرفأ حيفا قوة لوجستية منافسة. لذلك، جرى تنسيق الرؤية بين فرنسا والسعودية كأحد عوامل الدفع الرئيسية التي

يمكن أن تُسهّل مشاركة لبنان في المشروع، لكي يصبح جزءًا من التحالف الاقتصادي الجيو - استراتيجي الأوسع من خلال تطوير دوره اللوجستي، ما يخلق ضغطاً غير مباشر على المنافسين مثل «إسرائيل». لكن واقعيًا، هناك شروط يجب تحقيقها كي يتحوّل هذا الاحتمال إلى حقيقة ممكنة ومقنعة لبقية شركاء فرنسا المؤسّسين في الممر، وعلى رأسها التوافق الوطني داخل لبنان حول مشاركة البلاد في الممر، بالإضافة إلى تنسيق حكومي مع الدول الداعمة مثل فرنسا والسعودية لضمان الدعم الفني والمالي والتقني.

استعرض الرئيس اللبناني العماد جوزاف عون تفاصيل مشروع IMEC وأهدافه مع المبعوث الفرنسي Mestrallet، وصدر بيان عن القصر الجمهوري أكّد «استعداد لبنان للانخراط ضمن إطار المبادرة، بما يخدم مصالحه الوطنية ويعزّز موقعه اللوجستي في المنطقة». وبالفعل، أبلغ الرئيس عون نظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون اهتمام لبنان بالانضمام إلى هذا الممر لكن بصفة شريك لا مقدّم خدمات.

الجدوى الاقتصادية المتوقّعة للبنان

إذا استطاع لبنان الانخراط في مشروع IMEC، فإنّه سيتمكن من استقطاب استثمارات هندية وأوروبية لتطوير الموانئ والمناطق الحرة وخلق فرص عمل في قطاعات اللوجستيات والتكنولوجيا وصناعات إعادة التصدير. وستنخفض كلفة الاستيراد بفضل تنوّع مصادر السلع الأساسية القادمة من الهند وجنوب شرق آسيا بأسعار تنافسية. ومن المتوقع أن يوفّر المشروع من 4000 إلى 5000 وظيفة، ويؤمّن ربحًا وإيرادات ضريبية تراوح بين 3,5 و4,5 مليار دولار سنويًا، علمًا أن تكلفة المشروع في لبنان تراوح بين 170 و190 مليار يورو ويُتوّقع إنجازه خلال 8 إلى 10 أعوام. كما سيفتح المشروع آفاقًا أمام قطاع التعليم والتدريب، المتخصص في اللوجستيات والنقل البحري، ويدفع الجامعات اللبنانية إلى توسيع برامجها البحثية والتطبيقية في مجالات الاقتصاد البحري والنقل متعدّد الوسائط.

وقد بحث رئيس الحكومة القاضي نواف سلام الجدوى الاقتصادية لدمج مرفأي بيروت وطرابلس ضمن هذا الممرّ مع Mestrallet مشيرًا إلى إطلاق دراسة استراتيجية شاملة حول تكامل قطاعات النقل والطاقة والتجارة مع دول الجوار، ومؤكّدًا أنّ «انخراط لبنان في الممرّات التجارية الإقليمية سيكون فرصة استراتيجية وضرورة ملحّة». لكن في حال لم يتغيّر مسار المشروع، فإن دور مرفأي بيروت وطرابلس سيكون هامشيًا ربما كموانئ احتياطية.

لتحويل «لبنان على طريق الهند» من مشروع افتراضي إلى واقعي، يجب العمل على تطوير جميع بُناه التحتيّة، واعتماد الدبلوماسية الاقتصادية عبر تفعيل التواصل مع الهند وأوروبا لبحث إدراج المرافئ اللبنانية كخيار مرونة للممر في حالات الطوارئ، والاستثمار في الطاقة المتجدّدة لتلبية متطلّبات الممر الذي يركّز على الاقتصاد الأخضر. إنّ مشروع IMEC هو إعادة صياغة لخارطة القوة العالمية. ولبنان، بفضل موقعه وتاريخه التجاري، يمتلك «رأسمالاً جغرافيًا» لا يمكن تجاهله، لكن استثمار هذا الموقع يتطلّب رؤية وطنية تتجاوز الأزمات الآنية نحو الاندماج في شبكات المصالح الدولية الجديدة.

---

* تتكوّن مجموعة العشرين (G20) من 19 دولة وتشمل: الأرجنتين، أستراليا، البرازيل، كندا، الصين، فرنسا، ألمانيا، الهند، إندونيسيا، إيطاليا، اليابان، كوريا الجنوبية، المكسيك، روسيا، السعودية، جنوب أفريقيا، تركيا، المملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأميركية، بالإضافة إلى الاتحاد الأوروبي والاتحاد الأفريقي.

** وقّعت الاتفاقية كل من: الهند، الولايات المتحدة الأميركية، الإمارات العربية المتحدة، السعودية، الاتحاد الأوروبي، إيطاليا، فرنسا، ألمانيا، وبطريقة غير مباشرة «إسرائيل» عبر التوافق السياسي (والتي ستستفيد جدًا من المشروع).

USM DEVELOPMENT

Our Services

Tailored solutions for property, maintenance, and community care

Sin El Fil- Horch tabet- Camille Chamoun Street- Twin Towers- Bloc B- Ground Floor

P.O. Box: 55005 - Sin El Fil Beirut - Lebanon

Email: Info@Usmholding.com

Tel Number: +961 1 491777 - EXT: 1124

عندما يحكم رجال الأعمال

من منطق الشركات إلى تحولات السلطة في الأنظمة الديمقراطية

د. لمياء المبيّض بساط*

يشكّل صعود رجال الأعمال إلى مواقع القرار السياسي إحدى الظواهر اللافتة في الحياة السياسية المعاصرة إذ يتزايد حضور الفاعلين الاقتصاديين داخل بنية الحكم، سواء من خلال توليّهم مناصب قيادية أو عبر تأثيرهم المتنامي في عملية صنع السياسات العامة. وبينما يرى البعض في هذا التحوّل تعبيرًا عن روح ريادية قادرة على إدخال منطق الكفاءة والإدارة الحديثة إلى الحكم، هناك من يعتبره مصدرًا لمخاطر بنيوية قد تهدّد توازن النظم الديمقراطية.

في هذا السياق، برز نموذج ما يمكن تسميته «رجل الدولة – المدير التنفيذي» (Statesman CEO) كأحد التحوّلات الأكثر إثارة للجدل في السياسة الحديثة مجسّدًا انتقال منطق الشركات إلى المجال السياسي. وقد شهدت العقود الأخيرة حالات بارزة لهذا النموذج، وشخصيات سياسية انطلقت من عالم الأعمال، كما في حالة الإمبراطورية الإعلامية التي مهّدت لصعود سيلفيو برلسكوني في إيطاليا، أو الخلفية العقارية والمالية التي شكّلت قاعدة وصول دونالد ترامب إلى الرئاسة في الولايات المتحدة، فضلًا عن حالات أخرى تتجلّى فيها تشابكات النفوذ الاقتصادي والسياسي في دول مثل لبنان وروسيا في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفياتي.

انطلاقًا من هذه التحوّلات، يطرح هذا المقال سؤالاً محوريًا: ما الذي يحدث لمؤسسات الدولة عندما يتغلغل منطق السوق وآلياته في بنية الحكم وصنع القرار السياسي؟ ويسعى المقال إلى تجاوز القراءات الإعلامية المبسّطة التي تختزل الظاهرة في العلاقة المباشرة بين المال والسلطة، من خلال تحليل التوترات البنيوية بين منطق الربح الخاص ومتطلبات الصالح العام.

في هذا الإطار، يستند المقال إلى المقاربة النظرية التي قدّمها كلّ من دارون أسيموغلو (Daron Acemoglu) وجيمس أ. روبنسون (James A. Robinson) في كتابهما المرجعي Why Nations Fail (2012)، ولا سيما التمييز بين المؤسسات الشاملة (Inclusive Institutions) التي تعزّز المشاركة والمساءلة، والمؤسسات الاستخراجية (Extractive Institutions) التي تمكّن النخب من احتكار السلطة والثروة. وتُظهر هذه المقاربة أنّ الحدود بين توظيف الخبرة الإدارية المستمدّة من عالم الأعمال لتعزيز فاعلية الحكم، وبين تحوّل الدولة إلى أداة في خدمة مصالح النخب الاقتصادية، قد تكون دقيقة وملتبسة في كثير من الأحيان.

انعكاس لتحوّل في طبيعة السلطة

لم يعد انخراط رجال الأعمال في العمل السياسي وتناميه في العقود الأخيرة مجرد ظاهرة فردية، بل بات انعكاسًا لتحوّلٍ أعمق في طبيعة السلطة وتوازناتها داخل الأنظمة المعاصرة حيث يتزايد تداخل منطق السوق مع منطق الدولة. ليست هذه الظاهرة جديدة في التاريخ، فقد أظهرت تجارب تاريخية قدرة النخب الاقتصادية على تحويل نفوذها المالي إلى سلطة سياسية، كما في عائلة ميديشي في فلورنسا خلال عصر النهضة (Hibbert,1999)، غير أنّها اكتسبت في الديمقراطيات الحديثة دلالات مختلفة وأكثر تعقيدًا، مع صعود شخصيات مثل سيلفيو برلسكوني في إيطاليا الذي بنى قوته السياسية على إمبراطوريته الإعلامية، ودونالد ترامب، المطوّر العقاري الأميركي الذي وصل إلى الرئاسة بخطاب إدارة وكفاءة وصورة «الوافد من خارج المؤسسة السياسية» (Ginsborg, 2003).

غالبًا ما يستمدّ صعود رجال الأعمال إلى السلطة جاذبيته من أزمة أداء تعاني منها الدولة الحديثة، إذ تُتّهم البيروقراطيات بالجمود وتُنتقد السياسات العامة لبطئها وعجزها عن تحقيق نتائج ملموسة، بالإضافة إلى إحباط الجمهور تجاهها وتباطؤ الأداء الاقتصادي والجمود المؤسساتي. في المقابل، يقدّم رجال الأعمال أنفسهم بوصفهم قادرين على إدخال منطق الكفاءة والفعالية والإنجاز إلى إدارة الشأن العام، غير أنّ منطق السوق يختلف جوهريًا عن منطق الدولة، إذ تقوم الشركات على الربح والمنافسة وتعظيم قيمة المساهمين، بينما يرتكز الحكم الديمقراطي على الشرعية والمساءلة العامة وتحقيق العدالة وإدارة التوازن بين مصالح اجتماعية متباينة.

من هنا، يطرح انتقال قادة الأعمال إلى قيادة الدولة تساؤلات جوهرية تتجاوز مسألة الكفاءة الإدارية، لتطال طبيعة النظام السياسي نفسه: إلى أي مدى يمكن التوفيق بين منطق السوق ومتطلبات الحكم الديمقراطي؟ وما الذي يحدث لمؤسسات الدولة عندما تتأثر بآليات السوق وقواعده؟ وهل تمتلك الأنظمة الديمقراطية القدرة على استيعاب هذا التحول من دون أن تفقد توازنها؟

في هذا السياق، تكتسب العلاقة بين السلطة الاقتصادية والسلطة السياسية أهمية تحليلية مركزية وتثير جملة من التساؤلات حول مدى التوافق المؤسسي بين منطق الإدارة الاقتصادية ومتطلبات الحكم السياسي، ومستوى الثقة المجتمعية وآليات المساءلة، إضافةً إلى قدرة المؤسسات الديمقراطية على الحفاظ على استقلالها والاضطلاع بوظيفتها العامة. وتُعدّ العلاقة بين السلطة الاقتصادية والسلطة السياسية محورًا أساسيًا، كما تبرز في المقاربة التي طرحها كلّ من أسيموغلو وروبنسون (Acemoglu & Robinson, 2012)، والتي تميّز بين المؤسسات الشاملة والمؤسسات الاستخراجية، حيث يؤدي تركّز السلطة في يد نخبة ضيّقة إلى الإقصاء السياسي والاقتصادي، بما يهدّد الاستقرار والتنمية على المدى الطويل.

من رجال الأعمال إلى النخب الاقتصادية: كيف يُعاد تشكيل السلطة؟

الإطار النظري - المؤسسات بين الشمول والاستخراج: من يملك النفوذ الاقتصادي والسياسي؟

يُعدّ التمييز بين المؤسسات الشاملة والمؤسسات الاستخراجية، كما قدّمه أسيموغلو وروبنسون، من أكثر الأطر النظرية والتحليلية تأثيرًا في فهم ديناميات السلطة والتنمية.

فالمؤسسات الشاملة لا تقتصر على تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية، بل تؤسس لفضاء يتيح مشاركة واسعة، ويستند إلى مبادئ المساءلة وسيادة القانون وتكافؤ الفرص. وفي ظلّ هذا النمط، تتعزز توازنات السلطة ويُصان استقلال القضاء وتُفعَّل المشاركة المدنية، كما توفّر الأنظمة الاقتصادية الشاملة بيئة تنافسية تتيح فرصًا أمام مختلف الفاعلين للوصول إلى الموارد والأنشطة الاقتصادية. في المقابل، تقوم المؤسسات الاستخراجية على منطق مغاير، حيث يتركّز النفوذ السياسي والاقتصادي والثروة في يد نخبة محدودة، وتُسخَّر لصالحها أدوات الدولة ومواردها السياسية والاقتصادية. لا تستخدم هذه الأنظمة المؤسسات لضمان التوازن أو توسيع المشاركة، بل غالبًا ما تقوم بإعادة إنتاج الامتيازات وتعزيز الإقصاء، سواء عبر تقييد المنافسة الاقتصادية أو الحدّ من الانخراط السياسي الأوسع. يوفّر هذا الإطار النظري مدخلًا مهمًا لفهم الكيفية التي يمكن أن يؤدّي بها تداخل النفوذ الاقتصادي مع السلطة السياسية إلى إضعاف متانة الأنظمة الديمقراطية. فعندما تتمكّن النخب الاقتصادية من التأثير المباشر في المؤسسات السياسية أو توجيه مسارها، تصبح قادرة على صياغة السياسات العامة بما يحافظ على مصالحها الخاصة، ويحدّ من فعالية آليات المساءلة ويهمّش أصوات الفاعلين الاجتماعيين الآخرين.

وقد تناولت الأدبيات السياسية والاقتصادية المعاصرة هذه الظواهر من خلال مفاهيم متقاربة مثل استيلاء النخب على الدولة (Elite Capture)، أو رأسمالية المحاسيب (Crony Capitalism)، أو النفوذ الأوليغارشي (Oligarchic Influence Khan, 2010) وهي جميعها تشير إلى أنماط من التداخل غير المتكافئ بين السلطة والثروة. وفي السياقات الديمقراطية لا يمرّ هذا التداخل من دون كلفة، إذ غالبًا ما يقود إلى تآكل ثقة المواطنين بالمؤسسات العامة وتصاعد الاستقطاب السياسي وإضعاف سيادة القانون، بما ينعكس سلبًا على استقرار النظام السياسي ويقوّض آفاق التنمية على المدى الطويل.

قادة الأعمال في السياسة الديمقراطية المعاصرة وصناعة النفوذ السياسي

1- سيلفيو برلسكوني: تلاقي الإعلام والثروة والسلطة

يُعدّ سيلفيو برلسكوني من أبرز النماذج التي تجسّد انتقال الفاعلين الاقتصاديين إلى قلب السلطة السياسية في الديمقراطيات المعاصرة. فقد بنى نفوذه انطلاقًا من إمبراطورية إعلامية واسعة تمثّلت في مجموعة Mediaset قبل أن يتولى رئاسة الحكومة الإيطالية لعدة ولايات بين العامين 1994 و2011 (Ginsborg, 2003)، مما وفّر له قدرة كبيرة على التأثير في الخطاب العام وصياغة السرديات السياسية خلال حملاته الانتخابية، إذ أصبحت وسائل الإعلام التي يملكها جزءًا من معادلة التنافس السياسي. ولم يقتصر هذا الانتقال على تبدّل في المسار المهني، بل عكس نمطاً أعمق من تداخل مصادر القوة الاقتصادية والإعلامية مع السلطة السياسية، فلم يعد الإعلام مجرد وسيط ناقل، بل تحوّل إلى أداة فاعلة في إعادة توزيع النفوذ داخل الحقل السياسي.

دونالد ترامب

سيلفيو برلسكوني

أشار عدد من الباحثين إلى أنّ الجمع بين صفتَيْ رجل الأعمال والسياسي في حالة برلسكوني أدى إلى تآكل الحدود الفاصلة بين المجالين العام والخاص. فقد واجهت المؤسسات السياسية الإيطالية اختبارات متكررة نتيجة التحقيقات القضائية المرتبطة بأنشطته الاقتصادية وقضايا تضارب المصالح خلال فترة تولّيه السلطة. كما اعتبر منتقدون أنّ بعض السياسات والإصلاحات التنظيمية صيغت بما يخدم مصالح كبار الفاعلين الاقتصاديين ومالكي وسائل الإعلام، الأمر الذي أثار تساؤلات حول استقلالية المؤسسات وفعالية آليات المساءلة الديمقراطية (Bull & Newell, 2005). ومن هذا المنظور، يمثّل برلسكوني مثالاً دالاً على الكيفية التي يمكن أن يتحوّل فيها تداخل السلطة الاقتصادية والإعلامية إلى عامل مؤثّر في توازنات النظام الديمقراطي وآليات مساءلته.

2- دونالد ترامب: من خطاب الكفاءة إلى إشكالية تداخل السلطة والثروة

لم يكن وصول دونالد ترامب مجددًا إلى رئاسة الولايات المتحدة الخامس والأربعين مجرّد فوز انتخابي، بل عكس استمرار حضور نموذج «رجل الأعمال الحاكم» حتى داخل أعرق الديمقراطيات. فقد قدّم نفسه في حملته الأولى كوافدٍ من خارج المؤسسة السياسية في مواجهة ما اعتبره فشل النخب التقليدية قبل أن يعيد في حملته الثانية تموضعه كجزءٍ من هذه النخب. بنى ترامب حملاته الانتخابية على خطابٍ يَعد بإدارة الدولة بعقلية الشركات، من خلال تقليص البيروقراطية وتعزيز الكفاءة وإعادة توجيه السياسات لخدمة المصالح الاقتصادية الأميركية.

غير أنّ رئاسته المرتكزة على الوعد بالفعالية سرعان ما أعادت إلى الواجهة النقاش حول حدود العلاقة بين المصالح الاقتصادية الخاصة والمنصب العام. فخلافًا لعدد من الرؤساء المعاصرين الذين عمدوا إلى التخلي عن مصالحهم التجارية أو فصلها بوضوح عن العمل السياسي، احتفظ ترامب بشبكة واسعة من الأصول الاقتصادية. فيما وُضعت شركاته ضمن ترتيب ائتماني يديره نجلاه إريك ترامب ودونالد ترامب الإبن (Vogel, 2021).

المخاطر المؤسسية: تآكل منظومة الضوابط والتوازنات الديمقراطية

1- إضعاف استقلالية المؤسسات

لا تقوم الأنظمة الديمقراطية على الانتخابات وحدها، بل على شبكة دقيقة من المؤسسات المستقلة التي تشكّل خط الدفاع الأساسي ضد تمركز السلطة، في مقدمتها السلطة القضائية، والهيئات التنظيمية المستقلة، ووسائل الإعلام الحرة، إضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني. وتشكّل هذه المؤسسات مجتمعةً منظومة الضوابط والتوازنات التي تهدف إلى الحدّ من تركّز السلطة وضمان المساءلة السياسية وحماية المصلحة العامة. غير أنّ هذه المنظومة تصبح أكثر هشاشة عندما يتداخل النفوذ الاقتصادي مع السلطة السياسية. فاحتفاظ القادة السياسيين بشبكاتٍ اقتصادية واسعة لا يقتصر أثره على تضارب المصالح المباشر، بل يفتح المجال أمام أشكال أكثر تعقيدًا من التأثير غير المباشر، قد تمتد إلى آليات التعيين، وأولويات السياسات، وحتى إلى استقلالية المؤسسات نفسها. وهنا، لا يحدث الإضعاف بشكلٍ فجائي، بل عبر تآكل تدريجي في قدرة هذه المؤسسات على أداء وظائفها الرقابية.

في الولايات المتحدة، أثارت رئاسة دونالد ترامب نقاشًا واسعًا حول احتمال تسييس بعض الهيئات التنظيمية والتأثير في استقلال القضاء. فقد تعرّضت بعض التعيينات في الوكالات الفيدرالية والمحاكم لانتقادات تفيد بأنّ الاعتبارات السياسية والولاءات الحزبية طغت أحيانًا على معايير الكفاءة المؤسسية وعلى استقلال المهن Balz & Goldman, 2018، ورغم أنّ هذه الظواهر لا تقتصر على القادة القادمين من عالم الأعمال، فإنّ تداخل المصالح الاقتصادية مع السلطة السياسية ومواقع القرار يعزز قابلية المؤسسات للتأثر غير المباشر ويزيد هشاشتها أمام الضغوط.

أما في إيطاليا، فقد أظهرت تجربة سيلفيو برلسكوني كيف يُمكن لامتلاك وسائل إعلام واسعة النفوذ أن يؤثر في تشكيل الرأي العام ويحدّ من فعالية الرقابة الإعلامية، إذ أدى الجمع بين السلطة السياسية والسيطرة على قطاعات مؤثرة من الإعلام إلى إضعاف قدرة الصحافة على أداء دورها الرقابي المستقل داخل النظام الديمقراطي (Albertazzi & McDonnel, 2010).

وتكشف هذه الحالات، رغم اختلاف سياقاتها، عن نمط مشترك يتمثل في أنّ الخطر لا يكمن في خرق صريح لقواعد النظام، بل في إعادة تشكيلها من الداخل، إذ تبقى المؤسسات قائمة شكليًا، لكنّها تفقد تدريجيًا قدرتها الفعلية على ضبط السلطة ومساءلتها. وفي هذا المسار، يتحوّل التداخل بين النفوذ الاقتصادي والسلطة السياسية من عامل دعم محتمل للكفاءة إلى مصدر اختلال يهدّد التوازن المؤسسي الذي تقوم عليه الديمقراطيات.

2- من استيلاء النخب إلى الانحياز في السياسات العامة

لا يظهر نفوذ النخب الاقتصادية في الأنظمة الديمقراطية دائمًا في صورة سيطرة مباشرة على السلطة، بل غالبًا ما يتجلّى في أشكال أكثر خفاءً وعمقًا، من خلال قدرتها على التأثير غير المتكافئ في صياغة السياسات العامة وتوجيهها أحيانًا على حساب المصالح الأوسع للمجتمع. ويعبّر مفهوم «استيلاء النخب» (Elite Capture) عن هذه الدينامية، إذ تمارس فئات اقتصادية محدودة تأثيرًا غير متناسب في عملية صنع القرار، بما يؤدي إلى انحياز السياسات العامة لصالحها. وفي

هذا السياق، لا يقتصر تأثير هذه النخب على قناة واحدة، بل يتوزّع عبر مجموعة من الآليات المتداخلة، من بينها تمويل الحملات الانتخابية والضغط السياسي المنظّم والنفوذ الإعلامي، فضلًا عن ظاهرة «الباب الدوّار» التي تتيح انتقال الأفراد بين مواقع السلطة في الدولة والقطاع الخاص، بما يعزّز تشابك المصالح ويعيد إنتاج النفوذ داخل النظام.

وتشير بعض الدراسات إلى أنّ الولايات المتحدة تشهد مستوى مرتفعًا نسبيًا من تأثير النخب الاقتصادية في نتائج السياسات العامة مقارنةً بعدد من الديمقراطيات المتقدمة الأخرى، وهو ما وُصف بظاهرة «التأثير غير المتكافئ» (Gilens & Page, 2019)، فعندما تميل السياسات العامة إلى الاستجابة بشكلٍ أكبر لتفضيلات النخب الاقتصادية على حساب تطلعات المواطنين، يتعرّض مبدأ التمثيل الديمقراطي لاختلال وتتراجع قدرة النظام الديمقراطي على تمثيل الإرادة العامة بصورةٍ متوازنة.

وتبرز هذه الإشكالية في النقاشات التي رافقت السياسات الاقتصادية خلال إدارة دونالد ترامب، إذ رأى بعض الباحثين أنّ الإصلاحات الضريبية وبرامج إزالة القيود التنظيمية أفادت بدرجة أكبر الشركات الكبرى والأفراد ذوي الدخل المرتفع، في حين ظلّ نمو الأجور لدى شرائح واسعة من العمال محدودًا نسبيًا (Economic Policy Institute, 2018). وفي مثل هذه الحالات، قد يسهم ترسّخ الاعتقاد بأنّ السياسات العامة تعكس مصالح النخب الاقتصادية أكثر من مصالح المواطنين في تعميق مشاعر الإحباط السياسي وتراجع الثقة بالمؤسسات الديمقراطية.

”تكشف التجارب المقارنة أنّ السؤال الجوهري لم يعد: من يَحكم؟ بل كيف تُنظَّم العلاقة بين السلطة الاقتصادية والسلطة السياسية، بما يُبقي الدولة إطارًا لخدمة المجتمع، لا أداة في خدمة مصالحه الضيقة؟“

الدول الهشّة تحت ضغط النخب: الاقتصاد السياسي في الأنظمة الهجينة

في حين توفّر الديمقراطيات الراسخة إطارًا تحليليًا مهمًا لفهم العلاقة بين السلطة الاقتصادية والسلطة السياسية، فإنّ هذا التداخل غالبًا ما يكون أكثر حدّةً وتعقيدًا في الأنظمة الهجينة والدول المتأثرة بالنزاعات، حيث تكون القيود المؤسسية أضعف وقدرة مؤسسات الرقابة والمساءلة أقل فاعلية.

الأوليغارشية السياسية - المالية في لبنان ومسار الانهيار

يتسّم النظام السياسي في لبنان ببنية تقاسم سلطة ذات طابع طائفي، وبشبكاتٍ اقتصادية متجذّرة تربط بين النخب السياسية والقطاع الخاص. وغالبًا ما يحتفظ عدد من القادة السياسيين بحصصٍ مؤثرة في قطاعات اقتصادية رئيسية، مثل المصارف والاتصالات والعقارات والبناء. وقد وصف بعض الباحثين هذا النمط من التداخل بين السلطة السياسية والمصالح الاقتصادية بـ أوليغارشية سياسية - مالية (Traboulsi, 2020).

ولا يظهر أثر هذا النموذج فقط في طبيعة توزيع النفوذ، بل يتجلّى بوضوح في نتائجه الاقتصادية والاجتماعية. فقد شكّل الانهيار المالي الذي بدأ في العام 2019 لحظة كاشفة عن حدود هذا النظام إذ صنّف البنك الدولي الأزمة الاقتصادية في لبنان من بين أشد ثلاث أزمات اقتصادية شهدها العالم منذ منتصف القرن التاسع عشر. وتشير التقديرات إلى أنّ الاقتصاد اللبناني سجّل انكماشًا تراكميًا يقارب 40% من الناتج المحلي الإجمالي منذ العام 2018، في حين فقدت الليرة اللبنانية أكثر من 98% من قيمتها، الأمر الذي أدّى إلى ارتفاعٍ حاد في معدلات الفقر والبطالة.

غير أنّ هذه الأزمة لم تكن نتيجة صدمة مفاجئة، بل حصيلة مسار طويل من الاختلالات الهيكلية، وسوء إدارة المالية العامة، وهشاشة القطاع المصرفي، إضافةً إلى تسييس عملية صنع السياسات الاقتصادية. وفي هذا السياق، استفادت بعض الشبكات الاقتصادية المرتبطة بالنخب السياسية من الوصول التفضيلي إلى العملات الأجنبية المدعومة وإلى الائتمان المصرفي، في حين تحمّلت الفئات الأوسع من المجتمع الكلفة الاقتصادية للأزمة.

وقد أدّى هذا الاختلال إلى تآكل عميق في الثقة بالمؤسسات المالية والقيادة السياسية، تُرجم بموجات احتجاجات شعبية واسعة وتصاعد مظاهر التوتر الاجتماعي. وتكشف التجربة اللبنانية بوضوحٍ أنّ تداخل المصالح الاقتصادية والسياسية لا يقتصر فقط على إضعاف آليات المساءلة، بل يعيد تشكيل الحوافز الاقتصادية ذاتها ويقوّض أسس الثقة التي تقوم عليها الدول بخاصة في ظلّ هشاشة الضوابط المؤسسية.

الصومال والبوسنة: المؤسسات الهشّة وشبكات النخب الاقتصادية حين تملأ النخب الاقتصادية فراغ الدولة

تكشف تجربتا الصومال والبوسنة كيف يُمكن لضعف الدولة

وهشاشة المؤسسات أن يفتحا المجال أمام النخب الاقتصادية لإعادة تشكيل موازين السلطة: ففي سياقات ما بعد النزاع، لا يقتصر دور الفاعلين الاقتصاديين على النشاط السوقي، بل يمتد إلى أداء وظائف كانت تقليديًا من اختصاص الدولة.

في الصومال أفرزت سنوات الصراع الأهلي ظروفًا أتاحت لفاعلين اقتصاديين خاصّين، لا سيما شركات الاتصالات وتحويل الأموال، السيطرة على قطاعات اقتصادية حيوية. ورغم أنّ هذه الشركات وفّرت خدمات أساسية في ظلّ غياب الدولة، فإنّ نفوذها لم يظلّ اقتصاديًا فحسب، بل امتد إلى المجال السياسي، حيث أصبح تأثيرها في توجيه القرارات العامة ملموسًا في ظلّ غياب أطر تنظيمية قوية (World Bank, 2016).

أما في البوسنة والهرسك، فقد أدّت مرحلة ما بعد الحرب (1992 - 1995) إلى مسار مختلف في الشكل، لكنّه متشابه في النتيجة، إذ مكّنت عمليات الخصخصة وإعادة الإعمار بعد حرب (1992 - 1995) شبكات اقتصادية مرتبطة بالسلطة السياسية من الاستحواذ على أصول استراتيجية، ما أسهم في ترسيخ بنى سلطوية قائمة على الانقسام العرقي، وأبطأ وتيرة الإصلاحات المؤسسية (Keil, 2018). كما أدّت التجزئة الاقتصادية على أساس الهوية إلى إضعاف فرص بناء مؤسسات سياسية شاملة وقادرة على تمثيل مختلف الفئات. وعلى الرغم من اختلاف السياقات بين الحالتين، فإنّ القاسم المشترك يتمثل في أنّ هشاشة المؤسسات لا تؤدي فقط إلى ضعف الدولة، بل تخلق بيئة تُمكّن النخب الاقتصادية من ملء هذا الفراغ، ليس فقط عبر تقديم الخدمات، بل أيضًا من خلال إعادة توجيه مسارات السلطة نفسها. وفي مثل هذه البيئات، تتزايد مخاطر استيلاء النخب على الدولة، في ظلّ غياب ضوابط مؤسسية فعّالة وقواعد ديمقراطية راسخة.

حماية الديمقراطية: بين التداعيات السياسية والضمانات المؤسسية

يثير تلاقي السلطة الاقتصادية مع السلطة السياسية تحدّيات جوهرية أمام المؤسسات الديمقراطية. ففيما قد تُسهم الخبرات الريادية والإدارية لبعض القادة القادمين من عالم الأعمال في تحسين كفاءة الحوكمة، تظلّ مخاطر تآكل المؤسسات العامة واستحواذ النخب على عملية صنع القرار قائمة، الأمر الذي يستوجب اعتماد ضمانات مؤسسية وإجراءات وقائية مدروسة للحد من هذه المخاطر.

1. تعزيز الضوابط والتوازنات المؤسسية

لا يُمكن للديمقراطية أن تصمد من دون مؤسسات مستقلة وقادرة على ممارسة دورها الرقابي بفعالية، لذا يتعيّن على الأنظمة الديمقراطية ترسيخ استقلالية المؤسسات الأساسية ولا سيما السلطة القضائية، والهيئات التنظيمية المستقلة، وهيئات الرقابة والنزاهة. كما ينبغي أن تكفل الإصلاحات المؤسسية منع القادة السياسيين من ممارسة تأثير غير مشروع على آليات التعيين، أو الصلاحيات المالية، أو الاستقلالية التشغيلية لهذه الهيئات، بما يحفظ قدرتها على أداء دورها الرقابي بصورة فعّالة.

2. الشفافية وتنظيم تضارب المصالح

تشكّل الشفافية حجر الزاوية في الحدّ من تداخل المصالح الخاصة مع العمل العام، إذ تتيح الكشف عن مواقع النفوذ وتعزّز المساءلة، ويتطلّب ذلك اعتماد قواعد صارمة لإدارة تضارب المصالح تشمل الإفصاح المالي الشامل والتنحّي عن القرارات المرتبطة بالمصالح الخاصة، إضافةً إلى تنظيم العلاقة بين المنصب العام والأنشطة الاقتصادية. وفي هذا الإطار، ينبغي إلزام القادة السياسيين والمسؤولين المعيّنين بتصفية مصالحهم التجارية النشطة عند تولّي المناصب العامة أو إدارتها ضمن آليات مستقلة مثل الصناديق الائتمانية إلى جانب الإفصاح العلني عن ممتلكاتهم وأصولهم المالية. وتسهم هذه التدابير في الحدّ من مخاطر تضارب المصالح، سواء الفعلية أو المتصوَّرة، وفي رسم حدود واضحة بين الواجب العام والمصالح الخاصة، بما يعزّز نزاهة القرار العام ويحافظ على ثقة المواطنين بالمؤسسات.

3. إصلاح تمويل الحملات الانتخابية وتعزيز المشاركة الديمقراطية

يُشكّل تمويل الحملات الانتخابية مدخلًا أساسيًا لتأثير النخب الاقتصادية في مسار العملية السياسية، ما يجعل تنظيمه شرطاً ضروريًا للحفاظ على توازن التمثيل الديمقراطي. ويقتضي ذلك اعتماد قواعد صارمة للشفافية، وفرض سقوف على المساهمات الخاصة، وتوسيع نطاق التمويل العام، بما يحدّ من تأثير المال في توجيه المنافسة السياسية، ويعزّز ارتباط السياسات العامة باحتياجات المجتمع، بدلاً من مصالح اقتصادية ضيقة ومركّزة.

4. التثقيف المدني واستقلالية الإعلام

يُشكّل وجود قطاع إعلامي حرّ ومتعدّد الأصوات ركيزة أساسية للمساءلة الديمقراطية. لذلك، ينبغي توفير ضمانات قانونية ومؤسسية تكفل استقلالية التحرير، وتنظيم ملكية وسائل الإعلام بما يمنع الاحتكار والتركيز المفرط للملكية، إضافة إلى دعم مؤسسات البث العام. ومن شأن هذه التدابير أن تُسهم في الحدّ من تأثير النخب الاقتصادية في تدفّق المعلومات، وتعزيز قدرة المجتمع على مراقبة أداء السلطة ومساءلتها.

خلاصات

يمثّل انتقال قادة الأعمال إلى مواقع القيادة السياسية ظاهرة معقّدة ومتعدّدة الأبعاد، لا تختزل في ثنائية الفرص والمخاطر، بل تعكس تحولاً أعمق في طبيعة العلاقة بين الدولة والسوق. فبينما قد تسهم الخبرات الإدارية والريادية في تعزيز كفاءة الحوكمة ودعم الابتكار المؤسسي داخل أجهزة الدولة، فإنّ تداخل المصالح الاقتصادية الخاصة مع السلطة السياسية غالبًا ما يشكّل عاملًا محفوفًا بالمخاطر، لما قد يترتّب عليه من إضعاف للمؤسسات الديمقراطية وتقويض آليات المساءلة والرقابة العامة.

وتُظهر التجارب المعاصرة، من إيطاليا في عهد سيلفيو برلسكوني إلى الولايات المتحدة خلال رئاسة دونالد ترامب، التحديات البنيوية التي قد تنشأ عندما يتداخل منطق الشركات وإدارة المصالح الخاصة مع ممارسات الحكم الديمقراطي. كما يبرز لبنان نموذجًا للاقتصاد السياسي الهجين، حيث تسمح هشاشة الضوابط المؤسسية للنخب الاقتصادية بممارسة نفوذ واسع في عملية صنع السياسات العامة، الأمر الذي ينعكس سلبًا على العدالة الاجتماعية ويؤدي إلى تآكل ثقة المواطنين بالمؤسسات العامة.

تؤكد الأدبيات في إطار النظرية المؤسسية إلى أنّ وجود مؤسسات سياسية واقتصادية شاملة وتشاركية يُعدّ شرطاً أساسيًا لتعزيز قدرة الأنظمة الديمقراطية على الصمود والاستمرار. ومن ثمّ، فإنّ صَون هذه المؤسسات يقتضي تعزيز مبادئ الشفافية والمساءلة، وترسيخ استقلالية المؤسسات العامة، وتوسيع نطاق المشاركة المدنية الفاعلة في الحياة السياسية.

وفي ظلّ تزايد التداخل بين رأس المال والسلطة السياسية في السياق العالمي المعاصر، لم يعد الحفاظ على شرعية النظام الديمقراطي يقتصر على إقرار الضمانات القانونية والمؤسسية فحسب، بل يتطلّب أيضًا ترسيخ ثقافة سياسية تُعلي من شأن المصلحة العامة وتضعها فوق الاعتبارات والمكاسب الخاصة.

وفي المحصّلة، تكشف التجارب المقارنة أنّ السؤال الجوهري لم يعد: من يَحكم؟ بل كيف تُنظَّم العلاقة بين السلطة الاقتصادية والسلطة السياسية، بما يُبقي الدولة إطارًا لخدمة المجتمع، لا أداة في خدمة مصالحه الضيقة؟

المراجع

1- Albertazzi, D., & McDonnell, D. (2010). Twenty-First Century Populism: The Spectre of Western European Democracy. Palgrave Macmillan.

2- Balz, D., & Goldman, A. (2018). The Trump presidency and institutional erosion. The Washington Post. https://www.washingtonpost.com/

3- Bull, M., & Newell, J. L. (2005). Italian Politics: Adjustment Under Duress. Polity Press.

4- Economic Policy Institute. (2018). Tax reform and income inequality. https://www.epi.org/

5- Ginsborg, P. (2003). Italy and Its Discontents. Palgrave Macmillan.

6- Gilens, M., & Page, B. I. (2014). Testing theories of American politics: Elites, interest groups, and average citizens. Perspectives on Politics, 12(3), 564–581.

7- Hibbert, C. (1999). The House of Medici: Its Rise and Fall. Penguin Books.

8- Hoffman, D. E. (2011). The Oligarchs: Wealth and Power in the New Russia. PublicAffairs.

9- Khan, M. (2010). Political Settlements and the Governance of Growth-Enhancing Institutions. SOAS.

10- Keil, S. (2018). Post-war political economy in Bosnia and Herzegovina. Southeast European Politics, 19(2).

11- Traboulsi, F. (2020). A History of Modern Lebanon. Pluto Press.

12- Vogel, K. P. (2021). Trump family business issues. The Washington Post. https://www.washingtonpost.com/

13- World Bank. (2016). Somalia Economic Update. https://www.worldbank.org/

14- World Bank. (2021). The World Bank in Lebanon: Economic and Social Impact. https://www.worldbank.org/

*رئيسة معهد باسل فليحان المالي والاقتصادي

B.I.C

Burgan Insurance Co. s.a.l

شـركة برقـان للتـأميـن ش.م.ل

Stay Safe..

You don´t know what might happen!

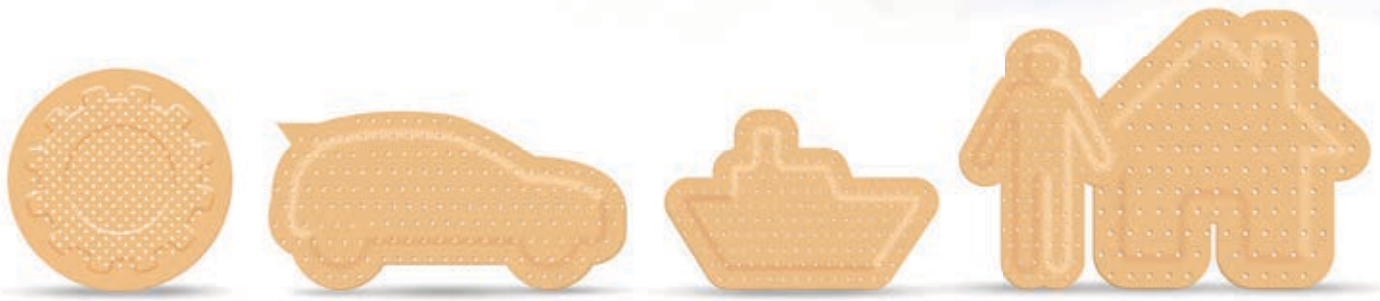

Wide range of insurance and reinsurance services

Life & Health insurance ▪ **Property** insurance

Motor insurance ▪ **Marine** insurance

Business & Travel insurance

Public liabilty & Personal insurance

burgan-ins.com

أهداف التنمية المستدامة
الهدف العاشر:
الحدّ من أوجه عدم المساواة داخل البلدان وفي ما بينها

معهد باسل فليحان المالي والاقتصادي

1. الهدف 10 من أهداف التنمية المستدامة، ما هو؟

هو الحدّ من أوجه عدم المساواة داخل البلدان وفي ما بينها بحلول العام 2030، وذلك عبر تعزيز الإدماج الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لجميع الأفراد، بغضّ النظر عن العمر أو الجنس أو الإعاقة أو العِرق أو الأصل أو الدين أو الوضع الاقتصادي أو غيره من أشكال الانتماء الاجتماعي. ويُعدّ تحقيق قدر أكبر من العدالة في توزيع الفرص والموارد شرطاً أساسيًا لبناء مجتمعات أكثر تماسكًا واستقرارًا، وضمان استفادة الجميع من ثمار التنمية.

ويركّز هذا الهدف على تحقيق نمو اقتصادي شامل يتيح للفئات الأكثر فقرًا تحسين مستويات دخلها بوتيرة تفوق المتوسط الوطني، بما يسهم في تقليص الفجوات الاقتصادية والاجتماعية. كما يدعو إلى اعتماد سياسات مالية واجتماعية أكثر عدالة، تشمل إصلاح نظم الأجور والضرائب والتحويلات الاجتماعية، وتعزيز تنظيم الأسواق المالية والرقابة عليها، إضافة إلى تيسير الهجرة والتنقّل بصورة منظّمة وآمنة، وتمكين الدول النامية من المشاركة بصورة أكثر فاعلية في منظومة الحوكمة الاقتصادية والمالية العالمية.

غير أنّ تقرير الأمم المتحدة حول أهداف التنمية المستدامة للعام 2025 يشير إلى أنّ التقدّم في هذا المجال ما يزال محدودًا وغير متكافئ بين الدول والمناطق. فعلى الرغم من تحسّن مستويات الدخل والاستهلاك لدى أفقر 40% من السكان في عدد من البلدان منذ العام 2015، ما زالت الفجوات في الدخل والثروة قائمة، في ظلّ ركود حصة دخل العمل من الناتج المحلي الإجمالي واستمرار مظاهر التمييز التي تطال بشكلٍ خاص النساء والفئات الأشد فقرًا والأقل تعليمًا والأشخاص ذوي الإعاقة. كما أسهمت الأزمات الاقتصادية والنزاعات المسلحة وتداعيات التغيّر المناخي في تعميق هذه التفاوتات. وفي ضوء ذلك، يؤكد التقرير أنّ تسريع التقدّم نحو الحدّ من عدم المساواة يتطلّب تعزيز نظم الحماية الاجتماعية، وإصلاح السياسات الضريبية والتحويلية، وتوسيع فرص الوصول إلى التعليم الجيّد والعمل اللائق، إلى جانب دعم التعاون الدولي وتوفير الموارد اللازمة للدول النامية لبناء اقتصادات أكثر شمولاً وعدالة وقدرة على الصمود.

المصدر: الأمم المتحدة: الهدف 10 – الحدّ من أوجه عدم المساواة

2. ما هي أبرز التحديات التي تواجه تحقيق هذا الهدف على مستوى العالم؟

يواجه تحقيق الهدف العاشر جملة من التحدّيات البنيوية المتشابكة التي تعيق بناء مجتمعات أكثر عدالة وشمولاً. ففي العديد من الدول، ما زالت الفجوات في توزيع الدخل والثروة واسعة، إذ تتركّز الموارد والفرص الاقتصادية في أيدي فئات محدودة، فيما تكافح الفئات الأكثر هشاشة للوصول إلى التعليم الجيّد والخدمات الصحية وفرص العمل اللائق. ويؤدي ضعف نظم الحماية الاجتماعية في كثير من البلدان إلى تعميق هذه الفوارق، ما يحدّ من قدرة الفئات الأقل دخلاً على تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية. كما تتجلّى مظاهر عدم المساواة في التفاوت التنموي بين المناطق داخل الدولة الواحدة، إذ غالبًا ما تعاني المناطق الريفية أو المهمّشة من نقص الاستثمارات والبنى التحتية والخدمات الأساسية، الأمر الذي يقيّد فرصها في الاندماج في النشاط الاقتصادي ويُبقيها خارج مسارات النمو والتنمية. وتزداد هذه الفجوات اتساعًا مع تسارع التحوّل نحو الاقتصاد الرقمي، فإمكانات الوصول إلى التكنولوجيا والإنترنت ما زالت غير متكافئة بين الأفراد والدول، ما يعمّق الفارق بين الاقتصادات المتقدمة والاقتصادات النامية. ولا يُمكن فصل هذه التحدّيات عن تأثير الأزمات العالمية المتعاقبة، مثل الأزمات الاقتصادية والنزاعات المسلحة وتداعيات التغيّر المناخي، التي غالبًا ما تضرب الفئات الأكثر ضعفًا بشكلٍ أشدّ. كما تسهم القيود المفروضة على الهجرة والتنقّل، إلى جانب محدودية مشاركة الدول النامية في صنع القرار الاقتصادي والمالي الدولي، في تكريس الفوارق بين البلدان وإبطاء مسار تقليص عدم المساواة عالميًا.

وفي مواجهة هذه التحدّيات، تبرز الحاجة إلى اعتماد مقاربة متكاملة تقوم على: 1) تعزيز نظم الحماية الاجتماعية وتوسيع نطاقها، 2) إرساء سياسات مالية وضريبية أكثر عدالة تسهم في إعادة توزيع الفرص والموارد، 3) توسيع فرص الوصول إلى التعليم الجيّد والعمل اللائق، 4) تقليص الفجوة الرقمية وتعزيز نقل المعرفة والتكنولوجيا. ويظلّ تعزيز التعاون الدولي وتمكين الدول النامية من المشاركة بصورة أكثر فاعلية في الحوكمة الاقتصادية العالمية عنصرًا أساسيًا لتحقيق تقدّم حقيقي نحو مجتمعات أكثر إنصافًا وقدرة على الصمود بحلول العام 2030.

3. كيف يمكن للأنظمة الضريبية العادلة أن تسهم في تقليص عدم المساواة؟

تُعدّ الأنظمة الضريبية من أبرز الأدوات التي تعتمدها الدول لتعزيز العدالة الاجتماعية والاقتصادية والحدّ من التفاوت في توزيع الدخل والثروة. فالضرائب لا تقتصر وظيفتها على تأمين الإيرادات العامة فحسب، بل تمثّل أيضًا آلية أساسية لإعادة توزيع الموارد عندما تُصمَّم بطريقة عادلة ومتوازنة. ومن خلال اعتماد نظم ضريبية تصاعدية تراعي القدرة على الدفع، يمكن الحدّ من تركّز الثروة لدى الفئات الأكثر ثراءً، وتوجيه جزء من الموارد لدعم الفئات ذات الدخل المحدود. تبرز أهمية هذه السياسات في تمكين الحكومات من تمويل الخدمات العامة الأساسية، مثل التعليم والرعاية الصحية والحماية الاجتماعية، وهي عناصر محورية لتعزيز تكافؤ الفرص وتحسين مستويات المعيشة. وأظهرت التجارب الدولية أنَّ الأنظمة الضريبية العادلة تسهم في بناء مجتمعات أكثر تماسكًا واستقرارًا، كما أنّها تدعم الحراك الاجتماعي وتحدّ من انتقال الفقر بين الأجيال. فعلى سبيل المثال، تعتمد السويد والدنمارك نظمًا ضريبية تصاعدية تُستخدم لتمويل أنظمة رفاه اجتماعي متقدمة تشمل التعليم المجاني والرعاية الصحية الشاملة ودعم الأسر، ما يسهم في تقليص الفوارق الاجتماعية. وفي كندا، تقدّم الحكومة إعفاءات وتخفيضات ضريبية لدعم الأسر ذات الدخل المنخفض والمتوسط، خصوصًا من خلال برامج مخصّصة للأطفال، ما يعزّز القدرة الشرائية ويخفّف من فجوات الدخل. وفي فرنسا، تُستخدم الضرائب على الدخل والثروة إلى جانب نظام تحويلات اجتماعية واسع لدعم الفئات الأكثر هشاشة. في

المقابل، قد تؤدي الأنظمة الضريبية غير المتوازنة، ولا سيّما التي تعتمد بصورة كبيرة على الضرائب غير المباشرة مثل ضرائب الاستهلاك، إلى زيادة الأعباء على الفئات الأقل دخلًا. كما يحدّ التهرّب الضريبي وضعف الإدارة الضريبية من قدرة الدول على تحقيق العدالة المالية. لذلك، يتطلّب بناء نظام ضريبي فعّال: 1) تعزيز التصاعدية، 2) توسيع القاعدة الضريبية، 3) تحسين الإدارة والشفافية في استخدام الإيرادات، بما يسهم في تقليص الفوارق الاجتماعية وتعزيز تنمية شاملة ومستدامة.

4. ما دور الحماية الاجتماعية في تحقيق العدالة الاجتماعية؟

تُعدّ الحماية الاجتماعية أداة أساسية لتحقيق العدالة الاجتماعية وتقليص الفوارق الاقتصادية بين الأفراد والفئات المجتمعية. فهي تمكّن الحكومات من توفير شبكة أمان للفئات الأكثر ضعفًا، بما يشمل الفقراء وكبار السن والعمال غير النظاميين والأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، ما يضمن لهم مستوى معيشيًا أساسيًا ويحدّ من مخاطر الفقر والإقصاء الاجتماعي. على صعيد السياسات العامة، تعمل الحماية الاجتماعية على تعزيز تكافؤ الفرص من خلال تمويل الخدمات الأساسية مثل التعليم والصحة والإسكان، ما يمكّن الأفراد من تطوير مهاراتهم والاندماج الفاعل في سوق العمل. على سبيل المثال، تعتمد البرازيل برنامج Bolsa Família الذي يقدّم تحويلات نقدية للأسر الفقيرة مقابل إرسال أطفالهم إلى المدارس وإتمام برامج الصحة الأساسية، ما أسهم في خفض معدلات الفقر وتحسين التعليم والصحة للأطفال. أما على مستوى المؤسسات، فتسهم الحماية الاجتماعية في توفير بيئة أكثر استقرارًا للقوى العاملة، من خلال ضمان حقوقهم وتأمين الدعم لهم في حالات البطالة أو المرض أو فقدان الوظيفة. ويساعد ذلك على تعزيز الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي ينعكس إيجابًا على الإنتاجية ويحفّز الابتكار داخل الشركات. فعلى سبيل المثال، يوفّر نظام التأمين الاجتماعي في ألمانيا تعويضات للعمال العاطلين عن العمل، إلى جانب برامج دعم للتدريب المهني، ما يسهّل إعادة اندماجهم في سوق العمل

> "في السياق اللبناني، أدّت الأزمات المتلاحقة، من الانهيار المالي إلى تداعيات النزاعات الإقليمية، إلى تفاقم الفوارق الاجتماعية والاقتصادية."

ويعزّز الاستقرار الاقتصادي. وعلى الصعيد الاجتماعي، تخلق الحماية الاجتماعية مجتمعًا أكثر تماسكًا وعدالة، إذ تقلّل من معدلات الفقر وتمكّن الشباب والنساء والفئات المهمّشة من الانخراط في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. على سبيل المثال، تقدّم كندا برامج دعم للأطفال والأسر ذات الدخل المحدود، مما يزيد من قدرتها الشرائية ويقلّص الفجوات بين الفئات الاجتماعية المختلفة. في المجمل، تمثّل الحماية الاجتماعية أداة استراتيجية لتحقيق التنمية المستدامة، ليس فقط من خلال الحدّ من الفقر والفوارق، بل أيضًا عبر تعزيز الشمول الاجتماعي والاقتصادي، وتقوية قدرة المجتمعات على مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، بما يسهم في بناء مجتمع أكثر عدالة واستقرارًا بحلول العام 2030.

5. كيف تؤثر الأزمات الاقتصادية والحروب في زيادة عدم المساواة؟

تُعدّ الأزمات الاقتصادية والحروب من أبرز العوامل التي تؤدي إلى تفاقم عدم المساواة داخل المجتمعات، إذ لا تقتصر آثارها على تباطؤ النمو الاقتصادي فحسب، بل تمتدّ لتؤثر في توزيع الدخل والفرص بين الأفراد. ففي أوقات الأزمات، تتراجع فرص العمل وتتقلّص الاستثمارات، ما ينعكس بصورة أشدّ على الفئات ذات الدخل المحدود والعاملين في القطاعات الهشّة وغير المنظّمة، الذين يفتقرون غالبًا إلى شبكات الحماية الاجتماعية والقدرة على مواجهة الصدمات الاقتصادية. كما تسهم الحروب والنزاعات في تعميق هذه الفجوات من خلال تدمير البنى التحتية وتعطيل الأنشطة الاقتصادية والإنتاجية، الأمر الذي يزيد معدلات الفقر ويحدّ من فرص الوصول إلى الخدمات الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية. وفي المقابل، تكون الفئات الأكثر قدرة على امتلاك الموارد أو الوصول إلى شبكات الدعم أكثر قدرة على التكيّف مع الأزمات، ما يؤدي إلى اتساع الفجوة بينها وبين الفئات الأكثر هشاشة. وتُظهر التجارب الدولية أنّ الأزمات الكبرى غالبًا ما تترك آثارًا طويلة الأمد على توزيع الفرص الاقتصادية والاجتماعية، إذ تتراجع فرص التعليم والعمل اللائق، وتزداد معدلات البطالة والهجرة القسرية، ما يضعف قدرة الأفراد على تحسين أوضاعهم المعيشية. كما يؤدي تراجع قدرة الدولة على تقديم الخدمات والدعم الاجتماعي إلى تعميق التفاوت في توزيع الموارد والفرص.

وفي السياق اللبناني، أدّت الأزمات المتلاحقة، من الانهيار المالي إلى تداعيات النزاعات الإقليمية، إلى تفاقم الفوارق الاجتماعية والاقتصادية. فقد تراجعت القدرة الشرائية وارتفعت معدلات الفقر والبطالة، وأصبح الوصول إلى التعليم الجيد والخدمات الصحية والعمل اللائق أكثر تفاوتًا بين الفئات الاجتماعية. لذلك، فإنّ الحدّ من

تفاقم عدم المساواة في أوقات الأزمات يتطلّب سياسات اقتصادية واجتماعية تعزّز شبكات الحماية الاجتماعية، وتدعم فرص العمل والإنتاج، وتضمن وصولاً أكثر عدالة إلى الخدمات الأساسية، بما يسهم في تحقيق تعافٍ اقتصادي أكثر شمولاً واستدامة.

6. كيف يمكن للسياسات المالية (الموازنة العامة) أن تعالج عدم المساواة؟

تُشكّل السياسات المالية، وفي مقدمتها الموازنة العامة، أداة أساسية لتعزيز العدالة الاجتماعية والحدّ من الفوارق الاقتصادية. فهي ليست مجرد أرقام تنظم الإيرادات والنفقات، بل إطار استراتيجي لتوجيه الموارد نحو تنمية شاملة ومستدامة، تُمكّن الجميع من الاستفادة من الفرص وتحسين جودة الحياة. من خلال تصميم ضرائب عادلة وإنفاق عام مدروس، تستطيع الحكومات دعم الفئات الأكثر هشاشة وتوسيع فرص الوصول إلى التعليم والصحة والخدمات الأساسية. كما تؤدي الموازنات دورًا حيويًا في تحفيز الاقتصاد المحلي، خصوصًا في المناطق الأقل نموًا، عبر الاستثمار في البنية التحتية وخلق فرص عمل جديدة. ومن أبرز الأدوات الحديثة في هذا المجال الموازنة المراعية للنوع الاجتماعي، التي تدمج منظور المساواة بين النساء والرجال في تخطيط وتنفيذ السياسات المالية. هذا النهج لا يقتصر على تخصيص موارد للنساء فقط، بل يهدف إلى تقييم أثر السياسات على جميع الفئات، وضمان توزيع أكثر عدالة للفرص والموارد. كما يساعد في سد الفجوات في التعليم والعمل والخدمات الصحية، وتعزيز مشاركة النساء الاقتصادية واستقلاليتهن المالية. وتظهر التجارب الدولية نجاح هذا النموذج بشكلٍ واضح. ففي كندا، ساعدت الموازنة المراعية للنوع الاجتماعي منذ منتصف التسعينيات على تحسين فرص النساء في سوق العمل وتوجيه موارد أكبر لبرامج التعليم والصحة. أما في جنوب أفريقيا، فقد أسهمت هذه الموازنات منذ 2003 في تعزيز وصول النساء والفتيات إلى الخدمات العامة وتحسين مشاركتهن الاقتصادية والاجتماعية، خصوصًا في المناطق الأشد فقرًا. في النهاية، تصبح الموازنة العامة، عندما تُدار بعقلية شاملة وعدالة اجتماعية، أكثر من أداة مالية فهي وسيلة لإعادة توزيع الموارد، وتحقيق النمو المستدام، وبناء مجتمع يستطيع فيه كل فرد، بغض النظر عن خلفيته أو جنسه، أن يشارك في الفرص الاقتصادية ويستفيد منها بشكلٍ متوازن.

7. ما دور التعاون الدولي في تحقيق الهدف العاشر؟

تقليص الفجوات الاقتصادية والاجتماعية داخل الدول وبينها لا يمكن تحقيقه من دون تعاون دولي متين وفعّال، فهو جوهر الهدف العاشر من أهداف التنمية المستدامة. فالتفاوتات المتزايدة في الدخل والفرص بين الدول الغنية والنامية، وبين المناطق الحضرية والريفية، تتطلّب موارد وخبرات تتجاوز قدرات أي دولة بمفردها. ومن خلال الشراكات الدولية، تستطيع الدول تبادل المعرفة، وتنفيذ برامج تمويلية، وإطلاق سياسات تهدف إلى الحدّ من الفقر وتعزيز الشمول الاقتصادي والاجتماعي. تؤدي المؤسسات المالية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، والجهات المانحة، دورًا محوريًا في دعم برامج إعادة توزيع الموارد، وتمويل البنية التحتية الاجتماعية، وبرامج الحماية الاجتماعية التي تستهدف الفئات الأكثر هشاشة. كما تساعد المبادرات متعددة الأطراف، التي تجمع الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني، على تنسيق الجهود لضمان وصول الموارد بشكلٍ عادل، وتقاسم المخاطر، وتحقيق تأثير طويل الأمد على مستوى المجتمعات والدول.

ويبرز التعاون الدولي أيضًا في نقل الخبرات وبناء القدرات، بما يتيح للدول النامية أن تعزز برامج التعليم والصحة، وتوسيع فرص العمل اللائق، ودعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة التي تمكّن الفئات الأقل حظاً من المشاركة الفعّالة في الاقتصاد. ففي مناطق مختلفة من أفريقيا وآسيا، أسهمت الشراكات الدولية في تحسين فرص التعليم وتمكين النساء والشباب اقتصاديًا، مما ساعد على تقليص فجوة التفاوت الاجتماعي والاقتصادي.

وبذلك يصبح التعاون الدولي ركيزة أساسية لتحقيق الهدف العاشر، وبناء مجتمعات أكثر إنصافًا وشمولية، قادرة على النمو المستدام من دون ترك أي فئة خلف الركب.

8. كيف يمكن الاستفادة من الذكاء الاصطناعي للحدّ من الفوارق الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز المساواة؟

يُمكن للذكاء الاصطناعي أن يصبح أداة قوية للحدّ من الفوارق الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز المساواة، محقّقًا غايات الهدف العاشر، عبر تقليص الفوارق الاقتصادية والاجتماعية وتمكين الفئات الأكثر هشاشة. فهو يتيح تحليل البيانات بسرعة ودقة، ما يساعد الحكومات والمؤسسات على تحديد الفجوات في التعليم والعمل والدخل، وتصميم سياسات وبرامج تستهدف الفئات المحتاجة بشكلٍ عادل. فعلى سبيل المثال، وظّفت الهند الذكاء الاصطناعي في قطاع الزراعة والخدمات المالية الرقمية لتحسين الوصول للفئات الريفية، وتقليص الفجوة بين المناطق الحضرية والريفية، مما يعزّز الشمول الاقتصادي. أما سنغافورة، فدمجت الذكاء الاصطناعي في التعليم وبرامج التوظيف لتعزيز مهارات القوى العاملة وخلق فرص متساوية للنساء والشباب، بما يدعم الاقتصاد الرقمي ويحدّ من الفوارق بين الفئات الاجتماعية. كما يُمكن للذكاء الاصطناعي دعم الشركات الصغيرة والمتوسطة في تحسين الإنتاج وتطوير منتجات مبتكرة، وخلق فرص عمل لائقة، مع تطوير حلول صديقة للبيئة والابتكار الاجتماعي. وبذلك،

يُشكّل الذكاء الاصطناعي أداة فعّالة لتوسيع شمول الاقتصاد وتعزيز العدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة.

9. ما هي التحدّيات التي تواجه تمويل تحقيق الهدف العاشر في الدول العربية؟

تواجه الدول العربية تحدّيات مالية وهيكلية متزايدة في تأمين التمويل اللازم لتحقيق الهدف العاشر، في ظلّ اتساع الفجوات الاقتصادية والاجتماعية، لا سيّما منذ جائحة كوفيد-19. فقد تسارعت وتيرة تراكم الثروة لدى الفئات الأكثر ثراءً، حيث استحوذ أغنى 10% من السكان على نحو 75% من الثروة في العام 2019، وارتفعت هذه الحصة إلى 81% في العام 2020، في مقابل تراجع ثروة النصف الأفقر بنحو الثلث. كما أظهرت بيانات العام 2022 أنّ أغنى 1% من البالغين يمتلكون نحو 44.7% من مجموع الثروة، مقابل 3.2% فقط لأفقر 50%، ما يعكس فجوة واضحة في توزيع الموارد. وتبرز من بين هذه التحدّيات محدودية فعالية الأنظمة الضريبية، إذ ما تزال الضرائب على الدخل والثروة غير كافية أو غير تصاعدية بالشكل المطلوب، وغالبًا ما تُضعفها الإعفاءات وآليات التقييم والتحصيل غير الفعّالة. كما يحدّ نقص البيانات الدقيقة حول توزيع الثروات من قدرة الإدارات الضريبية على تعبئة الإيرادات بعدالة. ويزيد من تعقيد المشهد انتشار التهرّب الضريبي والتدفّقات المالية غير المشروعة، التي تستنزف موارد كان يُمكن توجيهها لدعم الفئات الأكثر هشاشة. ورغم ذلك، تكشف الأرقام عن إمكانات كبيرة غير مستغلّة إذ تُقدَّر ثروة أغنى 10% في المنطقة بنحو 4.4 تريليون دولار، في حين لا تتجاوز كلفة سد فجوة فقر الدخل 38.6 مليار دولار، ما يبرز فرصة حقيقية لتعزيز الإيرادات عبر سياسات ضريبية أكثر عدالة. لذلك، يتطلّب تمويل الهدف العاشر إصلاحات متكاملة تشمل تعزيز تصاعدية الضرائب، وتحسين الشفافية والامتثال، وتطوير جودة البيانات المالية، إلى جانب توجيه الإنفاق العام نحو الحماية الاجتماعية والاستثمار في رأس المال البشري، بما يدعم مسار تنمية أكثر إنصافًا وشمولاً.

10. وصولاً إلى 2030: ما هي السياسات المقترحة لتسريع التقدّم في تحقيق الهدف العاشر؟

وفق التقرير العربي للتنمية المستدامة للعام 2024 الصادر عن الإسكوا، يتطلّب تسريع التقدّم نحو تحقيق هذا الهدف اعتماد حزمة متكاملة من السياسات العامة التي تعزّز الإنصاف والعدالة الاجتماعية، وتستجيب لاحتياجات الفئات الأكثر هشاشة، ضمن إطار حوكمة فعّال يقوم على الشفافية والمساءلة.

وتشمل هذه السياسات:

- إطلاق عمليات شفافة وتشاركية لصنع السياسات، بما يضمن إدماج اعتبارات الإنصاف في الخطط والبرامج القطاعية، والاستجابة لاحتياجات الفئات المهمّشة والمتضرّرة من الأوضاع القائمة.
- إقرار وإنفاذ تشريعات تكفل المساواة في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية، من خلال مكافحة جميع أشكال التمييز، وضمان تمتع الجميع بهذه الحقوق دون استثناء.
- إصلاح السياسات الضريبية بما يوفّر مصادر تمويل مستدامة وعادلة، عبر تعزيز تصاعدية الأنظمة الضريبية وتقوية دور الدولة في إعادة توزيع الدخل والثروة.
- رفع كفاءة وفعالية الإنفاق الاجتماعي لتحقيق تكافؤ الفرص، مع إيلاء اهتمام خاص للاحتياجات المتمايزة للفئات الأكثر هشاشة.
- تعزيز آليات المساءلة والشفافية المؤسسية، بما يتيح إخضاع

المصدر: الإسكوا: التقرير العربي للتنمية المستدامة للعام 2024

المؤسسات العامة لمزيد من التدقيق، والتركيز على قياس النتائج والأثر.

- تعزيز استقلالية القضاء وإقرار الإصلاحات التي تسهّل وصول الفئات المهمّشة إلى العدالة، وتضمن المعاملة المنصفة ومعالجة المظالم بفعالية.
- اعتماد سياسات للهجرة الآمنة والمنظمة والنظامية، وتعزيز التعاون الإقليمي في إدارتها، لا سيما في حالات الطوارئ.
- حماية حقوق الإنسان وحقوق العمل للمهاجرين، وضمان حصولهم على الخدمات الأساسية، من خلال تطوير الأطر التشريعية وتعزيز آليات الإنفاذ.
- الاستثمار في البيانات والإحصاءات المفصلة لرصد أوجه عدم المساواة وفق معايير مثل الجنس والعمر والإعاقة وحالة الهجرة والموقع الجغرافي، بما يدعم تصميم سياسات قائمة على الأدلة.

ويؤكد التقرير أنّ الحدّ من عدم المساواة لا يقتصر على كونه هدفًا اجتماعيًا، بل يُعدّ ركيزة أساسية لتحقيق تنمية شاملة ومستدامة، وتعزيز الاستقرار والعدالة بحلول العام 2030.

لمعرفة المزيد حول أهداف التنمية المستدامة

- موقع أهداف التنمية المستدامة في لبنان: http://sdglebanon.pcm.gov.lb/
- الأمم المتحدة: تقرير أهداف التنمية المستدامة للعام 2025
- موقع الأمم المتحدة في لبنان: http://www.lebanon.un.org
- موقع الاسكوا: https://www.unescwa.org/ar
- موقع الاسكوا - المنتدى العربي للتنمية المستدامة 2024: https://www.unescwa.org/ar/events-2024
- موقع الاسكوا : التقدم المحرز نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة في المنطقة العربية في العام 2025
- موقع معهد باسل فليحان المالي والاقتصادي- المكتبة المالية: https://www.institutdesfinances.gov.lb/library
- زيارة المكتبة المالية - معهد باسل فليحان المالي والاقتصادي، 512 كورنيش النهر، مبنى نقابة صيادلة لبنان

retail.com

Your One-Stop Shop for hp Technology

Laptops	Desktops	Printers	Accessories
Performance on the Go (HP Gaming, Probook & more)	Powerful Workstations (All-in-One & Towers)	Smart Solutions (Smart Tank & LaserJet)	Keyboards, Mice, Headsets & More

Retail.Com Showroom

M: +961 3 505 100
T: +961 4 410 410 ext: 10254
Jal-el-Dib Square, CIS Building,
P.O.Box: 11-6274, Riad el Solh, Beirut, Lebanon.

الاقتصاد والحرب

ماذا لو طال أمد الحرب؟

د. تراز منصور

منذ الثاني من آذار الفائت، والعدوان الإسرائيلي على لبنان لم يتوقف. آلاف من الشهداء والجرحى يروون بدمائهم أرض الوطن، إضافة إلى تراكم الخسائر بمليارات الدولارات، والتي تُنبئ بكارثةٍ اقتصادية ينتظرها لبنان، إذا طال أمد الحرب. فالتدمير يطال آلاف الوحدات السكنية والمصانع والمحلات التجارية والبنى التحتية، فضلًا عن تلف آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية، كل ذلك تسبّب بخسائر فادحة على جميع المستويات.

”إنّ مشكلة التضخم ناتجة عن الحرب الدائرة في المنطقة، وهي مرتبطة بارتفاع أسعار النفط وأسعار الشحن البحري والتأمين البحري والمخاطر. فقد أدّت هذه العوامل مجتمعةً إلى التضخم في جميع اقتصادات العالم، ولكنّ تأثير التضخم جاء مضاعفًا على اقتصادات الدول الهشّة، التي تعتمد على الاستيراد، كالاقتصاد اللبناني.“

وإذا كان من الصعب تقدير حجم الضرر الذي يلحق بالاقتصاد اللبناني من جراء هذه الحرب نظرًا لاستمرارها، فثمة أسئلة يطرحها اللبنانيون بإلحاحٍ تتمحور حول التأثيرات المرتقبة على سعر صرف الليرة اللبنانية مقابل الدولار، وحول التضخم الناجم عن ارتفاع أسعار النفط.

انهيار سعر الصرف إذا...

في حديث لمجلة «الجيش» يضيء الخبير الاقتصادي أنطوان فرح على الواقع الاقتصادي الحالي والخطر الذي يداهم سعر صرف الليرة اللبنانية، مؤكدًا أنّ ثباته لا يعكس الواقع الاقتصادي الحقيقي.

يرى فرح أنّ «تثبيت سعر صرف الليرة منذ نحو ثلاث سنوات، يتمّ من خلال التنسيق بين السلطتين النقدية والمالية، أي مصرف لبنان ووزارة المالية، ما أفضى إلى تصغير حجم الكتلة النقدية بالليرة، والتي لا تزيد اليوم عن سبعين تريليون ليرة. تتولى وزارة المالية جمع جزءٍ كبيرٍ من هذه الكتلة، من خلال جباية الضرائب من السوق، وتعيدها إلى مصرف لبنان الذي يستخدمها بدوره لشراء الدولارات من السوق وتحويل جزء منها إلى الدولة لدفع الرواتب والأجور وبعض المصاريف الأخرى. تشبه هذه العملية ما يسمى بـ «مجلس النقد» Currency Board، الذي يحافظ على كتلة نقدية محدودة، لحماية العملة الوطنية». وهو يؤكد أنّ هذه الاستراتيجية أسهمت في بناء ما يشبه جدارًا بين الاقتصاد والسياسة النقدية، ممّا يعني أنّ الأزمات الاقتصادية أو السياسية أو الأمنية لم تعد تنعكس بشكلٍ مباشر على السياسة النقدية. لكنّه يشير في المقابل إلى أنّ الصعوبات التي تواجه الليرة اليوم، تتعلّق بالخلل الذي واجه وزارة المالية لناحية جباية الضرائب نتيجة الحرب الدائرة. وبالتالي، لا يمكن للوزارة إعادة جزء من الأموال الموجودة في الأسواق إلى مصرف لبنان.

أما الجزء الآخر من العملية الذي أُصيب بخللٍ، فيتعلّق بالصعوبة التي يواجهها مصرف لبنان في شراء الدولارات من السوق بسبب الشحّ بالليرة اللبنانية. ومع أنّ الاحتياطي لديه تناقص في شهر شباط، نجح المصرف المركزي في الحفاظ على المستويات نفسها من الموجودات في آذار ونيسان، بما يعني أنّ السوق ما زال قادرًا على تأمين الدولارات، من دون أن يضطر مصرف لبنان إلى تكبير حجم الكتلة بالليرة، وهذا بيت القصيد. إذ إنّ عدم تكبير الكتلة النقدية بالليرة حتى الآن، يعني أنّها في مأمن من الانهيار.

ويوضح فرح أنّ الاحتياطي الإلزامي يعود إلى المصارف والمودعين والذي تبلغ قيمته نحو 8,5 مليار دولار، في حين أنّ الاحتياطي العام لمصرف لبنان هو في حدود 11,5 مليار دولار، وطالما أنّه لا يتناقص رغم النفقات الشهرية، والتي تبلغ نحو 500 مليون دولار، فهذا مؤشر على استمرار استقرار سعر الصرف. وفي الواقع، فإنّ بعض الأخبار والشائعات التي تتحدث عن قرب انهيار سعر الصرف، هي حملات تقف وراءها جهات تهدف إلى إحداث خلل، وتأمل أن تؤدّي هذه الشائعات التي تروّج لها إلى انهيار مالي يمكن أن تستغله. وهذا السلوك هو من أخطر الأمور التي ينبغي التنبّه لها اليوم.

يشير فرح إلى إعلان حاكم مصرف لبنان حول عدم المسّ بالاحتياط الإلزامي، وبأنّه سيتوقف عن الإنفاق باستثناء مواصلة دفع الودائع المرتبطة بالتعميمَين 158 و166 اللذَين تبلغ كلفتهما حوالى 230 مليون دولار شهريًا. كما يلفت إلى أنّ الخطورة الحقيقية على الليرة قد تبدأ في حال استمرت الحرب لأكثر من خمسة أشهر إضافية، أي لما بعد فصل الصيف، لأنّ الدولة قد تضطر إلى الإنفاق بالليرة وتكبير حجم الكتلة في السوق.

التضخم وأسعار النفط

يرى فرح أنّ مشكلة التضخم ناتجة عن الحرب الدائرة في المنطقة، وهي مرتبطة بارتفاع أسعار النفط وأسعار الشحن البحري والتأمين البحري والمخاطر. فقد أدّت هذه العوامل مجتمعةً إلى التضخم في جميع اقتصادات العالم، ولكنّ تأثير التضخم جاء مضاعفًا على اقتصادات الدول الهشّة، التي تعتمد على الاستيراد، كالاقتصاد اللبناني. وإذ لفت إلى مشكلة فوضى الأسعار في لبنان وعدم القدرة على المراقبة، أكّد أنّ هذا التضخم حدّ من القدرة الشرائية للكثير من اللبنانيين، والتي كانت في الأساس متدنّية، ما جعل الوضع صعبًا جدًا. وما سيزيد من صعوبته تراجع مداخيل المواطن اللبناني من جراء حسومات على الرواتب التي قد تلجأ إليها الشركات، إذا تفاقمت الأزمة.

واقع المؤسسات الخاصة دقيق جدًا وفق فرح، ولا سيّما أنّها لا تملك الاحتياطي، وهي تعاني منذ العام 2024 أزمات متراكمة في ظلّ غياب القطاع المصرفي، الذي يمنح القروض لهذه المؤسسات كي تبقى وتستمر. يُضاف إلى ذلك الانكماش الذي انعكس على كل القطاعات تقريبًا، باستثناء تجارة الأغذية.

يتوقع فرح ارتفاع وتيرة الصعوبة، كلّما طال أمد الحرب التي سوف تخلّف أضرارًا تراكمية، ينتج عنها خفض بالرواتب، وصرف موظفين أو إقفال مؤسسات بشكل نهائي. وفي السياق، يوضح أنّ تحدّيات مؤسسات القطاع العام لا تكمن فقط في تدني الرواتب والأجور، بل في مشكلة ارتفاع أسعار المحروقات والتضخّم، ما يجعل الموظفين عاجزين عن الذهاب إلى عملهم، ويؤدي إلى شلل مؤسسات هذا القطاع، إذا طال أمد الحرب لخمسة أو ستة أشهر.

خسائر بملايين الدولارات يوميًا

في ما يتعلّق بالبطالة، فإنّ نسبتها لا يمكن حصرها بأرقامٍ دقيقة في لبنان من وجهة نظر فرح، في حين يرى البعض أنّ هذه النسبة قد تقارب 40%، ومن الطبيعي أن تكون مرتفعة نتيجة الركود الاقتصادي؛ ثم لفت إلى أنّ الدول تعتمد على مؤشر البطالة الذي يُعدّ المؤشر الأساسي في الاقتصاد.

وعن حجم الخسائر، يوضح فرح أنّه لا توجد تقديرات عملية وعلمية عن خسائر حرب إسرائيل على لبنان 2026، مؤكدًا أنّها ليست مشابهة لتلك التي حصلت في العام 2024 والتي لم تكن حربًا إقليمية، كما هو واقع الحرب الجارية اليوم بين الولايات المتحدة الأميركية وإيران. واعتبر أنّ الفارق بينهما ينحصر في ثلاثة عناصر:

- الأول: تفاقم مشكلة التضخم بسبب ارتفاع أسعار النفط.
- الثاني: انحسار تحويلات المغتربين بسبب الوضع في الدول الخليجية، والتي ستكون لها تداعيات أكبر من حرب 2024.
- الثالث: عمليات التدمير الممنهج الواسعة التي تمارسها «إسرائيل» وتشمل بلدات وقرى بأكملها.

الخسائر المباشرة وغير المباشرة

يقدّر فرح الخسائر المباشرة وغير المباشرة بأكثر من مئتي مليون دولار يوميًا. وهو يرى أنّ أحد أبرز أنواع الخسائر يتمثّل في التداعيات العالمية للحرب، إذ يؤدي ارتفاع أسعار النفط وعرقلة حركة التجارة البحرية إلى زيادة في معدلات التضخم عالميًا، ما ينعكس ارتفاعًا في أسعار السلع الأساسية، مؤكدًا أنّ الاقتصاد اللبناني الذي يعاني أصلًا من هشاشة كبيرة، سيتحمّل جزءًا كبيرًا من هذه الزيادات.

ويشير إلى أنّ الخسائر لا تقتصر على التضخم، بل ستمتد أيضًا إلى الدورة الاقتصادية في لبنان، فبعد الانهيار الذي بدأ في العام 2019، كان الاقتصاد اللبناني قد بدأ يلمس تعافيًا جزئيًا، إلّا أنّ الحرب ستؤدي إلى ضرب هذا التعافي.

ويلفت إلى أنّ لبنان قد يدخل في مرحلة ركود اقتصادي، موضحًا أنّه على الرغم من تسجيل نمو يقارب 5% في العام 2025، إلا أنّ استمرار الوضع الحالي، سيؤدي هذا العام إلى غياب النمو وعلى الأرجح إلى تسجيل انكماش اقتصادي لم تتضح نسبته بعد.

كما يرى أنّ إعادة الإعمار بعد انتهاء الحرب ستفرض أعباء مالية ضخمة، وقد تؤدي إلى تراكم ديون إضافية سواء على الدولة أو المواطنين أو جهات أخرى، ما سيشكّل ثقلًا كبيرًا على الاقتصاد اللبناني.

ويؤكد فرح إمكان نهوض الاقتصاد والتعافي إذا انتهت الحرب بسرعة، ولكن إذا طال أمدها لخمسة أشهر أو أكثر، فستكون تداعياتها مزمنة وعميقة.

وفي الختام، لا يسعنا سوى تمنّي انتهاء هذه الحرب المدمّرة على لبنان في أسرع وقت ممكن، كي ينجو ما تبقّى من أرواح وممتلكات في الجنوب وسواه من مناطق تتعرض للاعتداءات، وتحافظ الليرة على استقرارها، وإلّا سقط الهيكل على رؤوس الجميع.

FOLLOW US ON
@GazzaouiHolding

info@gazzaoui.com.lb
Jamil Ibrahim Bldg., Venezuela Str., Ramlet El Bayda
gazzaoui.com.lb

كتالوجات مهرجانات بعلبك الدولية والتشكّل البصري للبنان 1955-1974

أكرم الريس – كاتب وباحث

انخرط لبنان في عملية معقّدة لإعادة تعريف ذاته ثقافيًا في العقود التي تلت الاستقلال، ساعيًا إلى ترسيخ موقعه ضمن التاريخ الإقليمي ومسارات الحداثة العالمية في آنٍ معًا. وتُعدّ مهرجانات بعلبك الدولية من أبرز تجلّيات هذا المشروع الثقافي، وهي أُسّست في العام 1955 بدعمٍ مباشر من رئيس الجمهورية كميل شمعون والسيدة الأولى زلفا تابت شمعون. وسرعان ما تحوّلت إلى قدوة ومُنطلق للنهضة الفنية المحلية ومنصة محورية في التبادل والدبلوماسية الثقافية.

وعلى الرغم من الاعتراف الواسع بأهمية المهرجان وبرامجه ودلالاته الرمزية، إلّا أنّ كتالوجاته السنوية لم تحظَ بالاهتمام الكافي بوصفها مواد بصرية وأدبية وأركيولوجية وفنية ذات قيمة خاصة. تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أنّ كتالوجات مهرجانات بعلبك (1955–1974) تشكّل أرشيفًا أساسيًا لفهم كيفية تشكُّل مفاهيم التراث والحداثة والهوية الوطنية بصريًا في لبنان خلال منتصف القرن العشرين. استنادًا إلى مقاربات في الأنثروبولوجيا البصرية وتاريخ التصميم، يُعاد النظر في هذه الكتالوجات ليس كملاحق توثيقية، بل كوسائط فاعلة ساهمت في تشكيل تصوّر كلٍّ من المهرجان والوطن محليًا وخارجيًا.

الكتالوجات بوصفها كائن ثقافي

لا تُعدّ المطبوعات مثل الكتالوجات مجرد أدوات نقل معلومات من منظور الأنثروبولوجيا البصرية، بل هي عناصر مادية فاعلة في إنتاج المعنى الثقافي. فهي تنتقل بين جمهور متنوع، وتتجاوز زمن الحدث، وتجسّد القيم المؤسسية في شكل ملموس.

وقد أُنتجت كتالوجات بعلبك بعناية ملحوظة في ما يتعلّق بالجودة المادية، من اختيار الورق إلى تقنيات الطباعة والتجليد، ما يشير إلى أنها صُمّمت لتكون مواد قابلة للاقتناء، لا مجرد منشورات عابرة. وفي هذا السياق، يمكن فهمها ضمن ما يسميه الأنثروبولوجي الهندي أرجون أبّادوراي «الحياة الاجتماعية للأشياء» (The Social Life of Things)، إذ تكتسب المواد قيمتها من خلال تداولها واستخدامها. وعليه، يتحوّل الكتالوج إلى امتداد متنقّل للمهرجان، يسمح بإعادة تجربة أطلال بعلبك الرومانية ومهرجانها خارج حدود الموقع، ويجعلها قابلة للتداول والتذكّر وإعادة التلقّي والتقييم.

فقرة الفن الشعبي اللبناني من كتالوج 1959

غلاف 1956

محتوى الكتالوجات: من التعريف إلى التخيّل

تكشف كتالوجات مهرجانات بعلبك الدولية عبر عقدين وتسعة عشر مهرجاناً عن رحلة ثقافية وجمالية مدهشة، تحوّلت خلالها هذه الإصدارات من برامج تعريفية بالعروض إلى مشاريع فنية وفكرية متكاملة، تعيد تخيّل لبنان أمام العالم وتوثّق هذا المخيال المتجدد. تميزت هذه المطبوعات بهيكلٍ رصين وفقرات شبه ثابتة في مضمونها وتسلسلها، فتبدأ بكلمة لكل من رئيس الجمهورية ورئيسة المهرجان بالفرنسية يقابلهما النص العربي ويكون موقعه إجمالاً في نهاية الكتاب. يلي هذه الفقرة جدول يلخّص أعمال المواسم السابقة من المهرجان، ومن ثم الملف السنوي الذي تتخلّله نصوص لأدباء وكتّاب من لبنان، تدور حول خصوصية بعلبك ونواحٍ مختلفة من ميزات هذا البلد الذي يشكّل جسرًا فريدًا بين الشرق والغرب. وتركّز الفقرة التالية على تفاصيل البرنامج الفني السنوي، والأعمال والفِرق الأجنبية المشاركة إلى جانب فعاليات الليالي اللبنانية ونجمتَيها فيروز وصباح وعروض الصوت والضوء التي انطلقت في العام 1961. كما خصص الكتالوج حيزاً لأعمال لجنة المسرح العربي الحديث منذ العام 1963، يشمل صورًا وقائمة بالمسرحيات. ويعكس الالتزام باللغات الثلاث الفرنسية، والعربية، والإنكليزية منذ العام 1957 خطة المهرجان لاستهداف جمهور عالمي واسع، وأحد متطلبات تحقيق مرجعية ثقافية مرجوّة. وتكشف فهارس المعلنين الكثيفة والثابتة عبر السنوات في الكتالوجات عن شبكة دعم مالي واسعة، تمثل حلقة فاعلة من النخب الاقتصادية والمالية، ما يشير إلى تكامل بين القطاعين العام والخاص في دعم هذا المشروع الثقافي.

الملف السنوي: مهرجان موازٍ

انطلق الكتالوج في العام 1961 بوثبة كبيرة بدا معها وكأنّه محاولة لنسج حوار بصري بين الماضي والحاضر، ليشمل في غالبية السنوات اللاحقة ملفات مخصصة لمواضيع تراثية وأركيولوجية وفنية مستقاة من أمهات الكتب القديمة، ومصادر أرشيفية متعددة تتنقل بين الكلمة واللوحة والرسوم التطبيقية والصورة. وفي كتالوج ذلك العام انسابت الزخارف (الأرابيسك) من سقوف معبد باخوس وصولاً إلى أعمال الرساميَن الفرنسيَّين مايول وماتيس على «طول ألفي عام من العمر» وعبر ازدياد مطّرد لعدد الصفحات الذي وصل إلى حوالى 198 صفحة.

ثم جاء كتالوج 1962 ليؤكد أنّ مهرجان بعلبك لم يعد حدثاً فنيًا عابرًا، بل «لحظة ذروة في الحياة الثقافية اللبنانية»، وأصبح الكتالوج عملًا ينتظره ويقتنيه المهتمون خلال صيف كل عام. أخذ البرنامج في تلك الدورة على عاتقه تقديم المدارس اللبنانية في الرسم والنحت والتصوير، إلى جانب أصوات الشعراء والأدباء، في سعي لرسم صورة لبنان الثقافي المنفتح على العالم. وقد لعب عضو لجنة المهرجان كميل أبو صوان دورًا محوريًا في صياغة هذه الهوية البصرية والثقافية، من خلال تصميم الكتالوج واستقطاب الفنانين والكتّاب.

أما كتالوج 1963، فقد حمل عنوان «رحلات في الشرق»، وخصّص صفحاته لاستعادة لبنان كما رآه الرحالة والكتّاب خلال نحو قرنين. امتزجت نصوص غوستاف فلوبير وهنري بوردو ولامارتين وأرنست

”تكشف كتالوجات مهرجانات بعلبك الدولية عبر عقدين وتسعة عشر مهرجانًا عن رحلة ثقافية وجمالية مدهشة، تحوّلت خلالها هذه الإصدارات من برامج تعريفية بالعروض إلى مشاريع فنية وفكرية متكاملة، تعيد تخيّل لبنان أمام العالم وتوثّق هذا المخيال المتجدد.“

كتالوج 1960

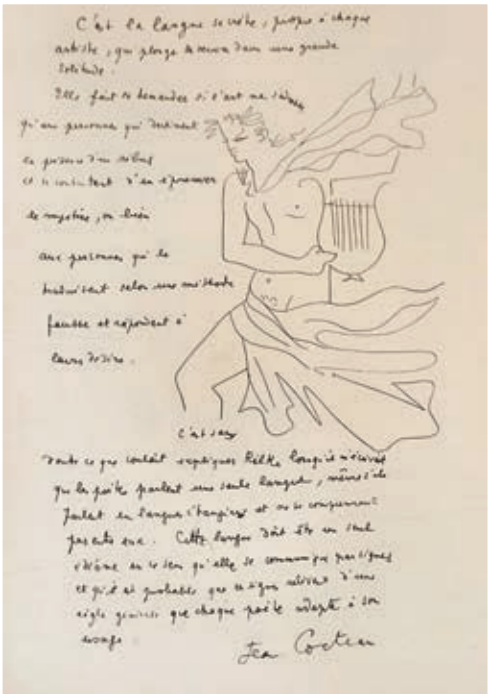

جان كوكتو في بعلبك 1960

رينان وموريس بار برسوم شفيق عبود ورفيق شرف ومصطفى فروخ، ليصبح الكتالوج أشبه بألبوم «ذاكرة مستقبلية» جماعية للبنان الطبيعي والشعري والتراثي.

ومع النصف الثاني من الستينيات، اتجهت الكتالوجات نحو مواضيع أكثر ارتباطاً بالهوية الوطنية والرمزية الحضارية. ففي العام 1967 ظهر عنوان «لبنان أمس، لبنان الحديث» لملف يجمع رسومات وصوراً لمناطق مختلفة تمتد من العهود القديمة إلى يومنا هذا، كأنّ المهرجان يحاول التوفيق بين الحداثة والتاريخ. وفي 1968، انتقل الاهتمام إلى «البيت اللبناني القديم» (من إعداد كميل أبو صوان) بوصفه رمزاً للذاكرة المحلية والعمارة التقليدية.

ثم عادت بعلبك نفسها لتحتل مركز السردية: «باخوس» (1969)، و«جوبيتر» (1970)، و«فينوس» (1972) عبر دراسات علمية موثّقة قدّمها هاروتيون كالايان وفريدريش راجيت من الجامعة الأميركية في بيروت. يتحوّل هنا الكتالوج إلى احتفاء بالمعابد الرومانية بوصفها رموزاً ثقافية وهوية بصرية للبنان الحديث.

في السبعينيات، أخذ الاهتمام بالفنون التشكيلية يتصاعد بوضوح من جديد. فخُصّص كتالوج 1971 لـ «أزياء الشرق»، بينما احتفى كتالوج 1973 بخمس وستين لوحة تشكيلية (إعداد جوزيف طراب)، قبل أن يأتي كتالوج 1974 بعنوان «100 عام من الفن التشكيلي» (إعداد وضاح فارس)، ليقدّم قراءة شبه متحفية وشاملة لمسار الفن اللبناني الحديث ولأول مرة بالألوان.

بالتوازي، حوَت الكتالوجات، بخاصة منذ العام 1961، نصوصًا لمروحة واسعة من الأدباء والكتّاب اللبنانيين، نذكر منهم رامز خليل سركيس، شاعر الأرز، الأخطل الصغير، فؤاد غبريال نفاع، ميشال شيحا، فؤاد صرّوف، رينه حبشي، صلاح لبكي، موريس شهاب، سعيد عقل، توفيق يوسف عواد، صلاح الأسير، داود عمون، جميل جبر، كمال جنبلاط، أندريه شديد، يوسف إبراهيم يزبك، فؤاد افرام البستاني، رشدي المعلوف، عمر فاخوري، شارل قرم، إتيل عدنان، بولس سلامة، كامل مروة، أمين نخلة وآخرين. هكذا، لم تكن كتالوجات مهرجان بعلبك مجرد مطبوعات مرافقة للعروض، بل أرشيفًا ثقافيًا بصريًا يروي قصة لبنان: تاريخه، فنونه، ذاكرته، وصورته التي أراد أن يقدّمها إلى العالم.

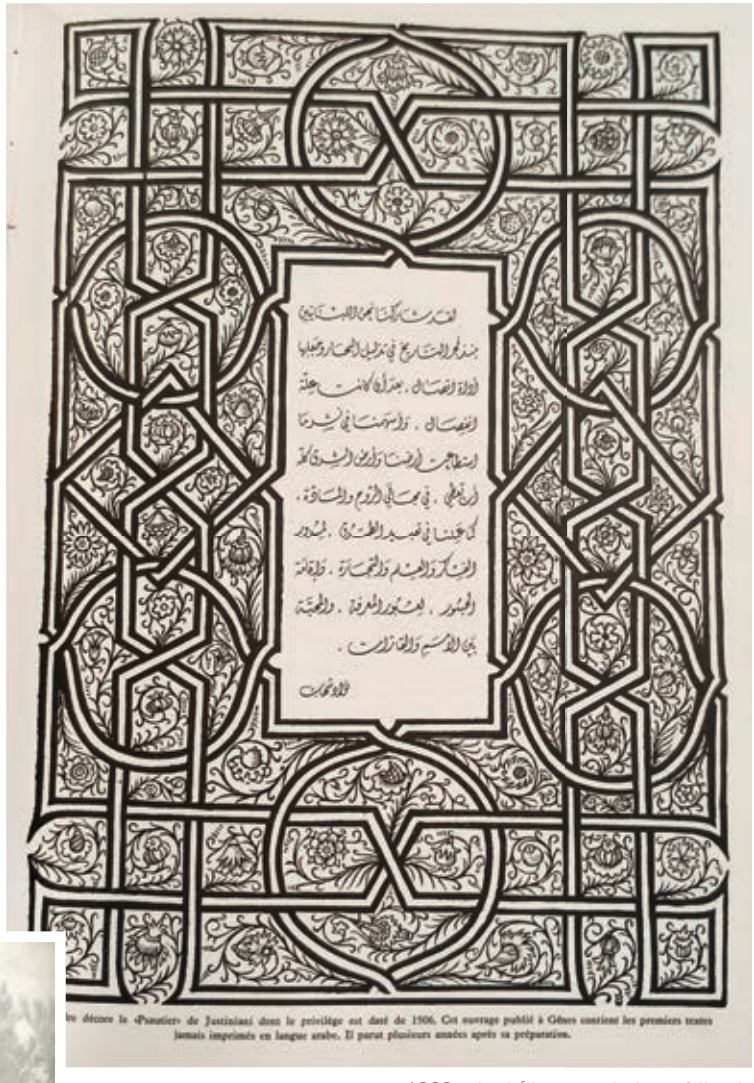

كلمة الرئيس شهاب ضمن الأرابسك، 1962

الاستعراض ومركزية الأطلال وظلال اليوتوبيا

تتحوّل كتالوجات مهرجانات بعلبك تدريجيًا من منشورات تعريفية مرافقة للعروض إلى أعمال فنية قائمة بذاتها ومشاريع نشر متكاملة، تعكس تطورًا ملحوظًا في التصميم وتحوّلاً عميقًا في الفلسفة البصرية للمهرجان، بالتوازي مع تحوّله إلى منصة مركزية لصوغ الهوية الثقافية اللبنانية الحديثة. ففي المرحلة التأسيسية بين العامَين 1955 و1960، اتسم التصميم الغرافيكي بطابعٍ عملي وتقليدي، مع هيمنة واضحة للّغة الفرنسية وتركيز أساسي على شرح البرنامج والعروض المسرحية ذات الطابع الأوروبي، قبل أن تبدأ «الليالي اللبنانية» منذ العام 1957 بإدخال اللغة العربية والبعد الفني الشعبي والمحلي إلى المشهد البصري للمهرجان. واستقر الكتالوج آنذاك على قياس شبه مربع (28 × 22 سم)، وجاء بالأبيض والأسود، محدود الصفحات، مع اعتماد واسع على مواد أرشيفية غربية المصدر عن بعلبك والمشرق، شملت كتب الرحالة والنقوش الكلاسيكية، ما يعكس سعيًا إلى ترسيخ شرعية ثقافية تستند إلى المرجعية الأوروبية، مقابل حضور كان ما يزال خجولاً لعناصر الهوية المحلية.

وفي هذا السياق، اكتسبت الصورة الأثرية دورًا محوريًا في بناء ما يمكن تسميته بالاستعراض الثقافي للبنان. فقد تميّز غلاف إصدار العام 1959 برسومٍ للمعابد استلهمت من كتاب عالِم الآثار والرحّالة الإنكليزي

المسرح العربي الحديث، 1963

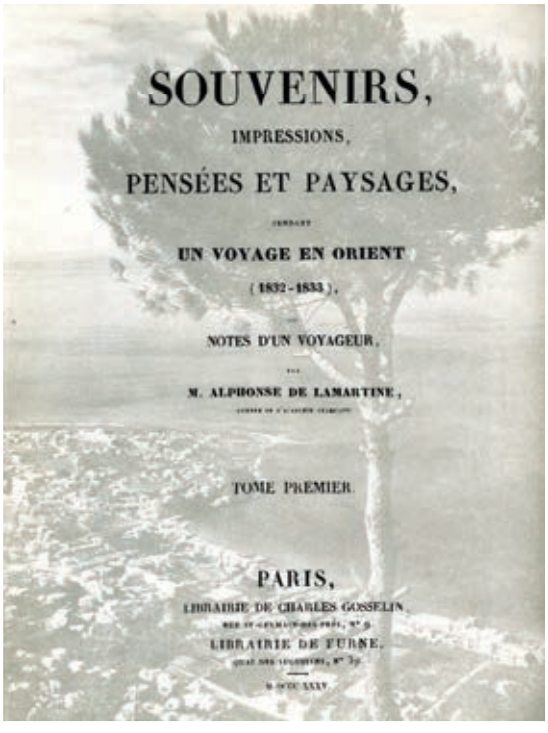

من ملف كتالوج العام 1963

روبرت وود الصادر في العام 1757 بعنوان «أطلال بعلبك» (The Ruins of Balbec)، في محاولة واضحة لربط المهرجان بعظمة الموقع الأثري ومنحه عمقًا تاريخيًا ورمزية حضارية. واستمر هذا المسار

”لا تُعدّ المطبوعات مثل الكتالوجات مجرد أدوات نقل معلومات من منظور الأنثروبولوجيا البصرية، بل هي عناصر مادية فاعلة في إنتاج المعنى الثقافي. فهي تنتقل بين جمهور متنوع، وتتجاوز زمن الحدث، وتجسّد القيم المؤسسية في شكل ملموس.“

غلاف كتالوج 1966

فهرس كتالوج 1968

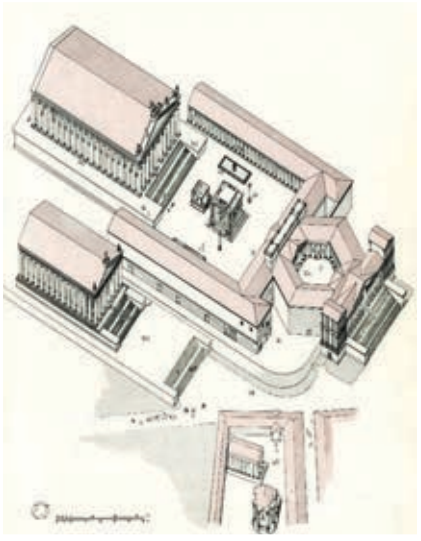
من ملف معبد باخوس 1969

في غلاف وصفحات إصدار العام التالي عبر استعادة رسوم وصور من أعمال الرحّالة والباحثَين الفرنسيَّين الكسندر دي لا بورد وولده عالِم الآثار والرسام والدبلوماسي ليون (1837)، إلى جانب مصادر أوروبية أخرى من القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر.

تُصبح الأطلال الأثرية في بعلبك، في إحصاء لمجمل الإصدارات خلال عشرين عامًا، من أبرز السمات البصرية المتكرّرة في الكتالوجات وأغلفتها الخارجية، فباخوس سيقودنا دائمًا نحو القلب كما يكتب كميل أبو صوان. وتؤدي تلك الآثار وظيفة رمزية بوصفها مُرتكزات أيقونية تُبنى من خلالها سردية الاستمرارية التاريخية وملامح يوتوبيا مستقبلية. هنا لا تعود الصورة مجرد أداة توثيق، بل تتحوّل إلى وسيلة لإنتاج الهيبة الثقافية وتضخيم الأثر الرمزي للمهرجان داخليًا وخارجيًا، وفق ما يصفه المفكّر الفرنسي غي ديبور بمفهوم الاستعراض (Spectacle)، حيث تُعاد صياغة الواقع عبر الصورة، التي تُضخّم بدورها الأثر الرمزي للحدث الثقافي لتصبح الثقافة نفسها مشهدًا بصريًا مهيبًا وعابرًا للحدود. ويتقاطع هذا التوجّه مع سعي لبنان في تلك المرحلة إلى تقديم نفسه كقطبٍ سياحي وثقافي يجمع بين عمق التاريخ وحيوية الحاضر وجاذبية الصورة. تتحوّل بذلك أطلال المعابد إلى مسرح واقعي ورمزي في آن تُقام عليه العروض والمطبوعات، وتتلاقى فيه الأزمنة والعصور المختلفة ضمن مشهد استعراضي متكامل.

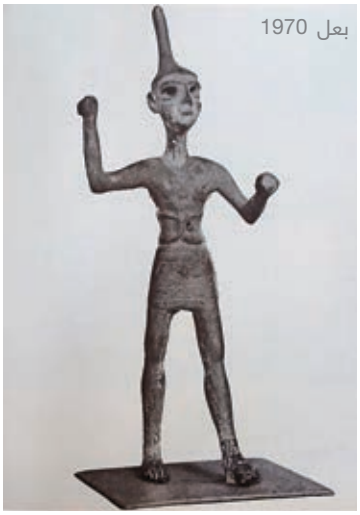
بعل 1970

تصميم حداثي في حضور التاريخ

تولّت تصميم هذه الإصدارات أسماء لامعة، مما أسهم في خلق تطور غرافيكي انتقل من البساطة التقليدية بالأبيض والأسود في الخمسينيات، إلى الجرأة والحداثة باستخدام التصوير الفوتوغرافي المعاصر ونُظم الطباعة المتطورة.

ابتداءً من أوائل الستينيات (1961 - 1966)، يظهر تحوّل نحو تعقيد المحتوى وتعدُّديته، إذ تدخل النصوص الأدبية اللبنانية والعربية التي أشرنا إليها بقوةٍ فضاء الكتالوجات، إلى جانب مواد عن التراث والفولكلور. تصبح الكتالوجات أكثر كثافة، كان أقصاها 208 صفحات في العام 1962، وتتوسع بصريًا عبر الصور والرسوم، مع بداية استخدام تصميمات أكثر وعيًا وانسجامًا مع أهداف المهرجان. هنا يبدأ تبلور خطاب «لبنان الثقافي» كجسرٍ بين الشرق والغرب. في أواخر الستينيات (1967 - 1969)، تتعزز الوظيفة الوطنية للكتالوج، مع إبراز «لبنان القديم والحديث»، وتكثيف المقالات الفكرية والتاريخية، وتطوير الهوية البصرية من خلال ألوان وتخطيطات وشعارات. كما يستمر الاهتمام بالموقع الأثري البعلبكي كبعدٍ رمزي في بناء سردية وطنية. أما في السبعينيات (1970 - 1974)، فتبلغ الكتالوجات مرحلة جديدة في نضجها، وتصبح منصات ثقافية وأرشيفية متكاملة: التوثيق التاريخي والفني، والابتعاد عن التقليدية نحو تجارب بصرية أكثر جرأة وحداثة انتقلت فيها اللغة

التصميمية نحو الفن المعاصر والتصوير الفوتوغرافي ونُظم الطباعة المستجدة.

شملت أسماء من تولّوا تصميم الكتالوجات وإدارتها: روز ماري صايغ (1956)، جون كارسويل (1957)، «أحد أعضاء اللجنة الذي لم يشأ أن يُفصح عن اسمه» (1959 - 1961)، كميل أبو صوان (1962 - 1963)، مهى سابا، جون إبراهيم (1964)، وسيدني كينغ (1965)، ودانيال رود، آلان برناس، فيكتور سلامة (1966)، والفنانة التشكيلية سي سي سرسق (1967)، ومدرسة إتيان للفنون والطباعة في باريس الفرنسية العريقة بمشاركة دايفد قرم وجوزيف جبارة (1969)، وهي السنة التي أُطلق فيها شعار المهرجان الدائري والذي ما زال معتمدًا حتى يومنا هذا، وتولّى جوزيف جبارة التصميم طوال السنوات الثلاث اللاحقة (1970 - 1972)، وأخيرًا وليس آخرًا artshop (1974) في الكتالوج الذي كان خاتمة سلسلة الإصدارات لمرحلة ما قبل الحرب اللبنانية.

ومن اللافت أنّ هذه التحوّلات في المسار التصميمي لا تتطابق بالضرورة مباشرةً مع الأحداث السياسية الكبرى في لبنان والمنطقة، مثل أزمة لبنان في العام 1958 أو حرب حزيران 1967. إذ تحافظ الكتالوجات على استقرار بصري حتى في فترات التوتر، ما يشير إلى أنّ التصميم يعمل كأداة لإنتاج استمرارية رمزية تعكس مسارًا متصاعدًا من نمو المؤسسة، وبناء الهوية الوطنية، والتحديث الفني.

أما بالنسبة إلى الطباعة، فتُظهر المنشورات التسع عشرة التوجه الاحترافي والاعتماد المستمر على دور نشر عريقة مثل المطبعة الكاثوليكية في بيروت في العدد الأكبر من السنوات، والذي يعزز قيمة الكتالوج كقطعةٍ تذكارية قابلة للاقتناء (Souvenir)، ويبرز الحرص على جودة المنتج المادي عبر نوع الورق، وجودة الطباعة والتنسيق وخصائص أخرى. وتولت تلك المهمة في أعوام متفرقة مطبعة صيقلي (1956)، ومطبعة الشرق الأوسط للتصدير (1957)، والمطبعة اللبنانية الوطنية (1966)، وتعاونية الصحافة ش.م.ل (1967).

الانتقائية وسياسات التمثيل البصرية

تُظهر الكتالوجات انتقائية واضحة في ما تعرضه على الرغم من طابعها الكوزموبوليتي وجاذبيتها وتنوعها. إذ تهيمن الآثار الرومانية والفنون النخبوية على المشهد البصري، فيما تغيب العديد من المراحل التاريخية التالية وبالأخص العثمانية، بالإضافة إلى هامشية رموز الحياة اليومية والتنوع الاجتماعي والممارسات الشعبية خارج إطلالات أم كلثوم وفرقة الموسيقى العربية، والليالي اللبنانية في تصويرها للمدى الريفي واستعادة شخصيات تاريخية كما حدث في مسرحية أيام فخر الدين (1966) للأخوين رحباني. وتبدو قلعة إيعال التي شيّدها مصطفى آغا بربر في العام 1814 ونقلها روميو لحود في مسرحية «القلعة» (1968) إلى مسرح الليالي اللبنانية أحد الاستثناءات الأثرية القليلة. تعكس هذه الانتقائية ما تصفه الأنثروبولوجيا البصرية بـ «أنظمة التمثيل» (Representation Systems)، إذ يتم إبراز سرديات معينة وتهميش أخرى. وبذلك، تُنتج الكتالوجات صورة مُنسّقة للبنان، تُبرز الرقي والانفتاح، وتتجاهل جوانب قد تكون الأكثر تعقيدًا أو إشكالية في الواقع الاجتماعي. ولا يُعدّ هذا الإقصاء عرضيًا، بل هو جزء أساسي من وظيفة الكتالوجات كأدواتٍ لإنتاج صورة وطنية مرغوبة ومتماسكة على المستويين المحلي والدولي.

شعار المهرجان 1971

أزياء الشرق 1971

دور في بناء الدولة

محليًا، إنّ الجمع بين صور الأطلال والتصميم الحداثي ينتج تركيبًا زمنيًا يدمج الماضي بالحاضر، ويشكّل أساس الخطاب البصري المرغوب والمتماسك للكتالوجات، كمنصةٍ لتعزيز الهوية اللبنانية التوافقية ونشرها. يتحقق ذلك من خلال دمج أعمال فنانين وأدباء في صياغة سردية توثيقية ثقافية تجمع بين الحداثة اللبنانية المتصاعدة منذ أن نال استقلاله والجذور التاريخية المتمثلة في آثار بعلبك. ويتيح الدمج تقديم لبنان بوصفه كياناً متجذّرًا تاريخيًا ومنفتحًا على المستقبل

ضمن حدود تماسك هذا الخطاب الانتقائي الجمعي أمام اقتراب لحظة الانفجار مع اندلاع الحرب في العام 1975.

عكست الكتالوجات عبر هذا الخطاب أيضًا دور المهرجان كأداة قوة ناعمة للدولة اللبنانية، كما شكّلت جسرًا للنهضة بين الدولة والفنون والثقافة. ورسّخت كلمات رؤساء الجمهورية أهمية المهرجان كمشروعٍ وطني وشأن سيادي وليس مجرد حدثٍ فني. وتُثبت كلمات رئيسات المهرجان إيميه كتابة وسلوى السعيد ومي عريضة وقوائم أسماء اللجنة التنفيذية والجمعية العامة، الاستمرارية القيادية لمؤسسة المهرجان؛ وتُبرز انتقاله من مبادرات متفرقة إلى هيكلية إدارية منتظمة.

الكوزموبوليتية والدبلوماسية الثقافية

دوليًا، تتّسم لغة التصميم في الكتالوجات بطابعٍ حداثي واضح مقابل حضور العراقة والتاريخ في المحتوى ضمن عمليّة ترجمة ثقافية تُعاد من خلالها صياغة المبادئ العالمية للتصميم ضمن سياق محلي. فالحداثة هنا تُستخدم كإطارٍ بصري يجعل التراث قابلًا للفهم لدى جمهور دولي، وفي الوقت ذاته يعكس انخراط لبنان في توجهات الحداثة الثقافية العالمية. بالتالي، تشير الكتالوجات إلى طموح لبنان في تلك المرحلة لأن يكون مركزًا ثقافيًا عالميًا، إذ يتكرر ظهور صور لفنانين وفرق دولية من الباليه إلى الأوركسترا في تداخل بصري مع المشهد الأثري، ما يخلق حوارًا بين الإنتاج الفني العالمي والتراث المحلي. فالكتالوج لا يكتفي بتوثيق العرض، بل يعيد إنتاجه بصريًا ويوسّع نطاق تأثيره، وبالتالي تؤدي الكتالوجات دورًا في الدبلوماسية الثقافية، من خلال مخاطبة جمهور عابر للحدود. ويخدم تعدّد اللغات، إذ تتقدّم الفرنسية غالبًا على العربية والإنكليزية، هذا التوجّه نحو الخارج والانخراط في شبكات ثقافية دولية، ما يعزّز صورة لبنان كفضاءٍ منفتح ومتصل بالعالم.

بعلبك على الورق: صناعة المخيال الوطني

تقدّم كتالوجات مهرجانات بعلبك نموذجًا غنيًا لفهم دور الثقافة البصرية في تشكيل الهوية الوطنية، تتنقل فيه من الاحتفاء بالمكان عبر الرسومات الأثرية ورحلات المستشرقين ومن ثم أزياء المشرق والبيت اللبناني القديم إلى الاحتفاء بالدولة والمجتمع الثقافي عبر الفن التشكيلي والأدب والتصوير والتوثيق.

تصوغ هذه الكتالوجات رؤية للبنان ويوتوبيا لمستقبله من خلال ماديتها، وأنظمتها التصميمية، وصورها المنتقاة، ومركزية الأطلال، بوصفه فضاءً يجمع بين التراث والحداثة والتبادل الثقافي. وفي الوقت نفسه، تكشف هذه المواد عن التوترات الكامنة في مشروع إعادة صناعة التراث، من انتقائية التمثيل إلى هشاشة السرديات المنتجة. ومن هنا، ينبغي النظر إلى الكتالوجات ليس كمجرد انعكاس للتاريخ الثقافي، بل كمساهمٍ فاعل في صياغته تخدم أهدافًا ثقافية وأجندات سياسية معاصرة. فلا يُقدَّم الماضي كحالة جامدة أو بقايا زمن منقضٍ، بل كفضاءٍ حيّ يُعاد تنشيطه باستمرار عبر حداثة الإنتاج الفني.

رفيق شرف - كتالوج 1974

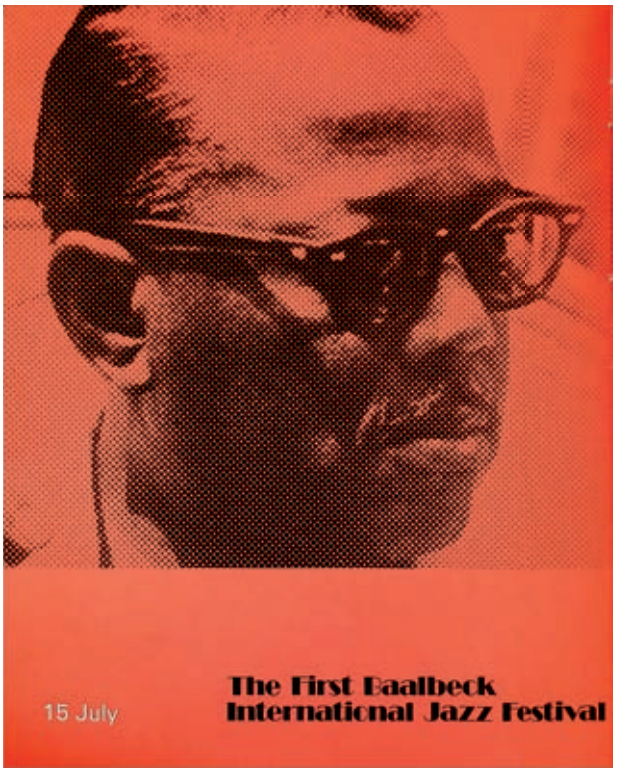

مهرجان الجاز الاول في بعلبك 1972

باختصار، تتجاوز كتالوجات مهرجانات بعلبك كونها مجرد برامج مرافقة للفعاليات، لتشكّل سجلًا بصريًا وثقافيًا يوثّق جهود لبنان في مأسسة الثقافة. فقد مزجت هذه الإصدارات بين الإرث الأركيولوجي الذي رسّخته الدراسات الأوروبية منذ القرن الثامن عشر، وبين التصميم الغرافيكي المعاصر، والحداثة العربية في الفن والأدب والثقافة خلال القرن العشرين. وهكذا غدت مرآةً لمشروع تحديث لبنان، ورافقت تحوّل المهرجان من مسرح للعروض الدولية إلى مؤسسة ثقافية تنتج المعرفة والرموز والصورة الوطنية.

وقد منح الربط بين الأثري والحداثي هذه الكتالوجات قوة استعراضية (Spectacle) عزّزت مسارين متوازيين: مسار محلي أسهم في إنتاج الهوية الوطنية وتوثيقها، وآخر دولي دعم حضور لبنان في مجال العلاقات الثقافية والدبلوماسية الناعمة. ومع مرور الزمن، تحوّلت الكتالوجات إلى فضاء متحرّك يتجاوز حدود المكان والمرحلة الزمنية التي تتناولها هذه الدراسة، لتستمر في توليد معانٍ جمالية ومعرفية جديدة، رغم الحروب والانهيارات والتحولات التي أصابت لبنان وتبدّل معايير صناعة المهرجانات نفسها.

وتكشف تجربة مهرجانات بعلبك، في جوهرها، أهمية دراسة المواد البصرية لفهم تاريخ الشرق الأوسط الحديث، إذ إنّ التداخل بين التصميم والتراث والسياسة يوضح أنّ بناء المخيال الوطني لا يتم عبر السياسة والتاريخ فقط، بل عبر الصورة أيضًا. وقد نجحت هذه الكتالوجات في تحويل الورق والمطبوعات إلى أرشيف حيّ ليوتوبيا وذاكرة وطن سعى إلى تقديم جلّ ما لديه للعالم.

حوار وشراكة

من إرث فينيقي عريق إلى منصة للحوار المتوسطي

صيدا 2027

عاصمة للثقافة والحوار المتوسطي...

باسكال معوّض بو مارون

في لحظةٍ مفصلية من تاريخها الثقافي، تستعدّ مدينة صيدا لارتداء ثوبٍ جديد يليق بإرثها العريق، بعدما اختارتها الدول الأعضاء في الاتحاد من أجل المتوسط "عاصمة متوسّطية للثقافة والحوار للعام 2027"، إلى جانب مدينة قرطبة الإسبانية. ولا يُختصر هذا اللقب بتكريم معنوي، بل يشكّل ورشة عمل متكاملة عنوانها الانفتاح والتفاعل والتعاون بين ضفّتي المتوسط، ضمن مسار ثقافي – حواري طويل الأمد يهدف إلى ترسيخ قيم التفاهم والتعايش والتبادل الحضاري.

يأتي هذا الاختيار ضمن مبادرة أطلقها ويديرها بشكلٍ أساسي الاتحاد من أجل المتوسط، بالتعاون مع مؤسسة آنا ليندا للحوار بين الثقافات، وتهدف إلى تحويل مدن مختارة في حوض المتوسط إلى منصّات حقيقية للتبادل والتنوّع والتعاون العابر للحدود.

ويوضح المسؤول الثقافي في بلدية صيدا الأستاذ هشام جرادي أنّ مفهوم «الحوار المتوسطي» يتجاوز الشعارات إلى التطبيق العملي، إذ يقوم على تبادل ثقافي وفني عبر معارض مشتركة بين المدينتين المشاركتين، وعروض موسيقية تجمع فرقًا من لبنان وإسبانيا تقدّم أعمالها في كلا البلدين. كما يمتدّ إلى حوار ديني – ثقافي يُعنى بمناقشة قضايا التعايش والمواطنة والتنوّع، إلى جانب تعاون أكاديمي وتعليمي من خلال اتفاقيات بين جامعات وبرامج تبادل طالبي وأبحاث مشتركة.

”مفهوم «الحوار المتوسطي» يتجاوز الشعارات إلى التطبيق العملي، إذ يقوم على تبادل ثقافي وفني عبر معارض مشتركة، كما يمتدّ إلى حوار ديني – ثقافي يُعنى بمناقشة قضايا التعايش والمواطنة والتنوّع، إلى جانب تعاون أكاديمي وتعليمي.“

ولا يغيب البعد الشبابي عن هذا المسار، إذ يُرتقب تنظيم ورش عمل ومخيّمات ثقافية ومشاريع تطوّعية تجمع شباب المدينتين في مساحات لقاء حيّة. وباختصار، فإنّ «الحوار المتوسطي» يعني تعاوناً عمليًا متبادلاً بين شعوب ضفّتي البحر المتوسط، كما يهدف إلى تعزيز التفاهم وترسيخ السلام وتعميم الثقافة المشتركة.

أما اختيار صيدا تحديدًا، فلم يستند فقط إلى بعدها التاريخي والثقافي بوصفها من أقدم المدن المأهولة في العالم، وإرثها الحضاري الممتد إلى العصور الفينيقية، بل أيضًا إلى كونها نموذجًا للتنوّع الديني والاجتماعي والتعايش والانفتاح، فضلًا عن البرنامج الثقافي الواضح الذي قدّمته للفوز باللقب. وقد شكّل هذا المزيج بين التاريخ الحيّ والرؤية المستقبلية عنصرًا حاسمًا في قرار الاختيار.

في إطار الاستعدادات، يجري العمل على إطلاق مسار سياحي، ثقافي، وحواري متكامل يُعلَن عنه قريبًا، ليشكّل رافعة للأنشطة المرتقبة خلال العام 2027. كما تتضمّن الخطة تأهيل عدد من المعالم الأثرية بالتعاون مع وزارة الثقافة، ومن بينها خان الإفرنج وقصر دبّانة والقلعة البحرية، إلى جانب تحسين طرق الوصول إليها.

ويُعوَّل على أن يكون المتحف التاريخي في صيدا جاهزاً في العام المقبل، فيما تلتزم البلدية تعزيز النظافة الدائمة، وتشجير الطرقات، ورشّ المبيدات، في إطار تحسين البيئة الحضرية للمدينة.

اقتصاد وثقافة وهوية جامعة...

التحدّيات المالية والبيئية التي تواجه المدينة لن تكون عائقًا، وفق جرادي، إذ يجري العمل على تمويل متعدّد المصادر يشمل جهات حكومية ودولية ومؤسسات خاصة ومبادرات محلية. وترتكز المقاربة على مشاريع مستدامة، مثل ترميم المواقع وترشيد استهلاك الموارد، مع إشراك المجتمع المحلي لتخفيف الضغط المالي وتعزيز المشاركة البيئية، إلى جانب رقابة مستمرة على الميزانية والأثر البيئي لضمان استمرارية الأنشطة بعد انتهاء العام 2027.

وستركّز الفعاليات المرتقبة على ستة محاور رئيسة تشمل: التراث والهوية، الحوار الثقافي، الفنون والموسيقى، الشباب والابتكار، التكنولوجيا، والبيئة البحرية؛ في مقاربة تجمع بين الأصالة والتجديد.

ويُنتظر أن يشكّل اللقب فرصة حقيقية لتنشيط الاقتصاد المحلي والسياحة الثقافية، من خلال إشراك الحرفيين في المعارض والأسواق المرافقة، ما يخلق فرص عمل ويعزّز دخل الأُسر. كما سيجري توظيف شباب في تنظيم الفعاليات، والإرشاد السياحي، والخدمات اللوجستية والتقنية، مع استخدام اللقب منصةً للترويج للمطاعم والمقاهي والمتاجر والفنادق الصغيرة، وفتح آفاق أمام شركات النقل والخدمات.

ومن ضمن الخطة سيتم تنظيم جولات سياحية مخصّصة تشمل المواقع التراثية والمسارح المفتوحة، والاستفادة من التطبيقات الرقمية لتسهيل تجربة الزوار، إلى جانب مهرجانات موسيقية ومسرحية يُتوقّع أن تستقطب زوارًا من خارج لبنان، ولا سيما من دول البحر المتوسط. كما ستُطلق حملات إعلامية دولية بالتعاون مع الاتحاد من أجل المتوسط لتعزيز صورة صيدا كوجهة سياحية ثقافية متوسطية. وبالتوازي، سيتم التعاون مع وكالات السفر والفنادق لعرض باقات سياحية مرتبطة بالفعاليات.

تعزيز الهوية المشتركة

لا يكتمل المشهد من دون الدور المحوري لأبناء صيدا ومغتربيها، بحسب السيد جرادي؛ فالمجتمع المحلي مدعوّ إلى الانخراط متطوّعًا في تنظيم المهرجانات والمعارض والحفلات والجولات، وتقديم الدعم اللوجستي والإرشاد والمساهمة في التسويق المحلي، إضافة إلى المشاركة في برامج شبابية تعزّز الحوار والإبداع والتعليم الثقافي، وعرض المواهب في الموسيقى والمسرح والفنون التشكيلية والحرف اليدوية. أما المغتربون الصيداويون، فهم سفراء الثقافة في بلدان انتشارهم، قادرون على تمثيل هوية مدينتهم عالميًا، ودعم المشاريع المحلية بالخبرات والتمويل، وربط صيدا بشبكات تعاون دولي وبرامج تبادل تحفظ التراث وتعزّز الحضور العالمي.

الرهان الأهم

وفي الختام يؤكّد جرادي أنّ الرهان الأهمّ يتمثّل في تحويل هذا اللقب إلى لحظة جامعة تعزّز الانتماء والهوية المشتركة، عبر إدماج جميع فئات المجتمع ليكونوا شركاء لا متفرّجين، وتعزيز الهوية الصيداوية الجامعة بدل التركيز على الفروقات الدينية أو الاجتماعية أو السياسية.

كما يجري العمل على إدماج مفاهيم الثقافة والحوار في البرامج الشبابية والتربوية ليكون العام 2027 بداية مسار طويل لا حدثًا عابرًا، مع إحياء التراث المشترك وربط المغتربين بالداخل، ووضع خطة تضمن استمرارية المشاريع الثقافية والحوارية بعد انتهاء العام الرسمي، ليبقى الأثر ممتدًا في الزمن، وتبقى صيدا مساحة لقاء متوسطي حيّة تتجدّد باستمرار.

FUTURO™ BRAND

لاكتشاف مواهب أطفالنا وبناء توازنهم النفسي:

راقِبْ، شجِّع، وامنح الحرية

المعاون الأول جيهان جبور

تُعدّ العطلة الصيفية محطة سنوية ينتظرها الأطفال بشغفٍ، لما تحمله من معاني الحرية والانطلاق بعيدًا عن روتين الدراسة والتزاماتها اليومية. غير أنّ هذه الفترة رغم قصر مدتها، تُخفي في طيّاتها إمكانات تربوية وتنموية هائلة إذا ما أُحسن استثمارها وتوجيهها. فهي ليست مجرد وقت للراحة أو الترفيه، بل تشكّل فضاءً رحبًا لاكتشاف الميول الكامنة وتنمية المهارات وبناء جوانب الشخصية المختلفة لدى الطفل في بيئةٍ أكثر مرونة وأقل ضغطًا. فكيف يمكن للأهل استثمار عطلة الصيف بشكلٍ متوازن يساعد أولادهم على التعلّم والنمو من دون أن يفقدوا روح الطفولة والمرح؟

في سياق عالمٍ سريع التبدّل، لم تعد المعرفة المدرسية وحدها كافية، بل أصبح من الضروري تنمية مهارات متنوعة لدى الطفل وأبرزها التفكير الإبداعي والاعتماد على النفس والتواصل والعمل الجماعي. وهنا تبرز العطلة الصيفية كفرصةٍ ذهبية لتعويض ما قد لا توفره المناهج التقليدية، من خلال توجيه الأطفال نحو هواياتٍ مفيدة وأنشطةٍ هادفة تجمع بين التعلّم والمتعة، وتسهم في صقل مواهبهم وتوسيع آفاقهم.

غير أنّ التحدي الذي تواجهه الأسرة يكمن في تحقيق التوازن بين منح الطفل حقه في الراحة والاستمتاع، وبين استثمار وقته في ما يعود عليه بالنفع. فالإفراط في ترك الحرية قد يؤدي إلى ضياع الوقت والانشغال بما هو غير مفيد، في حين أنّ المبالغة في فرض البرامج والأنشطة تُفقد الطفل حماسته وتُحوّل العطلة إلى

”التشجيع عنصر أساسي في تنمية أي موهبة، فهو يمنح صاحب الهواية الدافع للاستمرار ويعزز ثقته بنفسه، لذلك، من المهم تقدير الجهد المبذول حتى في المراحل الأولى وإن ترافق مع بعض الأخطاء.“

عبءٍ ثقيل. ومن هنا، تنبع أهمية التخطيط الواعي والمرن، الذي يراعي ميول الطفل واحتياجاته ويمنحه فرصة الإسهام في اختيار أنشطته ليكون شريكًا فاعلًا في رحلة نموه وتطوّره.

فرصة لاكتشاف الذات

ترى الاختصاصية في علم النفس ريهام منذر، أنّ ممارسة الطفل هوايةً ما ليست ترفًا، بل حاجة نفسية أساسية تقيه من الضياع والتشتت. ففي منظور التحليل النفسي، تشكّل الهواية ما يُعرف بـ «المساحة الانتقالية» التي تصل بين العالمَين الداخلي والخارجي للطفل، وتمكّنه من التعبير عن مشاعره وتفريغها بطريقةٍ آمنة وخلّاقة. ومن خلال أنشطة كالرسم والرياضة، يختبر الطفل فكرة «أنا أستطيع»، ما يعزز شعوره بالكفاءة والثقة بالنفس. كما تتيح له الهواية فرصةً لاكتشاف ذاته وبناء هويته الخاصة، عبر ما يميزه عن الآخرين ويمنحه إحساسًا بالإنجاز والانتماء.

وتضيف أنّ الهوايات يمكن أن تسهم في الحد من الإدمان على الشاشات، لكن ليس بوصفها وسيلة «إلهاء» مؤقتة، بل كبديلٍ نفسي مشبع يلبي حاجات الأولاد العاطفية والذهنية. فعندما يجد الطفل في هوايته مساحةً للتعبير عن نفسه، والشعور بالمتعة والإنجاز والانتماء، تتراجع جاذبية الشاشات تلقائيًا، لأنّها لم تعد المصدر الوحيد للإشباع. غير أنّ هذا التأثير لا يتحقق إذا فُرضت الهواية على الطفل أو اختيرت له من دون مراعاة ميوله، إذ تتحول حينها إلى عبءٍ إضافي، فيزداد انجذابه إلى الشاشات كوسيلةٍ للهروب. لذا من الضروري أن تنبع الهواية من اهتمامٍ حقيقي لدى الطفل وأن تقدّم كخيارٍ مفتوح يكتشفه تدريجيًا، لا كواجبٍ مفروض. وعندما يشعر الطفل بالشغف تجاه ما يقوم به، ويختبر فيه معنى «أنا أستطيع»، تبدأ علاقته بالشاشات بالاعتدال بشكلٍ طبيعي، من دون صراع أو فرض قسري.

العبرة في الاستمرارية

في السياق، تشير منذر إلى أنّ فصل الصيف يشكّل فرصة مثالية لاكتشاف مواهب الأطفال وتحديد الهوايات المناسبة لهم، بعيدًا عن ضغط الدراسة وضيق الوقت خلال العام الدراسي. فخلال هذه الفترة، يمكن للأهل أن يتيحوا مساحةً أوسع للتجربة والتنوع، من خلال تعريف الطفل على أنشطةٍ مختلفة في مجال الفن والموسيقى والرياضة والطبيعة، بعيدًا عن الضغط أو التوقعات المسبقة. وتقوم عملية الاكتشاف هنا على الملاحظة الهادئة لا التوجيه القسري، إذ إنّ المؤشرات الحقيقية للموهبة لا تظهر في لحظة الحماسة الأولى فقط، بل في مدى استمرارية الطفل في النشاط ورغبته في ممارسته خارج الوقت المحدد له، إضافةً إلى شعوره بالمتعة وتقدّمه التدريجي فيه. فعندما يندمج الطفل في نشاطٍ ما ويعود إليه تلقائيًا، يكون ذلك دليلًا على أنّ هذه الهواية تلامس شيئًا عميقًا في داخله.

في المقابل، قد تظهر بعض الهوايات بشكلٍ عابر، إذ يبدأ الطفل بحماسةٍ كبيرة ثمّ يفقد اهتمامه سريعًا ويطلب التوقف. وهذا أمرٌ طبيعي في مرحلة الاكتشاف، ولا ينبغي اعتباره فشلًا بل خطوة ضرورية لتضييق الخيارات والوصول إلى ما يناسبه فعلًا. من هنا، فإنّ تنويع التجارب في الصيف، مع احترام إيقاع الطفل وميوله، يساعد على بناء علاقة صحية مع الهواية، فتصبح جزءًا من يومه ومن هويته، لا مجرد نشاطٍ عابرٍ أو مفروض.

وتوضح منذر أنّ التوازن هو الأساس، إذ لا يصح أن نترك للطفل الحرية المطلقة في اختيار هوايته ومتابعتها، كما لا ينبغي فرضها عليه بشكلٍ صارم. فالولد قد يمرّ بفترات يفقد فيها الحماسة أو يتردد في الاستمرار لأسبابٍ مؤقتة، وهنا يبرز دور الأهل في التوجيه والدعم،

مع التمييز بين «الرفض العابر» و«عدم الرغبة الحقيقية». فإذا كان السبب ظرفيًا، يُستحسن تشجيعه بلطفٍ ومنحه دفعة بسيطة للاستمرار، لأنّ الالتزام يعلّمه الصبر والانضباط، أما إذا كان النفور متكررًا، فمن الأفضل احترام رغبته وإعادة تقييم الخيار. وبذلك يتم توجيه الطفل من دون تقييد، ومنحه الحرية من دون إهمال، ضمن دعمٍ مدروس يوازن بين الدفع للأمام وترك مساحة للاختيار.

وتضيف أنّه في مرحلة الطفولة يُفضَّل عدم حصر الطفل في هوايةٍ واحدة، بل إتاحة الفرصة له لخوض تجارب متنوعة كالرياضة والرسم والموسيقى، بهدف اكتشاف ميوله وتنمية قدراته، شرط أن يكون ذلك ضمن جهدٍ مناسب لعمره حتى لا يتحول إلى ضغطٍ أو إرهاق. أما في مرحلة المراهقة، فيُستحسن تقليص عدد الهوايات والتركيز على اثنتين أو ثلاث فقط، بما يتيح تعمّقًا أكبر وتطويرًا أفضل للمهارات.

> "قد تظهر بعض الهوايات بشكلٍ عابر، إذ يبدأ الطفل بحماسةٍ كبيرة ثمّ يفقد اهتمامه سريعًا ويطلب التوقف، وهذا أمرٌ طبيعي في مرحلة الاكتشاف، ولا ينبغي اعتباره فشلاً بل خطوة ضرورية لتضييق الخيارات والوصول إلى ما يناسبه فعلاً."

وعليه، تقوم الفكرة على التنويع في الطفولة والاكتشاف، ثم التركيز والتطوير في المراهقة، مع الحفاظ دائمًا على أن تبقى الأنشطة مصدر متعةٍ لا عبئًا.

كما تذكر الاختصاصية أنّ التشجيع عنصر أساسي في تنمية أي موهبة، فهو يمنح صاحب الهواية الدافع للاستمرار ويعزز ثقته بنفسه. لذلك، من المهم تقدير الجهد المبذول حتى في المراحل الأولى حتى لو ترافق مع بعض الأخطاء. وفي المقابل يأتي النقد البنّاء كأداة للتطوير من خلال تسليط الضوء على النقاط التي تحتاج إلى تحسين بأسلوبٍ واضح ومحترم، بعيدًا عن الإحباط أو التقليل من القيمة. فمن المفيد الإشادة بما تمّ إنجازه بشكلٍ جيد، مع الإشارة إلى الجوانب التي لم تنجح بعد واقتراح سبل تطويرها. بمعنى آخر، نشجع الجهد ونحتفي بالتقدّم، وننقد بهدف التعلّم، لا الإحباط. بهذه الطريقة يصبح النقد جزءًا من رحلة النمو لا عائقًا أمامها.

ابتكار وإبداع

تؤكد منذر أنّ ممارسة الهوايات لا تتطلّب بالضرورة إمكانات مادية كبيرة، فالإبداع غالبًا ما يولد من البساطة. صحيح أنّ بعض الهوايات قد تتطلب معدات أو تكاليف، إلّا أنّ الكثير من النشاطات يمكن ممارستها بوسائل متاحة للجميع. فممارسة كرة القدم أو كرة السلة ممكنة في الحي بإمكاناتٍ بسيطة، كما تظل القراءة متاحة عبر الكتب المستعارة أو المصادر المجانية، والرسم يمكن أن يبدأ بأدوات متواضعة. العبرة في الرغبة بالتعلّم والاستمرارية، لا في حجم الإنفاق. وعندما تضيق الإمكانات، يتّسع مجال الابتكار، فيبتدع الأولاد أساليب جديدة لممارسة ما يحبون مستفيدين من الموارد المتاحة حولهم.

وتشير إلى أنّ المجتمع غالبًا ما يركّز على مجموعة محددة من الهوايات الشائعة، مثل كرة القدم أو الأنشطة المدرسية المعروفة،

”ممارسة الهوايات لا تتطلّب بالضرورة إمكانات مادية كبيرة، فالإبداع غالبًا ما يولد من البساطة. صحيح أنّ بعض الهوايات قد تتطلب معدات أو تكاليف، إلاّ أنّ الكثير من النشاطات يمكن ممارستها بوسائل متاحة للجميع.“

فيما لا تحظى هوايات أخرى كالزراعة أو بعض الممارسات الفردية بالاهتمام نفسه. وهذا لا يقلّل من قيمتها، بل يعكس أحياناً نظرة تقليدية أو محدودية في الوعي بأهمية تنوّع الاهتمامات. وتختم منذر بالتأكيد أنّ بداية فصل الصيف تمثّل فرصة مناسبة لمرافقة الأطفال في اكتشاف شغفهم وتنمية مهاراتهم من دون فرض أو ضغط. فالأجدى مراقبة ميولهم الطبيعية والانتباه إلى ما يستقطب اهتمامهم، ثم تشجيعهم بلطفٍ على الاستمرار فيه. «راقِبْ، شجِّع، وامنح الحرية»؛ فبهذه المقاربة ينمو الشغف بشكلٍ طبيعي، وتترسّخ الاستمرارية من دون ملل.

فلنجعل إذًا من هذا الصيف فرصة حقيقية لإعادة التوازن إلى حياة أطفالنا، من خلال الاكتشاف واللعب والتجربة بعيدًا عن الضغوط والتوقعات الكبيرة. فحين نستثمر في شغفهم اليوم، نُسهم في بناء إنسان أكثر توازنًا وسعادة في الغد.

بين فائض الاختصاصات ونقص الكفاءات

كيف يتّجه الشباب نحو سوق العمل؟

المعاون كرستينا عباس

في لبنان، يتخرّج آلاف الطلاب سنويًا من الجامعات، وغالبًا ما تتركّز شهاداتهم في اختصاصات معيّنة تتكدّس فيها أعداد كبيرة من الخرّيجين، ما يخلق فائضًا في هذه القطاعات. وبعد التخرّج، يجد كثيرون أنفسهم بلا عمل، أو في وظائف لا تمتّ بصلة إلى مجال دراستهم. في المقابل، تعاني قطاعات أخرى نقصًا في الاختصاصيين، ما يجعلها تجهد لاستقطاب الكفاءات لملء شواغرها.

أمام هذا الواقع، يبرز التساؤل: أين تكمن المشكلة التي يواجهها الخرّيجون؟ هل هي في محدودية الفرص، أم في الفجوة بين الاختصاصات المتخمة بالاختصاصيين وحاجات سوق العمل الفعلية؟

يُلاحَظ في الآونة الأخيرة فائضٌ كبير في أعداد المتخرّجين من اختصاصات معيّنة، مثل الطب العام وطب الأسنان، وإدارة الأعمال، والحقوق، والعلوم السياسية، والإعلام، وبعض فروع الهندسة، ما يجعل فرص العمل في هذه المجالات محدودة قياسًا إلى الكمّ الهائل من المتخصّصين.

في المقابل، تعاني قطاعات أخرى نقصًا حادًا في اليد العاملة المتخصّصة. فالمستشفيات تبحث عن ممرضين وممرضات، ومعالجين فيزيائيين، ومدراء في مجال الرعاية الصحية. كما تعاني شركات التكنولوجيا نقصًا في مجال الأمن السيبراني والذكاء الاصطناعي والتواصل الرقمي، وأنظمة المعلومات الحاسوبية، فيما تفتقر بعض فروع الهندسة إلى الكفاءات، لا سيما في مجالات الهندسة الطبية الحيوية، والهندسة الكهربائية والإلكترونية، والهندسة الزراعية. إلى ذلك، تعاني المهن الحرفية والتقنية شحًا ملحوظاً، سواء في عدد العاملين فيها أو في أعداد المتخرّجين منها.

فجوة بين العرض والطلب

من هنا، يُلاحظ أنّ الفجوة بين أعداد المتخرّجين وحاجات سوق العمل الفعلية تظهر لدى اختيار الطالب لاختصاص يشهد فائضًا في الكفاءات. وهنا يبرز السؤال: ما الذي يدفع إلى هذا الخيار؟ غالبًا ما تكون رغبة الطالب هي التي تدير دفّته في اتّجاه اختصاص معيّن يرى فيه تحقيقًا لذاته، غير أنّ هذا الاختيار لا يكون دائمًا مبنيًا على معطيات واقعية أو رؤية مدروسة، إذ قد يخضع أحياناً لتوجيه غير دقيق نحو مجالات معيّنة.

وفي هذا الصدد تؤكد السيدة تالار تهمجيان، المسؤولة الإدارية في القسم الأكاديمي لإحدى المؤسسات المعنية بتوجيه الطلاب، أنّ

غياب التوجيه المهني الحقيقي يُعدّ سببًا أساسيًا في الاختيار الخاطئ. وتوضح أنّ عامل الـ «برستيج» يسهم في تعميق هذه الفجوة، إذ يسود اعتقادٌ بأنّ بعض الاختصاصات، ولاسيما الأكاديمية منها مثل المحاماة وإدارة الأعمال والطب والهندسة، «أرقى» من سواها وخصوصًا الوظائف المهنية والتقنية، حتى وإن كانت فرص العمل فيها أقل.

وتلفت إلى أنّ كثيرين يجهلون أنّ الوظائف المهنية شهدت تطورًا ملحوظاً، وأصبحت تعتمد بدورها على التكنولوجيا والتقنيات الحديثة، شأنها شأن سائر القطاعات. ومن هنا، تبرز الحاجة الملحّة إلى تعزيز التوعية لدى الطلاب في هذا المجال، كي يعوا أنّ أي مهنة لا تقلّ قيمةً عن الأخرى، وأنّ مختلف الاختصاصات تتكامل لتأمين استمرارية عمل المجتمع وخدماته بسلاسة وكفاءة.

وما يزيد من حدّة المشكلة، هو عدم وجود إحصاءات رسمية وبيانات واضحة حول حجم الوظائف التي تنمو وتزيد فرص العمل فيها مقابل القطاعات التي بات المتخصصون فيها يشكلون فائضًا ولم تعد قادرة على استيعاب مزيدٍ من المتخرجين. فبغياب هذه المعطيات، قد يُقبل التلميذ على اختصاص يظنّه مطلوبًا، ليجد نفسه لاحقًا أمام واقع مغاير، حيث تتضاءل فرص العمل قياسًا إلى أعداد المتخرّجين.

حلول ممكنة

في هذا السياق، تشير السيدة تهماجيان إلى مجموعة من الحلول العملية القابلة للتنفيذ للحد من الفجوة بين أعداد المتخرّجين وحاجات سوق العمل، بما يسهم أيضًا في الحد من تفاقم البطالة. من الممكن مثلاً، تكليف جهة مختصّة بإعداد تقارير سنوية مبسّطة حول واقع سوق العمل ونشرها، حيث تكون متاحة وسهلة الاطّلاع، فتساعد في توجيه الطلاب بطريقةٍ دقيقة وفعّالة. ويمكن أن تتضمّن هذه التقارير مؤشرات أساسية، مثل أكثر عشر وظائف طلبًا خلال العام، ومتوسط الرواتب بحسب الاختصاص، ونسب البطالة في كل قطاع، إلى جانب معطيات مماثلة تساعد على بناء رؤية أوضح.

من الخطوات الفعّالة أيضًا، تعزيز التوجيه المباشر للطالب عبر تنظيم معارض توظيف للتعريف عن فرص العمل المتاحة. ومن المهم أيضًا، التعاون مع شركات وجهات على اطّلاع بحاجات سوق العمل وقادرة على الاستفادة من ميزات كل تلميذ لتوجيهه إلى المجال الذي يوافق قدراته الفردية ويناسب تطلعاته بما يضمن توافقًا أفضل بين الاختيارات الأكاديمية والآفاق المهنية.

وتوضح السيدة تهماجيان أنّ التوجيه الفعّال ينبغي أن يستند إلى تقييم شامل لشخصية الطالب، وقدراته العملية، ومواهبه، واهتماماته، إلى جانب نتائجه الأكاديمية. وعلى أساس هذه المعطيات، يمكن توجيهه نحو المجالات التي يمكن أن يبرع فيها أكثر من سواها، وتقديم إرشاد أكثر دقّة وخصوصية، بعيدًا عن التعميم، نظرًا لاختلاف مسارات الطلاب واهتماماتهم.

كذلك، يُشكّل التركيز على تنمية المهارات العملية والشخصية عنصرًا أساسيًا في إعداد الطلاب لسوق العمل، من خلال إتاحة تجارب تطبيقية خلال سنوات الدراسة تُمكّنهم من اكتساب خبرات مبكرة. فهذا النهج يعزّز جاهزيتهم المهنية بعد التخرّج، ويدعم فرصهم في الالتحاق بالجامعات التي يطمحون إليها، لا سيما وأنّ العديد من المؤسسات التعليمية باتت تولي أهمية للرسائل التحفيزية والمهارات المكتسبة، لما لها من دور في إبراز شخصية الطالب وقدرته على التعبير والإقناع وترك انطباع مميّز.

أدوار متكاملة

وللجامعات دورٌ أساسي في الحدّ من الفجوة بين أعداد المتخصصين وحاجات سوق العمل، إذ يمكنها إعادة النظر في توزيع مقاعدها، عبر تقليص القبول في الاختصاصات المشبعة، مقابل زيادة عدد المقاعد في المجالات التي تعاني شحًا في الكفاءات. وعلى مستوى سوق العمل، يمكن أن تتبنى الشركات طلاب الجامعات بدءًا من سنتهم الثانية، وتقدم لهم تدريبًا مدفوعًا من شأنه أن يمنحهم خبرة أوسع في مجال تخصّصهم، وفهمًا أعمق لبيئة العمل في مجال التخصص الذي اختاروه.

وتؤكّد السيدة تهماجيان أنّ أهم صفة ينبغي أن يتحلّى بها الطالب ليتميّز حيثما اتجه، هي فرادته وقدرته على إبراز تميّزه. وتشير إلى أنّ اختيار المسار لا ينبغي أن يقوم على العائد المادي وحده، بل على الشغف أيضًا، تفاديًا للوصول إلى مرحلة يعجز فيها الفرد عن أداء عمله بالكفاءة المطلوبة.

وتضيف أنّ تنوّع الخيارات ضمن المجال الواحد يساعد الطالب على إيجاد المسار الأقرب إلى ميوله وقدراته. فالطالب المبدع، على سبيل المثال، يمكنه الاختيار بين مجالات متعدّدة ضمن الهندسة أو التصميم، كما تتّسع الخيارات أيضًا في مجالات التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، بما يتيح لكل طالب تحديد المسار الذي يعبّر عن إمكاناته.

ختامًا، يجب ألاّ يُعتبر توجيه الطالب تقييدًا لحريته، بل خطوةً أساسية لحماية مستقبله. فحين يستند التوجيه إلى أسس سليمة، تنخفض معدلات البطالة، ويصبح الخرّيج مساهمًا فعالاً في بناء اقتصاد منتج في المجتمع بدل أن تبقى الشهادة مجرّد وثيقة معلّقة على الجدار.

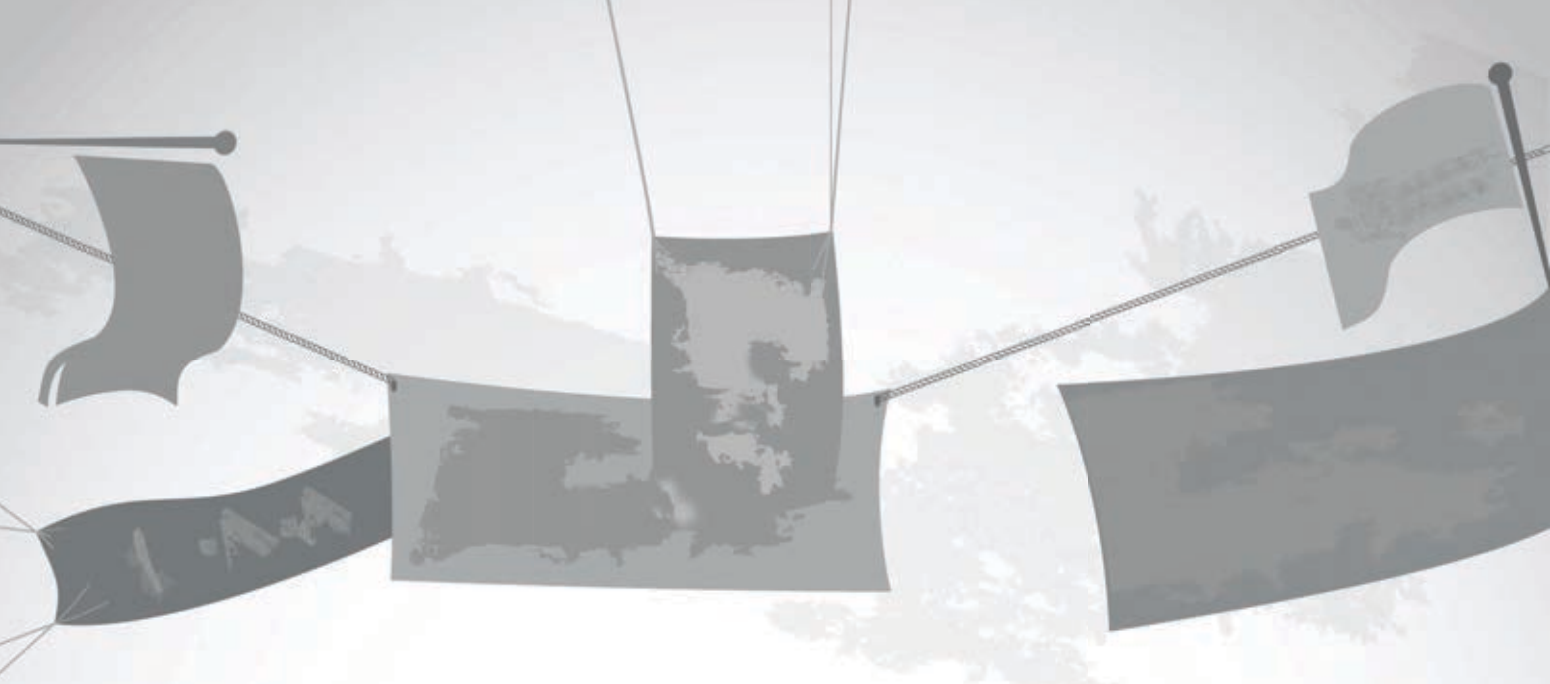

ما بدّا شعارات...الجيش بالقلب

Lebanese Swiss Bank
البنك اللبناني السويسري
LSB Sincere Banking
www.lebaneseswissbank.com

الذكاء الاصطناعي...
بين التقدّم والخطر الوجودي

د. تراز منصور

ماذا لو تحقّقت توقّعات بعض المتخصّصين والخبراء في الذكاء الاصطناعي (AI) وعادت البشرية ثلاثمئة سنة إلى الوراء من جراء كبسة زرّ خاطئة؟ هل يمكن تخيّل مشهدية اصطدام طائرات في السماء، أو توقّف القطارات عن العمل أو توقف الآلات في أثناء العمليات الجراحية؟
وهل صحيح أنّ البشرية تقف اليوم أمام مهلة زمنية محدودة، قد لا تتجاوز خمسين عامًا، ما لم تُوضع أُطر قانونية وأخلاقية واضحة تنظّم استخدام الذكاء الاصطناعي وتصنيعه، وتحدّ من مخاطره على الإنسان والمجتمع؟

أصبح الذكاء الاصطناعي (AI) بسرعة فائقة جزءًا لا يتجزّأ من حياتنا اليومية، ما أدى إلى تغيير طريقة العمل والتواصل والتفاعل مع العالم من حولنا. ومع تنامي هذا الذكاء، بات من المهم مراعاة المخاطر والعواقب المُحتملة المُرتبطة بتطويره.

يحذّر الباحثون المتخصّصون في المجال الأمني، من أنّ التطور السريع لهذه التقنية قد يهدّد مستقبل البشرية، مشيرين إلى أنّ احتمال حدوث سيناريو كارثي خلال المئة عام القادمة قد يصل إلى 99.9%. يستند هؤلاء في ملاحظاتهم إلى أنّ جميع أنظمة AI الحالية تفتقر إلى الضمانات الأمنية الكافية، مؤكّدين أنّ الأجيال القادمة من هذه التقنيات قد لا تحلّ المشكلات الجوهرية نفسها التي تعانيها البشرية، أو تجيب على جميع الأسئلة الكونية، بل تطرح أسئلة الكثير منها أخطر وأعمق.

في المقابل، تُظهر أبحاث أخرى تقديرات أقل تشدّدًا، إذ قدّرت دراسة مشتركة بين جامعتَي أكسفورد وبون، شملت آراء أكثر من 2700 خبير في مجال الذكاء الاصطناعي، أنّ احتمال انقراض البشرية نتيجة آلات وتطبيقات الذكاء الاصطناعي لا يتجاوز الـ 5% فقط.

وفي السياق، أثار الرئيس التنفيذي لشركة OpenAI سام ألتمان، جدلاً واسعًا عندما حذّر من أنّ هذا الذكاء قد يقضي على عددٍ كبير من الوظائف التي وصفها بأنّها ليست «عملًا حقيقيًا»، متوقعًا تغييرات جوهرية في «العقد الاجتماعي» القائم. وكان ألتمان قد توقّع في العام 2015 بأنّ الذكاء الاصطناعي سيؤدي إلى نهاية العالم، ولكن قبل ذلك، سيخلق شركات عظيمة.

ومن جهةٍ أخرى، رفض بعض الروّاد البارزين في المجال فكرة انقراض البشر بالكامل، مثل المؤسس المشارك لـ Google Brain أندرو إنغ،

”أصبح الذكاء الاصطناعي (AI) بسرعة فائقة جزءًا لا يتجزّأ من حياتنا اليومية، ما أدى إلى تغيير طريقة العمل والتواصل والتفاعل مع العالم من حولنا. ومع تنامي هذا الذكاء، بات من المهم مراعاة المخاطر والعواقب المُحتملة المُرتبطة بتطويره.“

الذي رأى أنّ بعض التحذيرات المبالَغ فيها، قد تخدم أغراضًا أخرى بعيدة عن العلم.

العالم كله في خطر

في ظلّ هذا التصاعد في المخاوف والتحذيرات، شهد مطلع العام 2026 موجة استقالات واسعة داخل كبرى شركات الذكاء الاصطناعي وفي مقدمها Anthropic و xAI، إذ غادر عدد كبير من المؤسّسين والكوادر الأساسية. وتزامنت هذه الاستقالات مع توجّهات جديدة لدى هذه الشركات للدخول في مرحلة الطرح العام في البورصة، إضافة إلى عرض الإعلانات داخل منصّة ChatGPT، ما أثار جدلاً واسعًا حول أولويات هذه الشركات.

وفي هذا الإطار، تشير المعطيات إلى أنّ شركة xAI تسير في مسار اندماج مع شركة SpaceX التابعة لإيلون ماسك، بهدف إنشاء كيان عملاق يضمّ مختلف مشاريعه. وعلى وقع هذه التطوّرات، عبّر عدد من الموظفين المستقيلين عن مخاوفهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مردّدين عبارة: «العالم كله في خطر».

تداعيات كارثية لأي ”كبسة“ خاطئة

يشير عميد كلية إدارة الأعمال في الجامعة الأميركية للعلوم والتكنولوجيا (AUST) والأستاذ في نُظم المعلومات والذكاء الاصطناعي الدكتور أنطوان حرفوش إلى أنّ بدايات الذكاء الاصطناعي تعود إلى خمسينيات القرن الماضي، مع أعمال آلان تورينغ خلال الحرب العالمية الثانية لفكّ شيفرات جهاز «إنيغما»، ما أسهم في انتصار الحلفاء.

ويؤكّد حرفوش أنّ البشرية شهدت خلال العقود الأخيرة تطوّرًا كبيرًا بفضل الآلات الذكية، التي ساعدت الإنسان على مقاربة أسئلة جوهرية. لكنه يطرح في المقابل سؤالاً محوريًا: هل يستخدم الإنسان هذه التقنيات بطريقة سليمة وأخلاقية، أم يسيء توظيفها بما يهدّد الوجود البشري؟

ويضيف أنّ الحروب تنشب اليوم بسبب الأخبار المضلّلة، مشيرًا إلى أنّ العالم أمام خيارين: إمّا إنسان واعٍ يوظّف الذكاء الاصطناعي ضمن الأخلاقيات والقوانين، وإمّا إنسان يعيش بعقلية العصر الحجري.

”يحذّر الباحثون المتخصّصون في المجال الأمني، من أنّ التطور السريع للذكاء الاصطناعي قد يهدّد مستقبل البشرية، مشيرين إلى أنّ احتمال حدوث سيناريو كارثي خلال المئة عام القادمة قد يصل إلى 99.9٪ ويستند هؤلاء في ملاحظاتهم إلى أنّ جميع أنظمة (AI) الحالية تفتقر إلى الضمانات الأمنية الكافية.“

كما يحذّر من خطورة استخدام الذكاء الاصطناعي في الصواريخ والطائرات المسيّرة، متوقّعًا أن يكون مستقبل البشرية مهدّدًا ولن يتجاوز الخمسين سنة في حال غياب الضوابط. ويشير إلى أنّ الخطر الحقيقي يكمن في تواصل الأنظمة الذكية في ما بينها، مستشهدًا بتجربة في جامعة نانتير - باريس، حيث تواصل روبوتان بلغة غير مفهومة، والخطورة بأنهما لم يتجاوبا عندما طُلب منهما شرح هذه اللغة للحضور، واكتفيا بتفسير بعض الشيفرات.

وفي إشارةٍ إلى تطوّر العلاقة بين الإنسان والآلة، يلفت الدكتور حرفوش إلى مشاعر الروبوتات وإلى زيجاتهم التي تبلغ الآلاف في اليابان، وإلى ولادة أول تلقيح صناعي مدعّم بالذكاء الاصطناعي.

ويشدّد في الختام على ضرورة استعادة الإنسان السيطرة على هذه التقنيات والآلات الذكية بشكلٍ كامل، وأن يسخّرها لنفسه ولخير البشرية وتطوّرها، ضمن القوانين والأخلاقيات، محذّرًا من أنّ «كبسة زرّ خاطئة» قد تتسبّب بهلعٍ عالمي، تتوقّف فيه القطارات، وتصطدم الطائرات، وتتراجع البشرية أقله ثلاثمئة سنة إلى الوراء.

إزاء هذا الواقع، يتبيّن أنّ الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرّد أداة تقنية، بل تحوّل إلى عنصر أساسي في معادلات القوة الدولية، ومن هنا، لا بد من الإضاءة على بعض العناوين التي تهدّد البشرية وتقضي على أحلام الإنسانية.

سباق التسلح والحرب النووية

عندما يتعلق الأمر بالذكاء الاصطناعي والأمن القومي، تبرز السرعة كعاملٍ حاسم، لكنها تتحوّل في الوقت نفسه إلى مصدر خطر. فالدول التي تطوّر أنظمة عسكرية ذكية أولاً تكتسب ميزة استراتيجية، لكن في المقابل تترتب على هذا الأمر خطورة بالغة، قد يتسبّب بها أصغر عيب في النظام، والذي يمكن للمخترقين استغلاله.

ففي مثل هذا السيناريو، قد تؤدي الحاجة الملحة للفوز بسباق التسلح بالذكاء الاصطناعي إلى عدم كفاية تدابير السلامة، ما يزيد من احتمال إنشاء أنظمة ذكاء اصطناعي ذات عواقب غير مقصودة، وربما كارثية. وعلى سبيل المثال، قد يميل قادة الأمن القومي إلى تفويض أنظمة الذكاء الاصطناعي قرارات القيادة والتحكّم، وإلغاء الإشراف البشري على نماذج التعلم الآلي، التي لا نفهمها تمامًا، من أجل الحصول على ميزة السرعة. وفي مثل هذا السيناريو، يبدأ الإطلاق الآلي لأنظمة الدفاع الصاروخي، من دون إذن بشري، ما يمكن أن يؤدي إلى تصعيد غير مقصود، وربما إلى حرب نووية.

سلاح بيولوجي

شرع باحثون في دراسة النماذج اللغوية الكبرى مثل Grok لجهة إمكان استغلالها من قبل جهات عدائية لإلحاق الضرر في مجال علوم الحياة. وخلصوا إلى أنّها «قادرة على تقديم معلومات دقيقة، مفيدة وتفصيلية، قد تُستخدم في تطوير أسلحة بيولوجية».

وهذه النماذج هي برامج كمبيوتر تستعين بكمياتٍ ضخمة من النصوص لتوليد ردود على الاستفسارات، وقد توفّر أحياناً معارف تقنية يمكن توظيفها في تطوير فيروسات أو مواد سامة قابلة للانتشار.

التزييف العميق ومخاطر اتخاذ القرارات الحاسمة

التزييف العميق هو مقاطع فيديو تبدو واقعية، لكنها غير حقيقية أنشأتها خوارزميات الذكاء الاصطناعي. وعلى الرغم من توافر هذه الوسائط المولّدة رقميًّا منذ عدة سنوات، إلا أنّ مستوى قدراتها قد تَضاعف على مدى العام المنصرم بفعل مجموعة من أدوات «الذكاء الاصطناعي التوليدي» الجديدة مثل أداة (ميد جيرني) التي تجعل إنشاء مقاطع تزييف عميق مقنعة أمرًا يسيرًا وزهيد الكلفة.

وتنتشر تقنيات التزييف العميق على مواقع التواصل الاجتماعي، لتخلط بين الحقيقة والخيال في السياسة والإعلام. وفي السياق، أعلن باحثون عن إمكان استخدام شركات مثل أوبن إيه آي ومايكروسوفت أدوات التعلم الآلي لإنشاء صور تعمل بواسطة الذكاء الاصطناعي، قد تروّج لمعلومات مضلّلة ذات صلة بالانتخابات وبالتصويت مثلًا عبر الإنترنت، وذلك على الرغم من وجود سياسات في كلتا الشركتين لمكافحة إنشاء المحتوى المضلّل، ومن شأن ذلك تقويض سلامة المعلومات، وضرب الثقة بمصادر الأخبار وبنزاهة المؤسسات الديمقراطية.

"الذكاء الفائق" : ماذا يعني؟

تعود فكرة وجود كيان اصطناعي أو آلة تشبه الإنسان أو تتفوق عليه إلى الأساطير اليونانية القديمة. وفي العصر الحديث، كان المفكر البريطاني صامويل باتلر، أول من تحدّث عن فكرة تطور ذكاء الآلات ليتخطى الذكاء البشري، في مقال تحت عنوان «دارون بين الآلات» نُشر في العام 1863.

تكررت التحذيرات في القرن العشرين، ففي العام 1965، استخدم عالم الرياضيات البريطاني إيرفينغ جون غود مصطلح «آلة فائقة الذكاء» ultra intelligent machine لوصف ماكينة ذات قدرات أفضل من قدرات العقل البشري، تستطيع تصميم آلات أخرى، وهو ما سيؤدي إلى ما وصفه غود بـ«انفجار الذكاء».

لكن أول من استخدم مصطلح «الذكاء الفائق» super intelligence ووضع تعريفًا له، كان الفيلسوف السويدي نيك بوستروم ضمن ورقة علمية نشرت في العام 1997 بعنوان How Long Before. يعرّف بوستروم الذكاء الفائق بأنّه «ذكاء يفوق أفضل العقول البشرية في جميع المجالات تقريبًا، بما في ذلك الابتكار العلمي والحكمة العامة والمهارات الاجتماعية... وقد يأتي في صورة كمبيوتر رقمي أو مجموعة من أجهزة الكمبيوتر المترابطة ضمن شبكة واحدة، أو نسيج قشرة دماغية زُرع في مختبر، أو أي شيء آخر».

وفي الختام، يفرض الذكاء الاصطناعي تحدّيات أخلاقية واجتماعية وأمنية كبرى، تشمل فقدان الوظائف، والتحيّز، والخصوصية، وسلامة المعلومات. ويتطلّب تطوير هذه التقنيات اعتماد مقاربة مسؤولة توازن بين تعظيم فوائدها والحدّ من مخاطرها، عبر سنّ قوانين واضحة وضوابط صارمة تضمن استخدامها بشكل آمن وفعّال، بما يخدم الإنسان ويحمي مستقبله.

أخلاقيات الذكاء الاصطناعي

تشير أخلاقيات الذكاء الاصطناعي إلى المبادئ التي تحكم سلوك هذا الذكاء من ناحية القيم الإنسانية. تساعد هذه الأخلاقيات على ضمان تطوير الذكاء الاصطناعي واستخدامه بطرقٍ مفيدة للمجتمع. وهي تشمل مجموعة كبيرة من الاعتبارات، بما في ذلك: الإنصاف، الشفافية، المسؤولية، الخصوصية، الأمان، الآثار الاجتماعية والمُحتملة.

وتعدّ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي قوة دافعة للخير، تساعد على التخفيف من الانحيازات غير العادلة، وإزالة الحواجز التي تحول دون إمكانية الوصول وتعزيز الإبداع، من بين فوائد أخرى كثيرة. وبما أنّ المؤسسات تعتمد بشكل متزايد على الـ AI في القرارات التي تؤثّر على حياة البشر، فمن الضروري أن تنظر في الآثار الأخلاقية المعقدة؛ لأنّ سوء استخدامه يمكن أن يسبّب ضررًا للأفراد والمجتمع، وللأرباح الصافية للشركات وسمعتها.

الصحة النفسية تحت النار

كيف نواجه الضغط النفسي في ظلّ الأزمات؟

روجينا خليل الشختورة

في بلدٍ أنهكته الأزمات الاقتصادية الحادة والاضطرابات السياسية المتواصلة، تأتي الحرب لتضع اللبنانيين تحت ضغطٍ نفسي لا يُحتمل. لم يعد القلق والخوف مجرد مشاعر عابرة، بل تَحوّلا إلى جزءٍ من الحياة اليومية في ظل الشعور بعدم الأمان وانعدام الاستقرار.

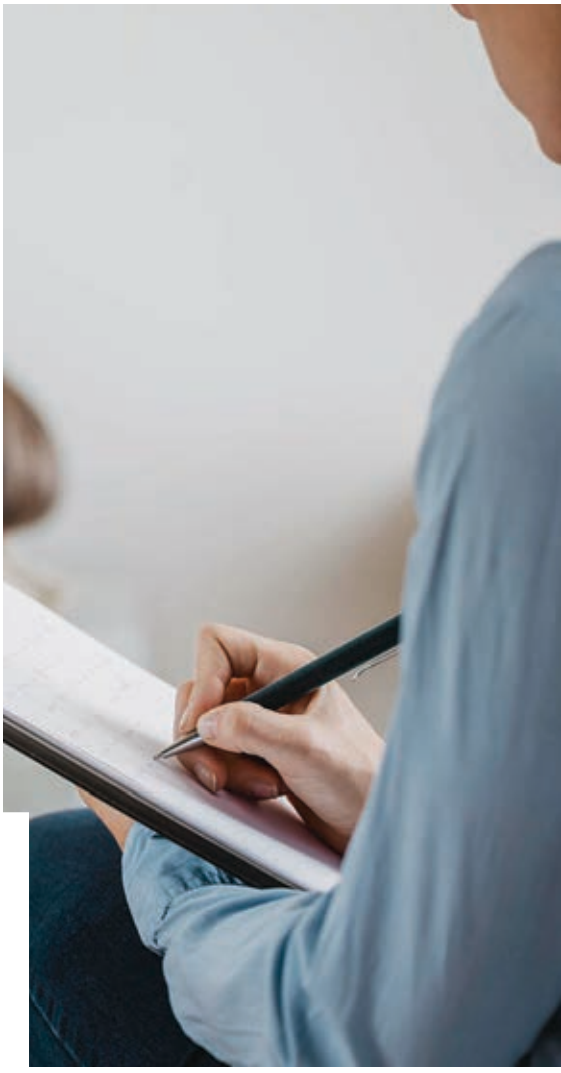

يعيش اللبناني اليوم في حالة توترٍ دائم، يترقّب الأخبار بقلقٍ شديد، وكأنّ الهدوء أصبح حالةً نادرة. الأمهات يعانين من خوفٍ مستمر على أسرهنّ، فيما يشعر الآباء بالعجز أمام تلبية الاحتياجات المادية والنفسية لعائلاتهم. كما أنّ مشاهد العنف، وأصوات الانفجارات، وانقطاع الكهرباء المتكرر، كلّها عوامل تُفاقم المعاناة النفسية وتزيد من حدّتها.

أمام هذا الواقع، يصبح الجميع بحاجة ماسّة إلى مساحة آمنة للتعبير عمّا يشعرون به. إنها حالة طوارئ نفسية حقيقية، إذ يتراكم الخوف ويتعمّق الشعور بانعدام الأمان، وتترك صدمات الحرب آثارها على السلام الداخلي للأفراد، من الأطفال إلى البالغين.

من هنا، لم يعد ممكناً التعامل مع الصحة النفسية باعتبارها مسألة ثانوية أو مؤجّلة. فلبنان، الذي ما زال يحمل جراح حروبه السابقة، يواجه اليوم تحدّيًا نفسيًا لا يقلّ خطورة عن الأزمات الأخرى. ففي الحروب لا تسقط الأبنية فقط، بل تتصدّع النفوس أيضًا، وإذا لم تُرمَّم هذه الجراح النفسية، قد تبقى آثارها لسنواتٍ طويلة وتتجاوز حجم الدمار الظاهر.

في هذا السياق، تشير الوقائع إلى ارتفاع ملحوظ في نسبة الإصابة باضطرابات ما بعد الصدمة خلال السنوات الأخيرة، وبحسب المعالجة النفسية ديالا عيتاني، يعاني كثيرون صعوبةً في التركيز، وضيقًا في التنفّس، وتسارعًا في ضربات القلب، وهي أعراض نفسية مرتبطة بالضغط المزمن والخوف المستمر.

مواجهة الضغط النفسي

في ظلّ واقعٍ قد يزداد صعوبة في المرحلة المقبلة، لم يعد التعامل مع الصحة النفسية خيارًا، بل ضرورة يومية لحماية التوازن الداخلي والقدرة على الاستمرار. وإذا كان الفرد لا يستطيع تغيير الظروف المحيطة به، فبإمكانه أن يخفّف من تأثيرها عبر خطواتٍ بسيطة لكنها فعّالة.

فتقنين التعرّض للأخبار مثلًا يُعدّ خطوة أساسية، إذ إنّ المتابعة المستمرة تزيد نسبة القلق والتوتر. كما أنّ مشاركة المشاعر مع شخص موثوق تساعد على تفريغ الضغط ومنع تراكمه. كذلك، يسهم الحفاظ على روتين يومي بسيط في تعزيز الشعور بالاستقرار، إلى جانب الاهتمام بالصحة الجسدية من خلال النوم الكافي والتغذية والحركة.

أما بالنسبة إلى الأطفال، فإنّ الروتين اليومي يمنحهم شعورًا بالأمان وسط الأجواء المضطربة، كما أنّ تقليل الوقت أمام الشاشات واستبداله بأنشطة مفيدة يساعد في تحسين حالتهم النفسية والتخفيف من التوتر.

وتوضح عيتاني أنّه مع اقتراب انتهاء العام الدراسي، يدخل الأطفال في فترةٍ طويلة من الفراغ، قد تتحوّل، في ظل التوتر العام، إلى مصدر إضافي للمشاحنات داخل المنزل. لذلك، يصبح تنظيم وقتهم بطريقة متوازنة أمرًا ضروريًا، بما يحميهم نفسيًا ويخفّف الضغط عن الأهل.

ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية تفهّم مشاعر الأطفال، والابتعاد عن الصراخ، وتخصيص وقت يومي للحوار معهم وخلق لحظات إيجابية بسيطة تمنحهم الطمأنينة والاستقرار.

أفكار نشاطات بسيطة وقليلة الكلفة

في ظل الظروف الصعبة، يمكن لبعض النشاطات اليومية البسيطة أن تسهم في تخفيف التوتر وتحسين الحالة النفسية، سواء للأطفال أو للكبار، مثل: اللعب في الهواء الطلق، الرسم والأشغال اليدوية، القراءة أو تأليف القصص، المساعدة في الأعمال المنزلية، الألعاب العائلية، وتخصيص ساعة هدوء يومية بعيدًا عن الأخبار والشاشات.

أما في الحالات التي يتفاقم فيها القلق، فإنّ طلب المساعدة المتخصصة يصبح ضرورة، لا ترفًا.

ماذا تفعل عند نوبة هلع؟

عندما يتفاقم القلق أو تظهر أعراض نوبات الهلع، يمكن اتباع بعض الخطوات السريعة للمساعدة على استعادة الهدوء:

- التنفّس ببطء: شهيق لمدة 4 ثوانٍ، حبس النفس لثانيتين، ثم زفير لمدة 6 ثوانٍ.
- التركيز على الحواس، مثل تسمية 5 أشياء يراها الفرد.
- تذكير النفس بأنّ هذا الشعور مؤقت وسيزول.
- الجلوس في مكان هادئ.
- طلب المساعدة عند تكرار النوبات.

كيف تتصرف الأم مع طفلٍ خائف؟

في حال كان الطفل يعيش حالة خوف أو قلق مستمر، يُنصح بـ:

- الاستماع إليه بهدوء ومن دون مقاطعة.
- طمأنته بصدق ومن دون مبالغة.
- شرح ما يحدث بطريقة بسيطة تناسب عمره.
- إبعاده قدر الإمكان عن الأخبار والمشاهد العنيفة.
- تعزيز شعوره بالأمان عبر الاحتضان والروتين اليومي.
- استشارة متخصص إذا استمر الخوف لفترةٍ طويلة.

في النهاية، لا تقاس الحروب فقط بعدد الضحايا أو حجم الدمار، فهناك خسائر صامتة تسكن كل بيت، وفي داخل كلّ إنسان يعيش تحت وطأة القلق. ومسار الإنقاذ لا يبدأ بإعادة إعمار الحجر فحسب، بل باستعادة الإنسان لتوازنه النفسي وترميم ما خلّفته الأزمات في داخله. ورغم كلّ الصعوبات، يبقى الأمل خيارًا يوميًا، وأحد أشكال الصمود في مواجهة واقعٍ قاسٍ ومضطرب.

الغش في زمن الذكاء الاصطناعي:

حين تتحوّل التكنولوجيا من أداة تعلّم إلى اختصار مقلق للمعرفة

باسكال معوّض بو مارون

تتسارع وتيرة التكنولوجيا مُحدِثةً تحوّلاً عميقًا في مشهد التعليم، وفي خضم هذا التحول تبرز ظاهرة الغش بوجوهٍ جديدة ومعقّدة. في لقاءٍ مع الخبيرة في التدريب والتوجيه المدرسي ريتا مراد رشيد، تتكشّف أبعاد المشكلة من منظورَيْن تربوي ونفسي، وتظهر الحاجة الملحّة إلى حلولٍ تربوية شاملة تُعيد للمؤسسات التعليمية دورها التكويني. ويقدّم هذا الحوار رؤية متوازنة تجمع بين تشخيص الأسباب واقتراح الإجراءات العملية لمواجهة الانحرافات السلوكية في المدارس.

لم يعد الغش محصورًا في غرف الإمتحان أو في صفحات مراجع قديمة، تؤكّد رشيد، بل امتدّ ليطال الواجبات المنزلية وحتى المشاريع المدرسية، وذلك مع ظهور أدوات الذكاء الاصطناعي التي باتت تُنجز المهام بدلاً من أن تكون وسيلة داعمة للتعلّم. فالتكنولوجيا لم تؤدِّ فقط إلى سهولة الوصول إلى طرق الغش - من ساعاتٍ ذكية وسماعاتٍ مخفية إلى تطبيقاتٍ متخصصة - بل غيّرت جوهر العملية التعليمية نفسها: لم يعد الطالب يفكّر بالقدر الكافي، بل يُعوَّض تفكيره آليًا، ما يحرمه من فرصة تطوير مهاراته الحقيقية.

ولا تقع مسؤولية هذا الانحدار على الطالب وحده، إذ تشير رشيد إلى أنّ الغش غالبًا ما يشكّل نداء استغاثة مبطّناً. فهناك عوامل متعددة تدفع التلميذ إلى هذا السلوك، من بينها ضغوط الأهل لتحصيل درجاتٍ عالية، والخوف من الفشل أو العقاب، وصعوبة المناهج،

فضلًا عن ضعف مهارات التنظيم الدراسي، والمقارنة المستمرة بالأقران، إلى تدنّي الثقة بالنفس. وفي كثيرٍ من الحالات، يُعدّ الغش رسالةً تطلب الانتباه إلى خللٍ أوسع في البيئة التعليمية والأسرة، لا مجرد دليل على تراجع القيم الأخلاقية.

وتُحمّل رشيد المناهج وأساليب التقييم جزءًا من المسؤولية، إذ إنّ اعتماد مقاربات تقليدية تركّز على الامتحان كأداة قياس وحيدة، يُجبر التلميذ على السعي وراء العلامة بدلاً من السعي إلى الفهم. ومن هنا، تشدد على ضرورة تنويع آليات التقييم لتشمل العروض الشفوية، والمشاريع، والبحوث، والتقييم المستمر، وهي أساليب تشجّع التفكير النقدي وتمنح الطلاب فرصًا متعددة لإظهار إتقانهم للمادة بطرقٍ مختلفة.

وفي هذا الإطار، تؤدّي المدرسة دور الحَكم الفعلي في مكافحة ظاهرة الغش، من تنظيم المراقبة العادلة في أثناء الامتحانات، إلى صياغة قوانين واضحة وتطبيقها على الجميع من دون تمييز، وصولاً إلى ترسيخ ثقافة النزاهة داخل البيئة التعليمية. أمّا العقوبات وحدها فهي ليست كافية؛ إذ يبقى الأثر الأعمق رهيناً بمقاربة متوازنة تجمع بين الحزم وبناء نظام دعمٍ نفسي وتربوي يهدف إلى فهم دوافع الطالب ومعالجتها بدلاً من الاقتصار على المعاقبة.

على الصعيد النفسي، توضح رشيد أنّ تأثير الغش مزدوج: فهو يمنح الطالب على المدى القصير شعورًا زائفًا بالنجاح، لكنّه على المدى البعيد يُضعِف الثقة بالنفس ويزيد مشاعر الذنب والقلق، كما يؤدّي إلى قصورٍ في المهارات الحقيقية والقدرة على مواجهة تحدّيات الحياة العملية. وينعكس هذا المسار سلبًا على شخصية الطالب ويحد من

"لم يعد الغش محصورًا في غرف الإمتحان أو في صفحات مراجع قديمة، بل امتدّ ليطال الواجبات المنزلية وحتى المشاريع المدرسية، وذلك مع ظهور أدوات الذكاء الاصطناعي التي باتت تُنجز المهام بدلاً من أن تكون وسيلة داعمة للتعلّم."

استقلاليته، ما يجعل معالجة الظاهرة أمرًا ذا بعدٍ اجتماعيٍ واقتصادي، لا تربويٍ فردي فحسب.

ويبرز التفاوت بين المدارس الرسمية والخاصة كعاملٍ مؤثّر في حجم الظاهرة؛ إذ إنّ معدلات الغش تتفاوت باختلاف مستوى الرقابة، وثقافة المؤسسة، وضغط الأهالي، وكثافة الفصول. وكلما توافرت موارد أفضل ورقابة أكثر انتظامًا، تراجع احتمال لجوء الطلاب إلى أساليب غشٍ متقدمة. من هنا، تدعو إلى توحيد معايير النزاهة، وتوفير برامج توعوية متكاملة في مختلف المؤسسات التعليمية.

أما عن الحلول، فتؤكد رشيد أنّ الأولوية المطلقة تكمن في التربية على القيم الأخلاقية والنزاهة، إلى جانب تطوير طرق التقييم، وتعليم مهارات تنظيم الوقت، وإدماج تقنيات التدريس التي تثير اهتمام الطالب وتدفعه إلى المشاركة الفعلية في العملية التعليمية. كما تشدد على ضرورة إشراك الأهل عبر جلسات توجيهية وميثاق شرف يلتزمه الطالب كما الأسرة والمدرسة، فضلًا عن برامج إرشاد مستمرة تبني حوارًا مفتوحًا يخفّف مناخ الخوف والرهبة الذي يدفع بعض الطلاب إلى الغش.

وخلاصة القول، إنّ مواجهة الغش تتطلّب استراتيجيات تربوية متكاملة تجمع بين تحديث المناهج، وتنويع أساليب التقييم، ودعم الطالب نفسيًا وتربويًا، إلى جانب تفعيل دور الأسرة والمدرسة في ترسيخ القيم. ومن دون هذا التكامل، سيبقى الغش ظاهرة مرآةً لعجز النظام التعليمي عن بناء مواطنين يمتلكون المعرفة والمسؤولية معًا.

نجلاء الهاشم...
الأداء الصادق في أعمال ما زلنا نتشوّق لمشاهدتها!

جان دارك أبي ياغي

عرفناها وأحببناها في أدوارٍ متعددة، تنوّعت بين الخير والشر، فنجحت في ترك بصمة خاصة في كل شخصية أدتها. إنّها الممثلة نجلاء الهاشم، التي انطلقت مسيرتها الفنية في سبعينيات القرن الماضي، وشاركت في عدد كبير من الأعمال التلفزيونية والسينمائية، فتميّزت بأدائها العفوي وبحّة صوتها المميزة، إلى جانب لكنتها القروية المحبّبة التي قرّبتها من قلوب المشاهدين.

هي ابنة العاقورة من مواليد العام 1945. تمتعت منذ بداياتها بصوتٍ جميل، فكانت تؤدي المواويل اللبنانية التراثية قبل أن تنضم إلى كورال فرقة الأخوين رحباني. لاحقًا، اتجهت إلى التمثيل، مستفيدةً من دعم شقيقها الصحافي نديم الهاشم، لتبدأ مسيرتها في عالم الفن بثقةٍ وخطوات ثابتة.

كانت انطلاقتها المسرحية مع عيسى النحاس في مسرحية «أوديب»، قبل أن تنضم إلى الفرقة الجوالة التابعة للممثل الراحل فيليب عقيقي، حيث برزت في عددٍ من الأعمال، من بينها «100 مليون» و«ناس مش ناس»، وقدّمت فيها شخصية «سعدى» التي لاقت استحساناً واسعًا.

ومع ازدهار تلفزيون لبنان، الذي شكّل منصة أساسية لانطلاقتها، تألقت في مجموعة كبيرة من المسلسلات التي ما زالت راسخة في ذاكرة الجمهور، منها: «الدنيا هيك»، «أبو ملحم»، «ليالي شهرزاد»، «بربر آغا»، «سمرا»، «المنتقم»، «ورد

جوري»، «علمتني الحياة»، «دويك 2000»، «البؤساء»، «بنت الكبّا»، «عريس العيله الدايم»، «من يوم ليوم»، «أربع مجانين وبس»، «لمن تغني الطيور»، «دموع الندم»، «صدفه»، «حكاية أمل»، «سنابل الحب»، «أصابع من ذهب»، «احذروا سالم الفري»، «رصيف الباريزيانا»، «الشفق»، «البخلاء»، «أخوت شناي»، «سقوط زهرة البيلسان»، «بنات عماتي وبنتي وأنا»، «سولو الليل الحزين»، وغيرها من الأعمال التي عكست تنوّع حضورها وقدرتها على التكيّف مع مختلف الأدوار.

كما شاركت في الأعمال الكوميدية مع كارين رزق الله وفادي شربل في «مرتي وأنا»، وظهرت معهما في فيلم «مدام بامبينو». وفي مجال الدبلجة، تركت بصمة واضحة من خلال أدائها أصوات شخصيات كرتونية، من أبرزها «السندباد»، إضافة إلى شخصية «أم سباستيان» في مسلسل «بيل وسباستيان»، في مرحلة كانت فيها الدبلجة اللبنانية تشهد حضورًا لافتًا.

تعاونت خلال مسيرتها مع عدد من الكتّاب البارزين، منهم أنطوان غندور، وشكّلت مشاركاتها في أعماله محطة لافتة في مسيرتها الفنية، أسهمت في ترسيخ حضورها لدى الجمهور. من بين هذه الأعمال شخصية «صويلحة» في مسلسل «شباب 73» بإدارة غاري غرابيتيان، وهي الشخصية التي شكّلت علامة فارقة في مسيرتها، وأعادت تقديمها لاحقًا على المسرح وفي الإذاعة، لا سيما في برنامج «صالح وصويلحة» إلى جانب الفنان حنا معلوف. ومن أواخر أعمالها الفنية مسلسل «أمير الظلام» مع رامي عياش.

حالة فنيّة خاصة

على خشبة المسرح، وقفت نجلاء الهاشم إلى جانب كبار الفنانين، من بينهم أنطوان كرباج، وشاركت في عددٍ كبير من أعمال نبيه أبو الحسن، ما يؤكد انتماءها إلى جيل المسرح اللبناني الكلاسيكي الذي ارتكز على قوة الأداء والحضور.

أما في السينما، فكان لها حضور في عدد من الأفلام، منها: «سفر برلك»، «المغامرون»، و«عصابة النساء» ما أضاف إلى رصيدها الفني تنوعًا آخر.

ما يميز مسيرتها أيضًا هو استمراريتها عبر مراحل مختلفة من تاريخ الدراما اللبنانية، إذ واكبت التحولات الفنية من زمن الأبيض والأسود إلى الأعمال الحديثة، محافِظة على حضورها الخاص. كما عُرفت الممثلة القديرة بقلة ظهورها الإعلامي، مفضّلة أن تترك أعمالها تتحدث عنها، بعيدًا عن الأضواء والضجيج.

وفي قراءةٍ لأدائها، لم تكن نجلاء الهاشم مجرّد ممثلة تؤدي أدوارًا مكتوبة، بل كانت حالة فنيّة خاصة، خصوصًا في تجسيدها لشخصية المرأة القروية اللبنانية. فقد نجحت في نقل تفاصيل هذه الشخصية بدقةٍ، سواء من خلال اللهجة أو الأداء العفوي أو الحضور الطبيعي، ما جعلها من أبرز الوجوه التي مثّلت البيئة الريفية على الشاشة اللبنانية.

برزت قدرتها بشكل لافت في التنقل بين الشخصيات المتناقضة، إذ أدّت أدوار المرأة القاسية بصلابةٍ، كما نجحت في تقديم أدوار الأم والزوجة بواقعية لافتة، رغم أنها لم تتزوج، ما يعكس قدرتها العالية على التقمّص الفني. ومن أبرز الأدوار التي جسّدت فيها الأم الحنونة بصدق، شخصية والدة الأب الصارمة في مسلسل «حكايتي» إلى جانب الممثلة آمال عفيش.

"ع الضيعة يمّا ع الضيعة"

في إحدى المقابلات، عبّرت ابنة العاقورة عن تعلّقها العميق بقريتها، مؤكدة أنّ انتقالها إلى بيروت لم يبدّد هذا الارتباط، إذ ظلّ الحنين إلى الأرض يرافقها، وكانت تحرص على العودة إليها مع حلول الربيع، لتُمضي هناك مواسم الطبيعة بين الكرز والخوخ والتفاح.

تبقى نجلاء الهاشم واحدة من وجوه الزمن الجميل، التي أسهمت في إثراء الدراما اللبنانية، ليس فقط من خلال كثافة أعمالها، بل عبر صدق أدائها وقدرتها على التأثير، حتى في الأدوار الثانوية، حيث كانت تترك أثرًا لا يُنسى في ذاكرة المُشاهد.

قواعد التغذية

الهرم الغذائي الجديد
كيف انقلبت المفاهيم من القاعدة إلى القمة.. وبالعكس؟

ليال صقر الفحل

في واقعة وُصفت بـ"الزلزال" في عالم التغذية، أصدرت وزارتا الصحة والزراعة في الولايات المتحدة الأميركية مجموعة إرشادات غذائية مرفقةً بهرمٍ غذائي مُعاد التصميم، يرسم معايير جديدة للتغذية الصحية، ويبتعد عن النموذج الكلاسيكي الذي اعتاده العالم لعقود.

لاقى تعديل الهرم الغذائي أصداء مختلفة على الصعيد العالمي، مثيرًا موجةً واسعةً من الجدل، وقد اعتبره كثيرون تغييرًا جذريًا لا مجرّد تعديل روتيني، بل إعلانًا لوفاة الهرم الغذائي التقليدي، واستبداله بموائد تعيد الاعتبار لـ «الطعام الحقيقي» في مواجهة الأغذية المُصنَّعة. وبينما رأى منتقدون أنّ الهرم الجديد يتناقض مع مبادئ راسخة في علم التغذية، اعتبر مؤيدوه أنّه يصحّح أخطاء الأنظمة السابقة.

وفي خضمّ هذا السجال، يجيب اختصاصي التغذية بيار الخوري عن سؤالٍ أساسي: هل سيسهم الهرم الجديد في تحسين الصحة العامة، أم سيقود إلى مزيدٍ من المخاطر الصحية والارتباك؟

انقسام علمي بين مدرستين

يوضح الخوري أنّ الإرشادات الحديثة أدّت إلى بلبلة في الأوساط الطبية، إذ انقسم الباحثون بين مدافعين عن الطب الأيضي (metabolic medicine) ممن اعتبروا القرار تصحيحًا لخطأ تاريخي جرّم الدهون الطبيعية لسنواتٍ وتسبّب في تفشّي السّمنة، وبين أنصار الطب التقليدي الذين تخوّفوا من ارتفاع محتمل في أمراض القلب والشرايين بسبب التشجيع على استهلاك الدهون المشبّعة واللحوم الحمراء. ويشير إلى أنّ جوهر النقاش لا يدور حول استبدال الكربوهيدرات بالدهون، بقدر ما يركّز على جودة الغذاء بدل الاكتفاء بحساب نسبة الدهون أو الكربوهيدرات في الطعام.

لفهم هذا التحوّل، يدعو الخوري إلى مراجعة نتائج الهرم السابق، الذي ارتكز على قاعدة عريضة من الكربوهيدرات مع تقييد صارم للدهون. وبحسب الإحصاءات الأميركية الحديثة، جاءت النتائج مرعبة مع مرور الوقت. فقد قفزت معدلات السمنة لدى البالغين من 15% في أواخر السبعينيات إلى أكثر من 42% مع نهاية العام 2024، فيما تضاعفت حالات السكري من النوع الثاني بشكل جنوني، لتصيب واحدًا من كل عشرة أميركيين، فضلًا عن ظهور حالات مقلقة بين الأطفال.

إلى ذلك، ظهر مع الوقت خلل أيضي شامل (metabolic disorder) رغم الاعتماد على أطعمة قليلة الدسم، وذلك أنّ الشركات المُنتجة استعاضت عن الدهون بالسكريات والنشويات المكررة التي أُضيفت لتحسين الطعم.

هرم مقلوب بثلاثة أقسام

اللافت في النسخة الجديدة من الهرم الغذائي، بحسب الخوري، أنّها جاءت «مقلوبة» مقارنةً بالنماذج التقليدية، وقسمت الخريطة الغذائية إلى ثلاثة أقسام بدل النموذج التقليدي الخماسي أو السداسي. وتتقدم المنتجات الحيوانية على سواها في ترتيبٍ مثيرٍ للجدل، إذ وضعت اللحوم، البروتينات الحيوانية، ومنتجات الألبان كاملة الدسم في رأس الهرم باعتبارها الأغذية الأكثر أولوية، بينما صنّفت الفاكهة والخضراوات أساسية، وأتت في مرتبة تالية داخل الهرم، أما الحبوب الكاملة فقد دُفعت إلى القاعدة، في تغييرٍ وُصف بأنّه عكسي لمسار توصيات امتد لأكثر من أربعين عامًا.

ويشرح الخوري أنّه في النماذج السابقة، شكّلت الحبوب القاعدة الأساسية، باعتبارها مصدرًا رئيسًا للطاقة والألياف. ولعلّ أكثر الانتقادات الموجهة إلى «الهرم الجديد» تمثلت في وضع الحبوب الكاملة في أسفل الهرم، ما فُهم على أنّه تقليل من أهميتها الغذائية. غير أنّ الحبوب الكاملة تظلّ عنصرًا بالغ الأهمية، لكونها مصدرًا أساسيًا للألياف والطاقة، فيما تكمن المشكلة الحقيقية في الكربوهيدرات المكرّرة لا في الحبوب الصحية الكاملة. وتشير التقارير العلمية إلى أنّ التوصيات الجديدة تتبنّى نهجًا يعيد عقارب الساعة إلى خمسينيات القرن الماضي.

نهاية الحرب على الدهون؟

يضيف الخوري أنّ الإرشادات الحديثة شجعت على استهلاك الدهون الصحية، بما في ذلك الدهون المشبّعة، ووضعتها في قمة الهرم الغذائي في فئة البروتين ومنتجات الألبان. وبهذا الإجراء تكون وزارة الزراعة الأميركية قد أعلنت نهاية الحرب على الدهون المشبّعة على الرغم من الإجماع العلمي حول مخاطرها على صحة القلب والشرايين. وقد وصف الكثير من علماء التغذية الهرم الجديد بأنّه يتحدى عقودًا من الأدلة والأبحاث.

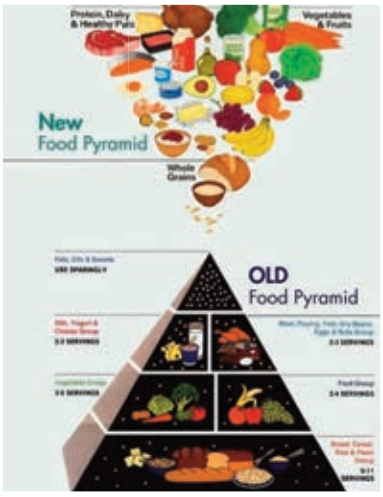

في الإطار نفسه، أثار التحوّل في التوصيات الخاصة بالحليب ومشتقاته جدلاً واسعًا. ففي حين كانت الإرشادات القديمة تدعو إلى تناول المنتجات قليلة الدسم أو الخالية منه، أتت التوصيات الجديدة لتغيّر هذا المفهوم وتدعو إلى تناول الحليب كامل الدسم ومشتقاته من دون سكر مضاف.

كذلك، لم تعد الزيوت النباتية بديلة عن الزبدة كما في السابق، ما شكّل نقطة اختلاف محورية.

تناقض بين الصورة والنص

على أرض الواقع، يرى الخوري أنّ الرسم البياني للهرم الجديد مُربك، إذ يُعطي أهمية متساوية للبروتينات والفاكهة والخضار، في حين أنّ الإرشادات الفعلية لا تُشير إلى ذلك. فالرسوم التوضيحية المرافقة لـه تخصص حيّزًا بصريًا أكبر من سواه للمنتجات الحيوانية، ما يمكن أن يفهمه كثيرون على أنه دعوة إلى زيادة استهلاك اللحوم ومنتجات الألبان.

وعند التحقق من التفاصيل، يتّضح أنّ التوصيات المتعلقة بالدهون لم تشهد تغيّرًا جوهريًا، إذ لا يزال الحد الأعلى الموصى به للدهون المشبّعة دون 10% من مجموع السعرات الحرارية اليومية، رغم أنّ تصميم الهرم يمنح اللحوم والدهون الحيوانية مساحة واسعة نسبيًا.

هذا التباين بين الرسالة الرقمية البصرية والرسالة العلمية المكتوبة أثار تساؤلات حول ما سيفهمه الناس عمليًا عندما يحضّرون أطباقهم، فالنص العلمي المكتوب يبقى قريبًا نسبيًا من الأبحاث السابقة، في حين تخاطب الصورة الجديدة نمطًا رقميًا سريعًا، أكثر من كونها تعكس الأدلة العلمية بشكلٍ دقيق.

أبرز ملامح الهرم الجديد

يركّز الهرم الجديد على النقاط الآتية:

- الإكثار من المغذيات، وتفضيل الأغذية الغنية بالفيتامينات والمعادن الطبيعية كاللحوم، والخضراوات والفاكهة على الأغذية التي تُعتبر "فارغة" كالخبز الأبيض، وحبوب الإفطار.
- تفادي الأطعمة المعالَجة كالزيوت النباتية المكررة والسكريات المضافة والمكونات الكيميائية، إذ تتبنى الإرشادات موقفًا أكثر صرامة تجاه السكر المضاف والمنكّهات والمواد الحافظة. وفي قاعدة الهرم تظهر الحبوب الكاملة مع تنبيه صريح لتجنب الكربوهيدرات المكررة، والتشديد على تقليص منتجات الدقيق الأبيض والسكريات والنشويات فائقة التصنيع.
- التشديد على شرب الماء بانتظام.
- الحفاظ على الإرشادات القديمة حول الحد من تناول الكحول، إلّا أنّه لم يعد هناك حد أدنى من الاستهلاك الآمن، شأنه شأن السكر المضاف، لذا أوصى بالحد من استهلاكه بشكلٍ عام.

بوصلة عامة وليس خريطة دقيقة للجميع

يؤكّد الخوري أنّه لا يوجد نظام غذائي واحد يناسب الجميع، لذلك من المهم استشارة اختصاصيي التغذية للحصول على أجوبة دقيقة حول نمط غذائي يلبي حاجات كل فرد بدلاً من استخدام الهرم كإطار موحّد للنظام الغذائي، فهو قد يصلح كبوصلة عامة، لا كخريطة للجميع.

ومع ذلك، فهو يعتبر أنّ التوصيات الجديدة ليست سيئة كما يُشاع، بل هي مرنة وفيها الكثير من الإيجابيات. ويوضح أنّه طوال السنوات الماضية، كان هناك تركيز على أهمية النشويات للجسم، إلى حد جعل الكثيرين يُهملون البروتينات رغم أهميتها. وقد تكون قلة البروتينات في النظام الغذائي من المشكلات التي أسهمت في التوجه نحو أطعمة غير صحية.

"لا يوجد هرم غذائي واحد يصلح للجميع، إذ تختلف الاحتياجات بحسب العمر، الحالة الصحية، النشاط البدني، وطبيعة الجسم. لذلك، يمكن اعتبار الهرم الجديد دليلاً عامًا لتحسين جودة الغذاء وتقليل المنتجات المصنّعة، لكنه لا يلغي مبدأ التوازن والاعتدال الذي يبقى الأساس في أي نظام غذائي صحي."

وفي السياق، يؤكد أنّه ما من مشكلة في تناول الحليب كامل الدسم ومشتقاته طالما يُراعى الاعتدال والتزام الكميات الموصى بها. وينطبق الأمر نفسه على الزبدة، إذ لا مانع من استهلاكها ضمن الحدود المسموح بها، بما يضمن نظامًا غذائيًا متوازنًا ومتنوّعًا، في حال عدم وجود أي مشكلات صحية تمنع ذلك.

في جميع الحالات، لكل شخص حمية تناسب احتياجاته الخاصة، سواء كانت غنية بالبروتينات في حال انخفاض الكتلة العضلية، أو قائمة على معايير أخرى. كذلك، تعتبر النشويات مهمة جدًا للجسم. أما بالنسبة إلى الدهون المشبّعة، فهي مضرّة لصحة القلب ومستويات الكوليسترول، ومع ذلك يمكن تناولها بكميات معتدلة في حال التزام المصادر الطبيعية، إذ إنّ التوازن يبقى الأساس في أي حمية متّبعة.

التوازن والاعتدال

في المحصّلة، لا يوجد هرم غذائي واحد يصلح للجميع، إذ تختلف الاحتياجات بحسب العمر، الحالة الصحية، النشاط البدني، وطبيعة الجسم. لذلك، يمكن اعتبار الهرم الجديد دليلاً عامًا لتحسين جودة الغذاء وتقليل المنتجات المصنّعة، لكنه لا يلغي مبدأ التوازن والاعتدال الذي يبقى الأساس في أي نظام غذائي صحي.

Tel: +961 26543173 • wilcopm.com

الزواج المبكر
حين تُغلق أبواب الطفولة قبل أوانها...

المعاون الأول جيهان جبور

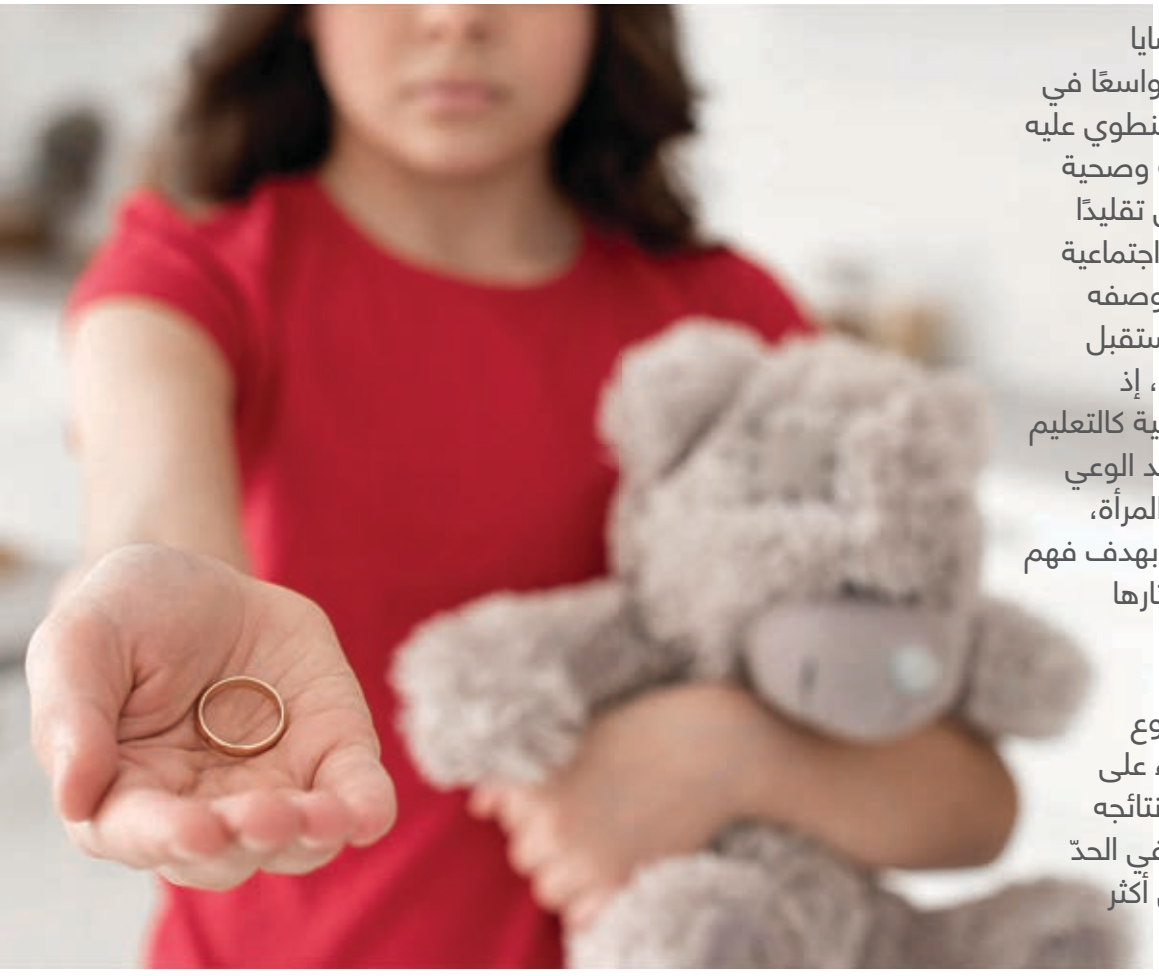

يُعدّ زواج القصّر من القضايا الاجتماعية التي تثير جدلاً واسعًا في مختلف المجتمعات، لما ينطوي عليه من أبعادٍ إنسانية ونفسية وصحية عميقة. وفيما يراه البعض تقليدًا متجذرًا أو مخرجًا لظروفٍ اجتماعية معينة، ينظر إليه آخرون بوصفه ظاهرة سلبية تؤثر في مستقبل الأفراد، ولا سيما الفتيات، إذ يحرمهنّ من حقوقٍ أساسية كالتعليم والنمو الطبيعي. ومع تزايد الوعي العالمي بحقوق الطفل والمرأة، تُطرح هذه الظاهرة بقوة بهدف فهم أسبابها الكامنة، وتحليل آثارها المتعددة على الفرد والمجتمع. ومن هنا تبرز أهمية مقاربة هذا الموضوع بقراءة واعية تسلّط الضوء على مختلف أبعاده، وتكشف نتائجه بعيدة المدى، بما يسهم في الحدّ منه وتعزيز وعي مجتمعي أكثر نضجًا حياله.

في حديثٍ مع السيدة رشا وزنة، مسؤولة التواصل والحملات في التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني، توضح أنّ القانون اللبناني، استنادًا إلى المادة الأولى من اتفاقية حقوق الطفل، يعتبر كل من لم يبلغ الثامنة عشرة طفلًا، ما يعني أنّ الزواج قبل هذه السن يُعدّ انتهاكًا لحقوق الطفل الأساسية. لذلك، يُفضَّل استخدام مصطلح «تزويج الأطفال» بدلاً من «الزواج المبكر»، كونه يعكس غياب إرادة الطفل وكون القرار يُفرض عليه.

وتضيف أنّ من بين العوامل التي تسهم في انتشار هذه الظاهرة العادات والتقاليد المتجذرة، حيث يُنظر إلى زواج الفتاة المبكر كوسيلة للحفاظ على «السمعة»، أو كخيارٍ أفضل من بقائها من دون زواج. كما تلعب الضغوط الاجتماعية دورًا بارزًا، إذ تخشى بعض العائلات من بلوغ الفتاة عمرًا معيناً من دون زواج، فتُوصم بـ «التأخر»، ما يدفع الأهل إلى اتخاذ قرارات متسرعة لا تراعي مصلحتها أو جاهزيتها النفسية والجسدية. ويزداد الأمر تعقيدًا مع سماح بعض المحاكم

الروحية والمرجعيات الدينية بإتمام هذا النوع من الزيجات ضمن شروطٍ معينة، ما يفتح الباب أمام تزويج القُصَّر في سنّ صغيرة.

وفي بعض الحالات، ترتبط هذه الظاهرة أيضًا بعواملَ معيشية، إذ ترى بعض الأسر في تزويج بناتها وسيلة لتخفيف الأعباء، فيتحول الزواج إلى آلية تكيّف مع الظروف، بدلاً من أن يكون خيارًا نابعًا من النضج والاستعداد. وتسهم هذه العوامل مجتمعةً في ترسيخ الظاهرة، رغم ما تحمله من مخاطر على صحة الفتاة، وتعليمها، واستقرارها النفسي والاجتماعي، فضلًا عن انعكاساتها السلبية على المجتمع ككل.

طفولة مسلوبة

تتجلى آثار التزويج المبكر على مستوياتٍ متعددة، اجتماعيًا ونفسيًا وصحيًا، إذ لا تقتصر تداعياته على الفرد فحسب، بل تمتد لتطال بنية المجتمع واستقراره. فعلى الصعيد الاجتماعي، يُسهم هذا النمط من الزواج في تكريس دائرة الفقر والجهل، نتيجة انقطاع الفتاة عن التعليم، ما يحدّ من فرصها في العمل وتحقيق الاستقلال المادي. كما يعزز أنماطاً تقليدية تعيق تطوّر المجتمع، ويرفع من نسب البطالة والاعتماد على الغير، فضلًا عن زيادة معدلات الطلاق بسبب غياب النضج الكافي لتحمّل مسؤوليات الحياة الزوجية.

وتشير وزنة إلى أنّ العديد من الحالات الواقعية لفتيات زُوِّجن في سنٍ مبكرة تكشف الغبن الذي تعرّضن له، إذ قد تتزوج إحداهن في الثالثة عشرة، لتجد نفسها مطلّقة في السابعة عشرة، عالقة في دائرةٍ من الحرمان كانت تظن أنها ستنجو منها. وبدلاً من أن تبدأ حياتها، تصبح مسؤولة عن طفلٍ أو أكثر في ظل غياب الاستقرار وتزايد التفكك الأسري. وتعبّر كثير من هؤلاء الفتيات عن شعورٍ عميق بالخسارة، مؤكدات أنّهن فقدن طفولتهن، بخاصةٍ عندما يشاهدن فتيات في أعمارهنّ يعشن حياة طبيعية، يدرسن ويلعبن من دون تحمّل

”تتجلى آثار الزواج المبكر على مستوياتٍ متعددة، اجتماعيًا ونفسيًا وصحيًا، إذ لا تقتصر تداعياته على الفرد فحسب، بل تمتد لتطال بنية المجتمع واستقراره، إذ يُسهم هذا النمط من الزواج في تكريس دائرة الفقر والجهل، كما يعزز أنماطًا تقليدية تعيق تطوّر المجتمع، ويرفع من نسب البطالة والاعتماد على الغير، فضلاً عن زيادة معدلات الطلاق بسبب غياب النضج الكافي لتحمّل مسؤوليات الحياة الزوجية.“

أعباء تفوق سنّهن. وتعمّق هذه المقارنات الإحساس بالندم، وتكشف حجم الأثر النفسي الذي يخلّفه تزويج الأطفال.

وعلى الصعيد النفسي، يفرض الزواج في سن مبكرة أعباءً تفوق قدرة الفرد على التكيّف، ما يؤدي إلى القلق والتوتر وفقدان الاستقرار العاطفي. وقد يواجه الزوجان صعوبة في بناء علاقة قائمة على التفاهم، نتيجة نقص الخبرة الحياتية والنضج الفكري، الأمر الذي ينعكس سلبًا على الصحة النفسية، وقد يؤدي إلى الاكتئاب أو العزلة. فهذا النوع من الزواج يحدث في مرحلة مفصلية من النمو الشخصي، بين المراهقة وبداية الشباب، وهي مرحلة أساسية لاكتشاف الذات وبناء الهوية وتكوين العلاقات الاجتماعية، ما يجعل انقطاعها سببًا لشعور لاحق بالضياع أو الندم.

أما من الناحية الصحية، فيُعدّ تزويج الأطفال، خصوصًا لدى الفتيات، عامل خطر على الصحة الجسدية، إذ قد تتعرض الفتاة لمضاعفات نتيجة الحمل والولادة في سنٍ صغيرة، مثل سوء التغذية أو مشكلات في الجهاز التناسلي. كما يزداد احتمال ولادة أطفال يعانون مشكلاتٍ صحية، بسبب عدم جاهزية الأم جسديًا ونفسيًا. ويُضاف إلى ذلك أنّ العديد من الأزواج الصغار يفتقرون إلى المعرفة والرعاية الصحية السليمة خلال فترة الحمل، ما ينعكس سلبًا على صحة الأم والطفل معًا.

وفي هذا الإطار، يبرز مفهوم الاغتصاب الزوجي كأحد أخطر الانتهاكات التي قد تتعرض لها الفتيات ضمن هذا النوع من الزواج، إلى جانب احتمالات العنف الجنسي واللفظي. كما أنّ عدم القدرة على الرفض أو التعبير عن الإرادة، نتيجة الخوف أو الضغوط النفسية، يحوّل العلاقة الزوجية إلى تجربة قسرية تترك آثارًا سلبية طويلة الأمد على الصحة النفسية والجسدية.

76% يرفضون الزواج المبكر

بيّنت دراسة ميدانية أجراها التجمّع النسائي الديمقراطي اللبناني سنة 2023 أن 76 في المئة من الذين شملتهم العيّنة يرفضون زواج من تقلّ أعمارهم عن 18 سنة.

> "على الصعيد النفسي، يفرض الزواج في سن مبكرة أعباءً تفوق قدرة الفرد على التكيّف، ما يؤدي إلى القلق والتوتر وفقدان الاستقرار العاطفي. وقد يواجه الزوجان صعوبة في بناء علاقة قائمة على التفاهم، نتيجة نقص الخبرة الحياتية والنضج الفكري، الأمر الذي ينعكس سلبًا على الصحة النفسية، وقد يؤدي إلى الاكتئاب أو العزلة."

تعقيدات قانونية

تختم وزنة بالإشارة إلى أنّ مسألة تزويج الأطفال في لبنان معقّدة قانونيًا، نظرًا لغياب قانون مدني موحّد للأحوال الشخصية، وخضوع هذه القضايا لأنظمة دينية متعددة. وحتى اليوم، لا يوجد حدّ أدنى موحّد لسن الزواج، إذ تسمح بعض القوانين بزواج القاصرين دون سن الثامنة عشرة، وأحيانًا دون الخامسة عشرة. وقد قُدّمت عدّة اقتراحات قوانين لتحديد سن الزواج بـ 18عامًا لكلا الجنسين، وتجريم تزويج القاصرين وفرض عقوبات على المخالفين.

وبذلك، لا يمنع القانون اللبناني هذه الظاهرة بشكلٍ صريح وشامل، بل يترك المجال مفتوحًا في ظل تعددية الأنظمة وغياب تشريع موحّد. وعلى الرغم من الجهود الحقوقية والتشريعية، ما تزال هذه المبادرات تصطدم ببنية قانونية طائفية تعيق إقرار قانون جامع يحمي الأطفال.

ويُذكر في هذا السياق، أنّ بعض المجتمعات بدأت تشهد تحولاً تدريجيًا في نظرتها إلى هذه الظاهرة، مع ازدياد الوعي بتداعياتها، ودور التعليم والإعلام في إعادة تشكيل القيم الاجتماعية باتجاه تأخير سنّ الزواج.

تكشف المعطيات مجتمعةً، أنّ تزويج الأطفال ليس مجرد قرار فردي، بل قضية متعددة الأبعاد، وظاهرة معقّدة تتداخل فيها العادات والظروف والقوانين ومستوى النضج الثقافي، ما يستدعي معالجتها من خلال وعيٍ مجتمعي وجهودٍ متكاملة تشمل التوعية وتعزيز التعليم ونشر الثقافة الصحية، إلى جانب توفير الدعم اللازم وتمكين الأفراد من اتخاذ قراراتهم بحرية ومسؤولية بما يرسّخ أسس مجتمع أكثر توازنًا واستقرارًا، ويحمي حقوق الأجيال المقبلة.

DIMA HEALTHCARE S.A.R.L. - Commercial Registry 42323 - Baabda - P.O.Box: 45-308 Hazmieh - Lebanon
Zoghzoghi Bldg. - Damascus International Road - Hazmieh - Tel: 961 5 453900 - Fax: 961 5 454650/1
www.dhc.com.lb / admin@dhc.com.lb

في عصر التنبيهات...
عندما تتحوّل المعرفة إلى عبءٍ نفسي

نور كيروز

في عصر السرعة الرقمية، لم يعد تدفّق المعلومات حدثًا عابرًا، بل واقعًا يوميًا يفرض نفسه على الأفراد. غير أنّنا لا "نتلقّى" هذه المعلومات بقدر ما "نتعرّض" لها، وذلك أنّ السيل المتواصل من التنبيهات الفورية التي تقتحم هواتفنا الذكية على مدار الساعة، يضع المتلقي في مواجهة ضغوطٍ غير مرئية تتسلّل تدريجيًا إلى توازنه النفسي.

ورغم الأهمية البالغة لهذا التدفّق الإخباري، الذي يُبقي الإنسان على اتصال دائم بما يجري محليًا وعالميًا، فإنّه يحمل في طيّاته تأثيرات خفية قد تنعكس سلبًا على صفاء الذهن والاستقرار النفسي. وهكذا، يتحوّل الاطلاع من وسيلة للمعرفة إلى مصدر ضغط متراكم، خصوصًا مع التسارع في نقل الأحداث الروتينية والطارئة، ضمن مشهدٍ إعلامي لا يعرف التوقّف.

لم تظهر فكرة التنبيهات الفورية والأخبار العاجلة دفعةً واحدة، بل خضعت لمراحل مختلفة عبر التاريخ، بدءًا من العصور القديمة ونقل الأخبار شفهيًا من خلال الرسل، إلى اختراع الطباعة مع يوهان غوتنبرغ في القرن الخامس عشر، ما أفضى إلى انتشار الصحف وتلقّي الأخبار بشكلٍ منتظم.

وفي القرن التاسع عشر، أحدث التلغراف ثورةً في سرعة نقل الأخبار، فيما أسهمت وكالات عالمية مثل «رويترز» في إيصالها بشكلٍ فوري. أما التنبيهات الفورية أو الإشعارات الإخبارية الحديثة (Notifications)، فهي نتاج زيجة الإنترنت بالهواتف الذكية، والتقدم التقني في أنظمة الإشعارات ضمن تطبيقات المؤسسات الإعلامية وشركات التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي.

رنّة تلو الأخرى...

في خضم العاصفة الإلكترونية الهوجاء التي تسيطر على الأجواء الإعلامية العالمية، من الضروري فهم مخاطر التعرض المستمرّ للأخبار العاجلة، لا سيّما في ظلّ الأحداث الأمنية المستجدة التي

شهدها لبنان، وذلك حرصًا على تحقيق توازن دقيق بين الاطلاع السليم والاستقرار النفسي.

يفيد مقالٌ علمي نشرته المجلة العلمية الأكاديمية البريطانية، حول التحميل المعلوماتي، أنّ كثرة المعلومات تؤدي إلى إجهادٍ ذهني وصعوبةٍ في اتخاذ القرار. كما تُظهر دراساتٌ أخرى من بينها «دراسة شبكة الوضع الافتراضي للدماغ» التي أُجريت في الولايات المتحدة العام 2001، أنّ الدماغ يحتاج إلى فتراتٍ من الراحة لمعالجة المعلومات داخليًا، ما يؤكد محدودية قدرته على الاستيعاب وتأثره سلبًا بالتدفق المستمر للتنبيهات.

وفي هذا السياق، توضح المعالجة النفسية العيادية الدكتورة نيكول هاني أنّ تأثير هذا النوع من الإشعارات شائعٌ ويطال جميع الأفراد وإن بشكلٍ متباين، إذ يؤدي تكرارها إلى تنمية التوتر والقلق، وصولاً إلى الإرهاق النفسي واضطرابات النوم، وبالتالي إلى الشعور بفقدان السيطرة.

هيمنة خفيّة وتحكُّم

ثمّة اختلاف واضح بين تلقي العقل للأخبار من خلال الإشعارات الفورية وتلقيها عبر مواقع التواصل الاجتماعي. ففي الحالة الأولى، تنهال الإشعارات الإخبارية الفورية على حامل الهاتف وتعيق سير الأعمال الاعتيادية كما تعرقل استمرارية الأنشطة اليومية بشكلٍ طبيعي. ولا يقتصر تأثيرها على الفرد، بل يمتدّ كالعدوى من الهاتف إلى الدماغ، فالمجتمع المحيط، حيث يتداول الجميع الخبر نفسه، وغالبًا ما يكون ذا طابع سلبي أو مقلق. وتلفت الدكتورة هاني إلى أنّ سرعة هذه الإشعارات ومباغتتها المتكررة تشكّلان مصدر ضغط دائم، إذ تُحدث صدمة آنية تقطع التركيز وتغذّي الإحساس بالخطر، لتبدو أشبه بإنذارات متلاحقة.

أما عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فالتأثير متشابه من حيث النتيجة، لكنه يختلف في آلية التلقي. فرغم أنّ ولوج هذه المنصات يتم بقرار فردي، إلّا أنّ استخدامها المتكرر يتحول إلى نوعٍ من السيطرة المفروضة، مع تلاشي الطابع الاختياري وتحوله إلى نوعٍ من الإلزام. وهنا يصبح التعرّض للأخبار ضغطًا تراكميًا يعزّز القلق والتوتر، خصوصًا في ظلّ محتوى متشعّب يجمع ما بين الأخبار والآراء والشائعات، إلى جانب الصور والفيديوهات والتعليقات المتضاربة، ما يفاقم الارتباك ويغذّي القلق مع تكرار المعلومات غير المؤكدة.

علاقة سامة

مع تطور الأحداث الأمنية المفاجئة في لبنان، بات كثيرون يترقبون الإشعارات الإخبارية بقلق، منتظرين ما سيحمله كل تنبيه جديد. وهكذا، تحوّل الهاتف الذكي من وسيلة تواصل ومعرفة إلى أداة انتظار قسري. ولا تكمن المشكلة في الجهاز بحد ذاته، بل في نمط استخدامه. إذ تنشأ علاقة سامة بين المستخدم وهاتفه قائمة على الإدمان والتعلّق القلق: تواصل دائم، وسعي مستمر للاطلاع، حتى ولو جاء ذلك على حساب الراحة النفسية والتركيز.

ليس كل "عاجل" عاجلاً

يؤكد الصحافي نبيل حرب، صاحب أحد المواقع الإخبارية الإلكترونية في لبنان، أنّ إشعارات الأخبار العاجلة تنقل الدماغ من حالة «المتابعة الواعية» إلى «التلقّي القسري» حيث تصل الأخبار للمستخدم من دون أن يطلبها. وبحسب خبرته، لا يرقى كل خبر جديد إلى صفة «العاجل»، إذ يفترض أن يستند هذا التصنيف إلى معايير محددة، كعنصر المفاجأة، والأهمية على المستويين الوطني أو الدولي، أو التحذيرات الأمنية. غير أنّ الواقع يشهد تهاونًا في استخدام هذا الوصف خصوصًا، إذ تُمنح صفة «العاجل» أحيانًا لأخبار عادية لجذب الانتباه وتعزيز التفاعل. ويوضح حرب أنّ الإكثار من هذا النوع من الإشعارات المضخَّمة والملغومة، يُفقد الخبر قيمته الإخبارية الحقيقية ويتلاشى تأثيره على الجمهور وتندثر بالتالي الثقة تدريجيًا. وفي هذا السياق، يلتقي الإعلام مع علم النفس في التأكيد أنّ التدفق الكثيف للأخبار يعزز الوعي من جهة، لكنّه يرفع منسوب القلق والتوتر من جهة ثانية، خصوصًا لدى المتلقّين غير القادرين على التأثير في مجريات الأحداث. وبذلك، تتحول الوسيلة الإخبارية من أداة للمعرفة إلى مصدر للضغط النفسي.

ويلفت إلى أنّ هناك توجُّهًا إعلاميًا، محقونًا بالمنافسة يميل إلى التهويل وتضخيم الخبر لاصطياد انتباه ثمين. فالجمهور يميل بطبيعته إلى متابعة ما يهدد أمنه واستقراره، لا سيّما فئة الشباب، الأكثر استخدامًا للتكنولوجيا، والأكثر عرضة للإرهاق المعلوماتي، ما يستدعي وعيًا أكبر وقدرة على التمييز بين الصحيح والمضلّل في سعيٍ لتنظيم هذا التدفق المتواصل.

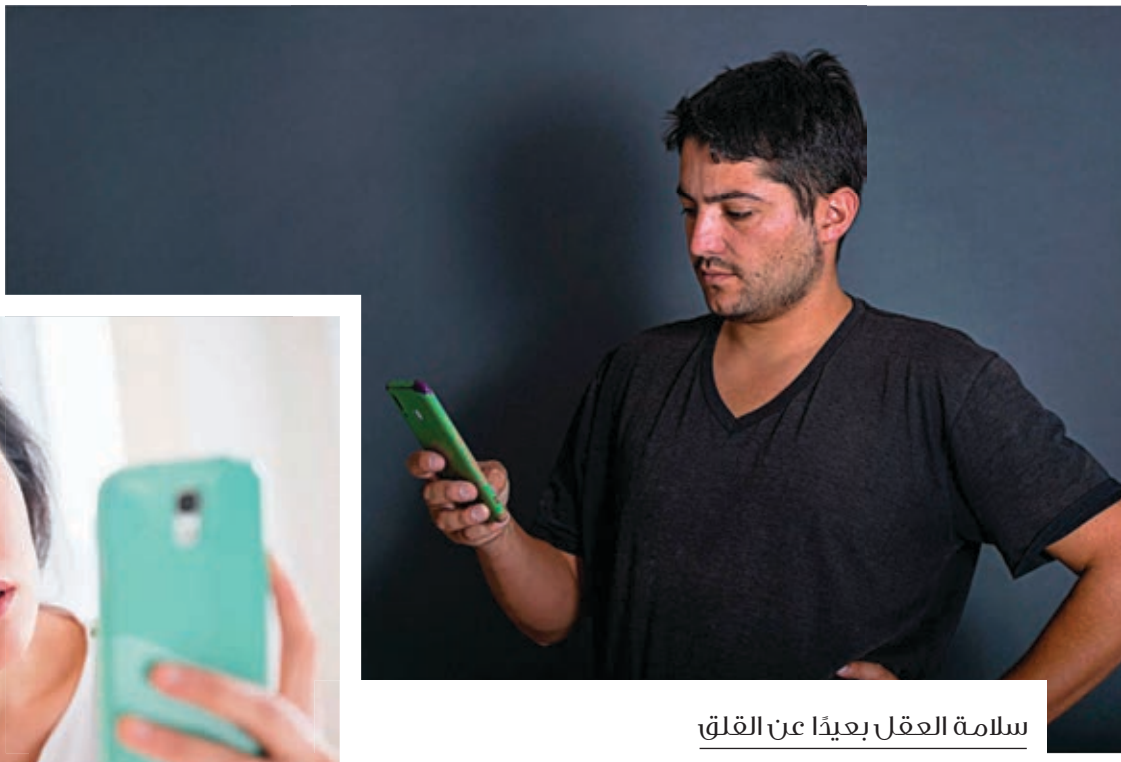

سلامة العقل بعيدًا عن القلق

رغم صعوبة الحدّ من هذا التدفق، يمكن ضبطه عبر خطوات عملية:

- التحكم بالإشعارات وحصرها بمصادر محدودة وموثوقة.
- تخصيص وقت محدد للاطلاع على الأخبار خلال اليوم.
- التحقق من مصداقية الأخبار وعدم الانجرار وراء المضلّل منها.
- اعتماد أساليب متابعة هادئة، كالمطالعة في أثناء المشي أو الاستماع لموسيقى مريحة.

قديمًا، ارتبط طلب المعرفة بالارتقاء، أما اليوم، فقد باتت المعرفة مهددة بالإفراط والتشتت. وكما يقول الكاتب والأستاذ الجامعي الأميركي :Cal Newport «التركيز هو عملة القرن الحادي والعشرين، وكل إشعار متكرر يسرق جزءًا منه.»

شائعات مضلّلة

وفي ظل هذا التدفق المتسارع للأخبار وطول لائحة العناوين ضمن نشرة الإشعارات المتتالية، يصبح المشهد مضللاً بين الأخبار الصحيحة والكاذبة. ويشير كتاب The Art of Fabricating Fake News and Rumours للمؤلف جمال الحج إدريس، الهادف إلى كشف خفايا آليات التضليل الإعلامي في العصر الرقمي، إلى أنّ «الشائعة هي معلومة أو خبر يتم تداوله بين الناس من دون التأكد من صحته أو من وجود مصدر موثوق يدعمه، وهو غالبًا ما ينتشر بسرعة لأنه يثير الخوف أو الفضول أو الاهتمام. ويشير الكتاب إلى أنّ الشائعة قد تتضمن جزءًا من الحقيقة يجري تضخيمه أو تحويره بطريقة تبدو منطقية للجمهور، ما يجعل البيئة القلقة أرضًا خصبة لانتشارها وإثارة الهلع. وسواء كانت الإشعارات الإخبارية السريعة سلبية أم إيجابية، فإنّ قلة مصداقيتها تقود لاحقًا إلى الخيبة أو التضليل أو الكراهية وغيرها من المشاعر المتضاربة.

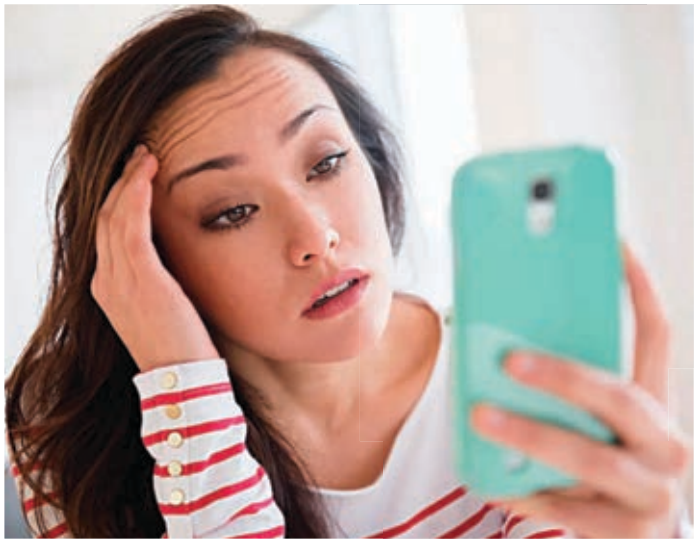

بين الحق والباطل

أمام هذا الواقع، وتحت ثقل الأوضاع المتزعزعة، تبرز ضرورة بناء معرفتنا بالأحداث العاجلة أو اليومية على مصادر موثوقة. ويمكن التمييز بين الخبر الصحيح والمضلّل وفق مؤشرات أساسية يذكرها الكتاب:

- صدور الخبر الحقيقي عن جهة معروفة وموثوقة.
- الحذر من الأخبار العاجلة جدًا التي تنتشر بسرعة قبل التأكد من مصداقيتها أو تنبع من تكهُّن فردي.
- الشك في العناوين الصادمة والمبالَغ فيها إذ غالبًا ما تكون كاذبة.
- ترجيح الخبر ذي التفاصيل الواضحة فهو الأكثر صحة من الشائعة العامة أو الغامضة.
- التأكد من تداول الخبر على أكثر من وسيلة موثوقة ما يرجّح صحته.

وعلى هامش ما سبق، تعتمد القنوات التلفزيونية أيضًا أسلوب العناوين الإخبارية العاجلة باللون الأحمر والخط الكبير في أسفل الشاشة، لجذب الانتباه، مع العلم أنها الأكثر مهنية والأقل عرضة للشائعات.

استنتاجًا، إن التلقي العاجل والفوري للأخبار من خلال مختلف الوسائل الإخبارية، يُثقل الفرد بأحداث مضخّمة لا يمكنه التحكم بها، ما يعزز مشاعر القلق والحيرة والخوف. فالتدفق الفوري والمستمر بالمستجدات يُغرق المتلقي بسيلٍ من الأخبار التي ترهق الوعي وتستنزف طاقته النفسية، فتتحولُ المعرفة التي من المفترض أن تسهم في تقدم المجتمع وتوسِّع آراءه إلى غمرة من الإجهاد.

Fouad Chehab Avenue, Sin El Fil
P.O. Box: 55 191, Lebanon
T. +961 1 511211 • **F.** +961 1 513313
info@benta-group.com
www.bentatrading.com

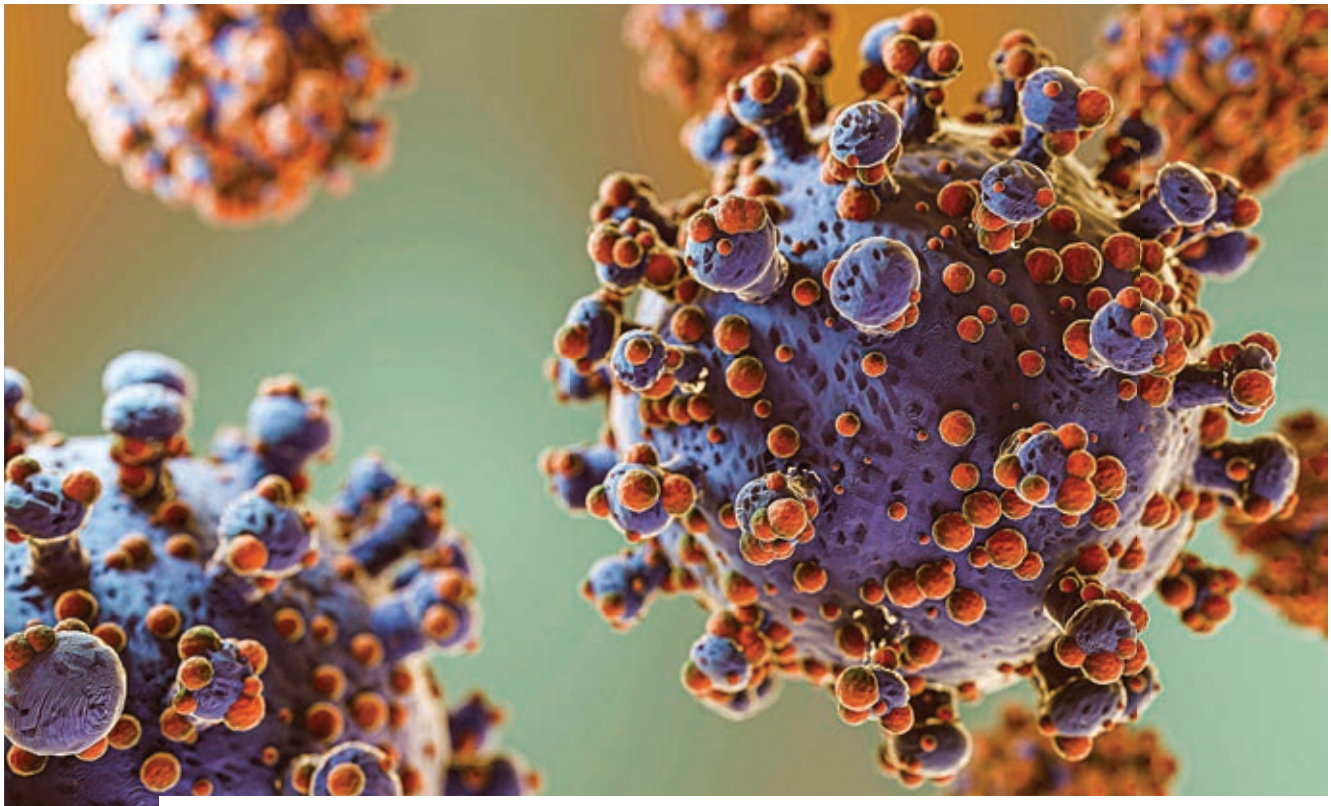

أمراض فيروسية ناشئة: فيروس هانتا تحت المجهر

روجينا خليل الشختورة

منذ انتشار جائحة كورونا، أصبح العالم أكثر وعيًا بخطورة الفيروسات والأمراض المعدية التي قد تنتقل بسرعةٍ وتهدّد حياة الإنسان. فقد أظهرت تلك الجائحة أهمية الوقاية والنظافة والتشخيص المبكر في الحد من انتشار الأمراض. ومن بين الفيروسات التي تثير اهتمام العلماء حاليًا فيروس "هانتا"، وهو فيروس نادر لكنّه خطير، ينتقل من القوارض إلى الإنسان وقد يسبب مشاكل خطيرة في الجهاز التنفسي والكليتين. لذلك، من المهم التعرف إلى هذا الفيروس، أعراضه، طرق انتقاله، وكيفية الوقاية منه.

فيروس هانتا هو مجموعة من الفيروسات التي تنتقل إلى الإنسان بشكلٍ أساسي عبر القوارض، خاصةً الفئران البرية. يمكن أن يسبب أمراضًا خطيرة تؤثر على الرئتين أو الكليتين بحسب نوع الفيروس. ويُعتبر هذا المرض نادرًا نسبيًا، لكنه قد يصبح خطيرًا إذا لم يُكتشف ويُعالج مبكرًا.

أعراض المرض

تبدأ الأعراض عادةً بعد فترةٍ من التعرّض للفيروس، وتشبه في البداية أعراض الإنفلونزا، ومنها: ارتفاع الحرارة، التعب الشديد، آلام في العضلات والمفاصل، الصداع، الغثيان أو التقيؤ، وألم في البطن.

وفي الحالات المتقدمة، قد تظهر أعراض أكثر خطورةً مثل: السعال، ضيق في التنفس، تجمّع السوائل في الرئتين وانخفاض ضغط الدم.

كيفية انتقال المرض

ينتقل فيروس هانتا غالبًا من القوارض إلى الإنسان، ومن طرق انتقاله: استنشاق الهواء الملوّث ببول القوارض أو برازها، لمس الأسطح الملوّثة ثم لمس الأنف أو الفم، التعرّض لعَضّة من قارض مصاب، بالإضافة إلى تناول طعامٍ ملوّث.

ويزداد خطر الإصابة في الأماكن المهجورة أو غير النظيفة التي قد تحتوي على فضلات الفئران.

كيفية التشخيص

يعتمد الأطباء في تشخيص المرض على معرفة الأعراض التي يعاني منها المريض، وعلى السؤال عن احتمال التعرّض للقوارض، إضافةً إلى إجراء فحوصات دم للكشف عن الفيروس، وتصوير الرئتين بالأشعة في الحالات التنفسية. ويُعتبر التشخيص المبكر مهمًا جدًا لتجنّب المضاعفات الخطيرة.

هل يوجد علاج؟

لا يوجد حتى الآن علاج محدد يقضي مباشرةً على فيروس هانتا، لكن الأطباء يقدّمون علاجًا داعمًا للمساعدة على تخفيف الأعراض، مثل: إعطاء الأوكسجين لمساعدة المريض على التنفس، تنظيم ضغط الدم والسوائل في الجسم، العناية المركزة في الحالات الشديدة. وكلما بدأ العلاج مبكرًا زادت فرص الشفاء.

كيفية الوقاية

للوقاية من فيروس هانتا يجب المحافظة على نظافة المنازل والمستودعات، والتخلص من القوارض بطريقةٍ آمنة، وإغلاق الفتحات التي قد تدخل منها الفئران. كما يفضَّل وضع قفازات وكمامة عند تنظيف الأماكن الملوَّثة، وغسل اليدين جيدًا بعد التنظيف وحفظ الطعام في أوعية مغلقة.

وتشير الأدلة إلى أنّ خطر انتقال العدوى داخل المستشفيات منخفضٌ جدًا عند تطبيق الإجراءات الوقائية المناسبة. وبالتالي، يجب تطبيق الاحتياطات القياسية (حزمة من الإجراءات والممارسات الأساسية للوقاية من العدوى) لجميع المرضى، بما في ذلك نظافة اليدين والتنظيف البيئي والتعامل الآمن مع الدم وسوائل الجسم.

في الحالات المشتبه بها أو المؤكدة، تُستخدم الاحتياطات القياسية

مع احتياطاتٍ إضافية حسب طريقة الانتقال، كما تُستخدم الاحتياطات الهوائية في أثناء الإجراءات المولّدة للرذاذ.

ويُعدّ التعرّف المبكر والعزل السريع والتزام الإجراءات أمرًا ضروريًا لحماية العاملين الصحيين.

استجابة منظمة الصحة العالمية

تعمل منظمة الصحة العالمية مع الدول والشركاء لتعزيز المراقبة، والقدرات المخبرية، والتواصل حول المخاطر، والانخراط المجتمعي، والكشف المبكر، ورعاية المرضى. كما تدعم تحديث الإرشادات المبنية على الأدلة حول التشخيص، وإدارة الحالات، والوقاية من العدوى، وتتبُّع المخالطين.

وتعزز المنظمة نهج «الصحة الواحدة» الذي يربط بين صحة الإنسان وخزانات القوارض والبيئة، وتدعم مراجعة الأدلة المستجدة لضمان تحديث التوصيات باستمرار.

في الختام، يُعتبر فيروس هانتا من الفيروسات الخطيرة رغم ندرته، لذلك تبقى الوقاية والنظافة من أهم وسائل الحماية منه. كما أنّ الوعي الصحي والتشخيص المبكر يساعدان بشكلٍ كبير في الحد من مضاعفاته وحماية حياة الإنسان.

الأب...

الحضور الذي يزرع الأمان

ريما سليم

ليس كل ما يقدّمه الأب يُقال بالكلمات، فغالبًا ما يختبئ حضوره في التفاصيل الصغيرة التي تزرع الأمان داخل البيت: في تعبه الصامت، في قلقه الذي لا يُفصح عنه، في المسؤوليات التي يحملها يوميًا من دون تذمّر، وفي سعيه الدائم لتأمين حياةٍ أكثر استقرارًا وراحةً لعائلته. فالأب، ليس السند الذي تعتمد عليه الأسرة فحسب، بل هو أيضًا مصدر الشعور الخفي بالأمان الذي يمنح البيت طمأنينةً عميقة ويجعل الحياة أكثر توازنًا ودفئًا.

وفي حين تعبّر الأمهات عن حبّهن لأولادهنّ بوضوح وبساطة، يبقى حب الأب في كثير من الأحيان مختبئًا خلف الصرامة، أو الانشغال الدائم بتأمين احتياجات العائلة. إلّا أنّ دفء عاطفته يظهر بوضوحٍ في المواقف الصعبة، وفي حضوره الثابت كلما احتاجت الأسرة إلى الدعم والحماية.

في عيد الأب، لا يجري الاحتفاء فقط بالرجل الذي يعمل لإعالة أسرته، بل أيضًا بالإنسان الذي يحمل على كتفيه مسؤولياتٍ جمّة، ويحاول، رغم الضغوط والتحديات، أن يكون مصدر قوة وتوازن داخل أسرته.

الصورة تغيّرت

شهدت صورة الأب تغيّرًا ملحوظاً عبر العقود؛ فبعدما ارتبط دوره تقليديًا بالسلطة وتأمين الاحتياجات المادية فقط، أصبح اليوم أكثر حضورًا في تفاصيل الحياة اليومية لأبنائه، وأكثر انخراطاً في التربية والرعاية النفسية والعاطفية. فقد بات العديد من الآباء يشاركون في المتابعة اليومية لأولادهم، والاهتمام بالنشاطات المدرسية،

ورعاية الأطفال، وحتى الأعمال المنزلية، ما يعزّز مفهوم الشراكة داخل الأسرة.

وتشير تقارير صادرة عن منظمة الـ UNICEF إلى أنّ مشاركة الأب في التربية ووجوده الفاعل في حياة أبنائه ينعكس إيجابًا على التطور النفسي والتعليمي للأطفال، ويخفّف أيضًا من الضغوط الواقعة على الأم، ما يسهم في خلق بيئةٍ أسريّة أكثر استقرارًا.

كما أظهرت دراسات حديثة أنّ الأطفال الذين يحظون بمشاركة فعالة من آبائهم يحققون نتائج أكاديمية أفضل، ويتمتعون بمهارات اجتماعية أعلى مقارنة بغيرهم.

الأمان النفسي للأبناء

يشكّل الأب مصدرًا أساسيًا للشعور بالأمان والاستقرار داخل الأسرة. فوجوده الداعم يمنح الأبناء ثقة بالنفس وقدرة أكبر على مواجهة التحديات. وتشير دراسات صادرة عن جمعية علم النفس الأميركية American Psychological Association إلى أنّ الأطفال الذين يحظون بعلاقة إيجابية ومستقرة مع آبائهم يكونون أقل عرضة للقلق والمشكلات السلوكية، وأكثر قدرة على بناء علاقات اجتماعية صحية.

ولا يرتبط هذا التأثير بالحضور الجسدي فقط، بل بنوعية العلاقة التي يبنيها الأب مع أبنائه. فالاستماع إليهم، وتشجيعهم، والاهتمام بمشاكلهم وقضاياهم اليومية، كلّها ممارسات تترك أثرًا نفسيًا عميقًا يمتد إلى مراحل متقدمة من حياتهم.

وفي هذا السياق، أظهرت أبحاث صادرة عن Harvard University أنّ مشاركة الأب في حياة الطفل منذ سنواته الأولى تسهم في تعزيز الاستقرار العاطفي، وتطوير المهارات الاجتماعية واللغوية لديه.

ترسيخ القيم ومفهوم الالتزام

لا يتوقف تأثير الأب عند مرحلة الطفولة، بل يمتد إلى حياة الأبناء في مراحل لاحقة، ذلك أنّ العلاقة التي يبنيها معهم تترك أثرًا طويل الأمد في طريقة تعاملهم مع أنفسهم ومع الآخرين. فالتربية الحقيقية تبدأ داخل المنزل، ويُعدّ الأب نموذجًا أساسيًا يراقبه الأبناء ويقتدون به. ومن خلال سلوكه اليومي، يكتسبون مفاهيم الاحترام، والانضباط، وتحمّل المسؤولية، وطريقة التعامل مع الضغوط والخلافات. كما أنّ الطريقة التي يتعامل فيها الأب مع أفراد الأسرة، ولا سيّما الأم، تنعكس بصورةٍ مباشرة على فهم الأبناء للعلاقات الإنسانية. فالكلمة الداعمة في لحظة ضعف، والنصيحة الصادقة في وقت الحاجة، والشعور الدائم بأن هناك من يمكن الاتكال عليه، كلها أمور تمنح الأسرة توازنًا نفسيًا وعاطفيًا، وترسّخ لدى الأولاد مفهوم العلاقات الصحية والمتوازنة.

ويؤكد علماء الاجتماع أنّ الأب يلعب دورًا محوريًا في تعليم الأبناء مفهوم الالتزام والقدرة على اتخاذ القرارات. فالأطفال الذين يعيشون في بيئةٍ أسريّة متوازنة، يحضر فيها الأب بشكلٍ إيجابي، غالبًا ما يتطوّر لديهم الحس بالمسؤولية والثقة بالذات بشكلٍ أكبر، في حين ينعكس

غيابه أو ضعف العلاقة معه بطريقةٍ سلبية على شعور الأبناء بالأمان والثقة بالنفس. لذلك، لا تُقاس قيمة الأب فقط بما يقدّمه ماديًا، بل أيضًا بمدى حضوره الإنساني والعاطفي في حياة أسرته.

رغم التحديات...

رغم أهمية هذا الدور، يواجه كثير من الآباء تحديات متزايدة تفرضها ظروف الحياة الحديثة. فالضغوط الاقتصادية، وساعات العمل الطويلة، والتغيرات الاجتماعية، تجعل تحقيق التوازن بين العمل والحياة الأسرية أمرًا معقدًا في كثيرٍ من الأحيان.

وفي مجتمعاتٍ تعاني أزماتٍ متلاحقة، كما هو الحال في لبنان، تتضاعف الأعباء الملقاة على كاهل الآباء، سواء على المستوى المعيشي أو النفسي. فكثير منهم يجدون أنفسهم أمام مسؤولية تأمين الاستقرار لعائلاتهم وسط ظروفٍ قاسية، ما يضعهم تحت ضغوطٍ مستمرة. ورغم ذلك، يواصلون أداء أدوارهم بتفانٍ، محاولين حماية أسرهم والحفاظ على تماسكها، حتى وإن كان ذلك على حساب راحتهم الشخصية.

مناسبة للاعتراف والتقدير

من هنا، يشكّل عيد الأب فرصة للتعبير عن الامتنان لكل أب كرّس وقته وجهده من أجل عائلته، ولكل رجل تحمّل مسؤولياته بصمتٍ ليمنح أبناءه الشعور بالأمان.

فخلف كثير من الأشخاص الناجحين يقف أبٌ آمَن بقدرات أبنائه وشجّعهم على تحقيق أحلامهم، وخلف كثير من البيوت المستقرة يقف رجلٌ حمل مسؤولياته بصمتٍ ليمنح عائلته الطمأنينة والاستقرار.

جندي الغد

مغامرة على الشاطئ

في صباحٍ مشمس، استيقظ جاد ولين بحماس كبير، لأنهما سيذهبان اليوم إلى الشاطئ! حضّرا القبعات، المناشف، ودلو الرمل الملوّن والألعاب، ثم انطلقا مع العائلة نحو البحر.

عندما وصلا، ركض جاد بسرعة نحو الرمل وهو يضحك:

"هيا يا لين! لنَبْنِ أكبر قلعة رملية في العالم!"

بدأ الاثنان يجمعان الرمل ويصنعان الأبراج والجسور.

وفجأة... لاحظت لين شيئًا يلمع قرب الصخور! اقتربا بحذر، فوجدا زجاجة صغيرة بداخلها ورقة قديمة!

فتح جاد الزجاجة بحماس، وكانت الورقةُ خريطةَ كنز!

اتبعا الأسهم المرسومة على الخريطة:

- خمسُ خطوات قرب النخلة
- ثلاثُ قفزات فوق الصخور
- ثم ابحث قرب الصدفة الكبيرة

وبعد دقائق من البحث... وجد الطفلان صندوقًا صغيرًا مدفونًا تحت الرمل!

فتحا الصندوق بسرعة، فوجدَا بداخله:

- أصدافًا ملوّنة
- حبات لؤلؤ
- ورسالة تقول: "أجمل كنز هو قضاء الوقت مع من نحب."

تسلية

كلمات متقاطعة

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

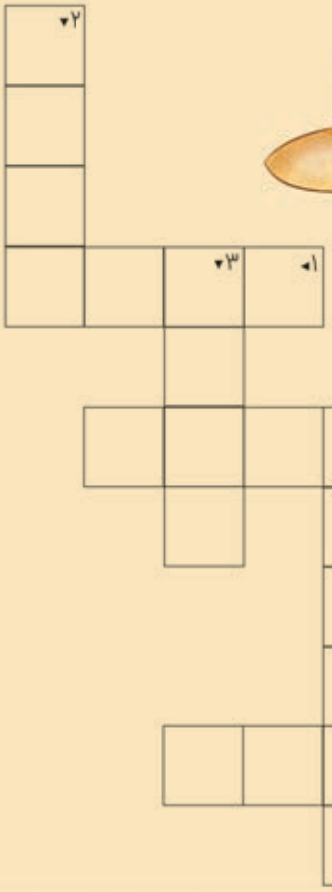

ضع العدد المناسب

أصدقاء جندي الغد

نرحّب بصوركم ورسائلكم على العنوان الإلكتروني
tawjihmatbouat@lebarmy.gov.lb

تيا وبيا التوم

رالف شختورة

علي وآدم درويش

كلاريتاالأسمر

جورج صباغ

سيال الحصباني

زينب حمزة

إيفانا جهجه

آيلا الحلبي

أحمد وأنابيلا رمضان

كتاليا عون

مارون وسيزار ولوكاس العلم

أمير ولارين حمزة

أحمد وإيلينا رمضان

ماريتا وماتيو خطار

آدم وألين وأليسار خليل

جايمي وجايسن ناصيف

شربل وشارلين يونس

جورجيوس وماريتا وأوين حنا

علية وعلي ولجين عباس

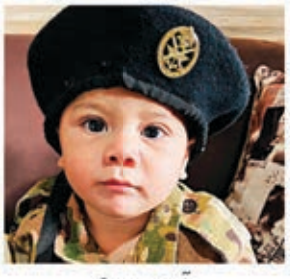
آدم حمزة

هافن وأوسيا ابو خليل

إكرام رمضان

هافن وآيفي حداد

SOCIÉTÉ LIBANAISE POUR L'INDUSTRIE

JEAN ANID & FILS S.A.L.

Packaging Since 1930

Mkalles, Tallet El Mir, Industrial Area, Street 72, Sector 1, Anid Bldg. #250
P.O.Box: 70-626, Beirut - Lebanon | Tel.: +961 1 684 111 | Fax: +961 1 684 890
www.anid.com | info@anid.com

إعداد فيليب شمّاس

كلمات متقاطعة

أفقيًا

1. نحتفل بعيده في 21 حزيران، فيلم مصري عائلي من بطولة يحيى شاهين وكريمة مختار، أب.
2. مخرج فيلم ولدي الذي هو اول فيلم يظهر فيه أحمد زكي، العلو والارتفاع، جزيرة ودولة في المتوسط.
3. ضمن وداخل، عيون المياه، مغنية وممثلة مصرية راحلة.
4. أديب وموسوعي لبناني راحل لقّبَ بِـ المعلّم، تثاقلَ في مشيته.
5. أظهَروا الحديث بالوشاية، زوجها، الاسم الثاني لممثلة لبنانية.
6. ترصّدوا ورقبوا الفرص، يخصني، غير محترف، عاصمة أوروبية.
7. يوبيل أربع سنوات زواج، طلب الشيء من.
8. من أعضاء الجسم، دولة في أميركا الجنوبية، مَن في الطليعة، نوتة موسيقية.
9. نسيج من قطن، كثير، مدينة سعودية، مركز عرض الأفلام.
10. أديب وصحافي مصري راحل، يلحق الشيء، عش الطائر.
11. فضل وعظَمة، بلدة في البقاع، أشارَ الى.
12. للتأفف، ممثلة أميركية راحلة.
13. قصدَت المكان، متشابهان، دولة كبرى، مدينة نيجيرية.
14. أكلَ أكلا يسيرا، بئر، فريق كرة فرنسي.
15. الحثّ والتحريض الذي يؤدي الى الغضب.
16. أديب ومفكر لبناني راحل، إنطلقَ في استخفاء، دولة عربية.
17. ولدهمَا، دولة في أميركا الجنوبية، انحاء وارجاء الوطن.
18. من الحبوب، بلدة في الشمال، ناحية وجهة، معدن نفيس.
19. الاسم الثاني للاعب كرة قدم إنكليزي، إنتصرَت، أسرعَ في مشيه، وضعَ خلسة، حاجز.
20. نقيض خلْفه، ساوَى بين أمرين، مؤرخ وشاعر اندلسي.
21. بلدة في قضاء النبطية، الصعود والارتفاع، التحدث بصوت مرتفع غير مفهوم.

عموديًا

1. أديب وكاتب روسي راحل، مديرية في الجيش.
2. الاسم الثاني لرئيس وزراء صيني راحل، ملك عربي راحل، طبخة لبنانية.
3. رجعَ الفيء، عُهدَ له بالتولية، ممثلة مصرية، ماركة مفاتيح.
4. دولة أوروبية، مجاري الأودية الضيقة.
5. الاسم الثاني لطبيب انكليزي اكتشفَ التلقيح ضد الجدري، من مؤلفات سعيد تقي الدين، ضمير متصل.
6. أصل البناء، ظاهر وواضح، ألانَ القول وعامل معاملة حسنة.
7. تقال للوالد، زميلتنا في العمل، عوى.
8. الشيء الشديد البياض، حيوان يحب الجزَر، حرف جر، قصدَ المكان.
9. عُقاب، يسبق مأجوج، عبرَتْ الطريق.
10. للندبة، مياه جارفة، أشهر ملكة في التاريخ، صوّتَ الضفدع.
11. الاسم الثاني لنقيب صحافة لبناني راحل، زعيم روسي راحل، أحد أصغري المرء.
12. أقامَ بالمكان، للتأوّه، شأن، الأرض.
13. أيقظناها من النوم، عاصمة افريقية، نسيان، تهيّأ للحملة في الحرب.
14. ماركة سيارات، عائلة، أحصى وحسَب، يبسَ الخبز، حِمالنا.
15. أول رئيس لجنوب افريقيا لقّب بِـ التمساح الكبير، يعلو جسمي، أميركي اخترع شفرة مورس، للتعريف.
16. لمسوا، نهر يروي العاصمة الروسية، إنحرفَ، مدينة سورية.
17. كاتب وشاعر انكليزي راحل، نوتة موسيقية، مدينة هندية تاريخية.
18. طائر حسن الشكل، مغنية لبنانية، متشابهان.
19. ضرب بالعصا، سوّى الأرض، يعيش في الماء، مدينة في الإمارات، شاعر فرنسي.
20. شاعر إيطالي، العاشق، لؤلؤة عظيمة.

SUDOKU

سهلة الحل:

		4	5			6		9
6	8			2		1	7	
	5		9		8		3	
5			7		4			
	6			1		9		7
		7		3		2		
1		5			9			4
	3						9	
		6			2	7		8

صعبة الحل:

2			4		5		6	
	3		8			5		7
5				3			4	
		8				3	9	
					7			4
	1			6				
8						6		
6			1				3	9
	2	3		5		7		

الحل بين يديك:

4	9	6	3	5	2	7	1	8
2	3	8	1	4	7	5	9	6
1	7	5	6	8	9	3	2	4
9	4	7	8	3	6	2	5	1
8	6	3	2	1	5	9	4	7
5	1	2	7	9	4	8	6	3
7	5	1	9	6	8	4	3	2
6	8	9	4	2	3	1	7	5
3	2	4	5	7	1	6	8	9

4	2	3	6	5	9	7	8	1
6	5	7	1	2	8	4	3	9
8	9	1	7	4	3	6	5	2
9	1	2	3	6	4	8	7	5
3	6	5	9	8	7	2	1	4
7	4	8	5	1	2	3	9	6
5	7	6	2	3	1	9	4	8
1	3	4	8	9	6	5	2	7
2	8	9	4	7	5	1	6	3

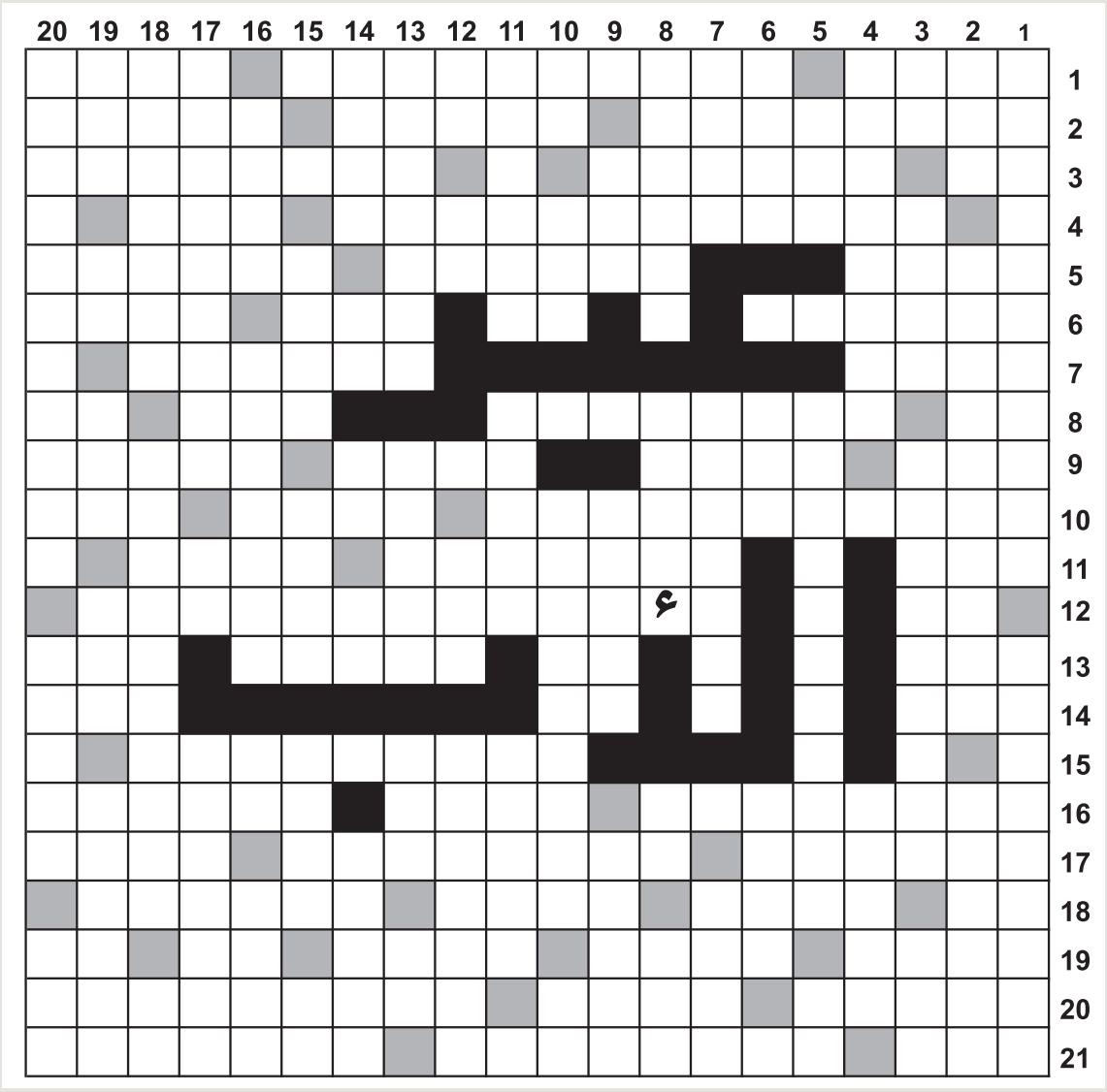

الجائزة
8,000,000 ليرة لبنانية
توزّع بالتساوي على 4 فائزين

مسابقة الكلمات المتقاطعة تقدّمها مجلة «الجيش» لقرّائها وتخصّص للفائزين فيها جوائز مالية قيمتها ثمانية ملايين ليرة لبنانية، توزّع بواسطة القرعة على أربعة فائزين.

شروط المسابقة

- تُستبعد كل مسابقة غير مقتطعة من المجلة، ويكتب الحل بخطٍ واضح داخل المربعات وترسل الصفحة بكاملها مع الحل.
- ترسل الحلول إلى العنوان التالي: قيادة الجيش - مديرية التوجيه - مجلة «الجيش».
- باستطاعة المشترك تسليم المسابقة باليد في ثكنات الجيش في المناطق جميعها.
- آخر موعد لقبول الحلول 20 تموز 2026.
- تعلن النتائج في العدد المقبل.

الإسم: ..... الهاتف: .....

العنوان: .....

الكلمة الضائعة

الكلمة الضائعة من ثمانية حروف:
عاصمة أوروبية

الكاميرون	تيبرس	فينيسيا
أوروبا	تورينو	فخ
أمازون	ثمن	قلم
النمسا	جيبوتي	قناعة
أنقرة	خس	قبرص
ايرلندا	خوف	قش
البرتغال	خط	قرية
السودان	درة	كاليغولا
المتنبي	رونسار	لوزان
البحتري	رقم	لارنكا
باسترناك	زنود	لبنان
بندقية	شومان	ماليزيا
بتار	صك	مسدس
بوروندي	عز	نابولي
بونابرت	طيور	هاندل
تشيكيا	ظن	هنغاريا
		هند

الحل السابق:
مدريد

س	ة	ي	ق	د	ن	ب	ف	ي	ن	ي	س	ي	ا	س
د	ق	ت	ق	ا	ي	ك	ي	ش	ت	ق	ن	ا	ع	ة
س	ش	ر	ز	ع	ك	ا	ن	ر	ت	س	ا	ب	ي	ن
م	ي	ا	ي	ر	ل	ن	د	ا	د	ن	ه	ر	ل	و
ة	خ	ق	ل	ا	غ	ت	ر	ب	ل	ا	ت	ب	ب	ز
س	ل	و	ا	ي	ر	ا	غ	ن	ه	ح	ص	ت	ن	ا
م	ا	ب	و	ر	و	ن	د	ي	ب	ك	ك	ا	ا	م
ظ	ن	ل	ن	ا	م	و	ش	ل	ف	و	خ	ر	ن	ا
ه	ل	ا	و	م	ق	ر	ا	ا	ل	س	و	د	ا	ن
ط	خ	د	ك	غ	خ	و	د	ت	ر	ب	ا	ن	و	ب
ن	م	ث	ن	ن	ي	ف	ر	ي	ب	ن	ت	م	ل	ا
ر	و	ي	ط	ا	ر	ل	ة	ر	ا	س	ن	و	ر	ق
ن	ا	ز	و	ل	ه	ا	ا	ت	و	ر	ي	ن	و	ب
ن	ا	ب	و	ل	ي	ل	ل	ك	ا	ن	ق	ر	ة	ر
ا	ل	ن	م	س	ا	ي	ل	ز	ي	ل	ا	م	م	ص
د	و	ن	ز	ا	و	ر	و	ب	ا	س	ر	ي	ي	ت
ا	ل	ك	ا	م	ي	ر	و	ن	ي	ت	و	ب	ي	ج

أبعاد ثلاثية

هل تريد أن تكتشف ما هو مخبأ في داخل الصورة؟

ما عليك إلاّ أن تركّز نظرك على نقطة محدّدة في وسطها، على أن تكون المسافة قريبة جدًا، ثم حاول بعد ثوانٍ أن تبعد الصورة تدريجيًا، محاولاً أن تخترقها بنظرك حتى تتوصل إلى رؤية الأشكال الثلاثية الأبعاد التي ستظهر أمامك.

حل الكلمات المتقاطعة (عدد 471)

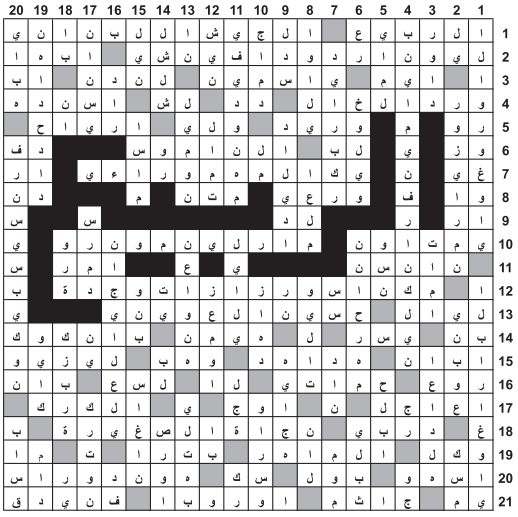

الفائزون في مسابقة الكلمات المتقاطعة في العدد السابق

الرقيب أحمد يونس - العريف ابراهيم الحاوي
العريف شحادي الحسين - المجند (م. خ) ساجد القاق

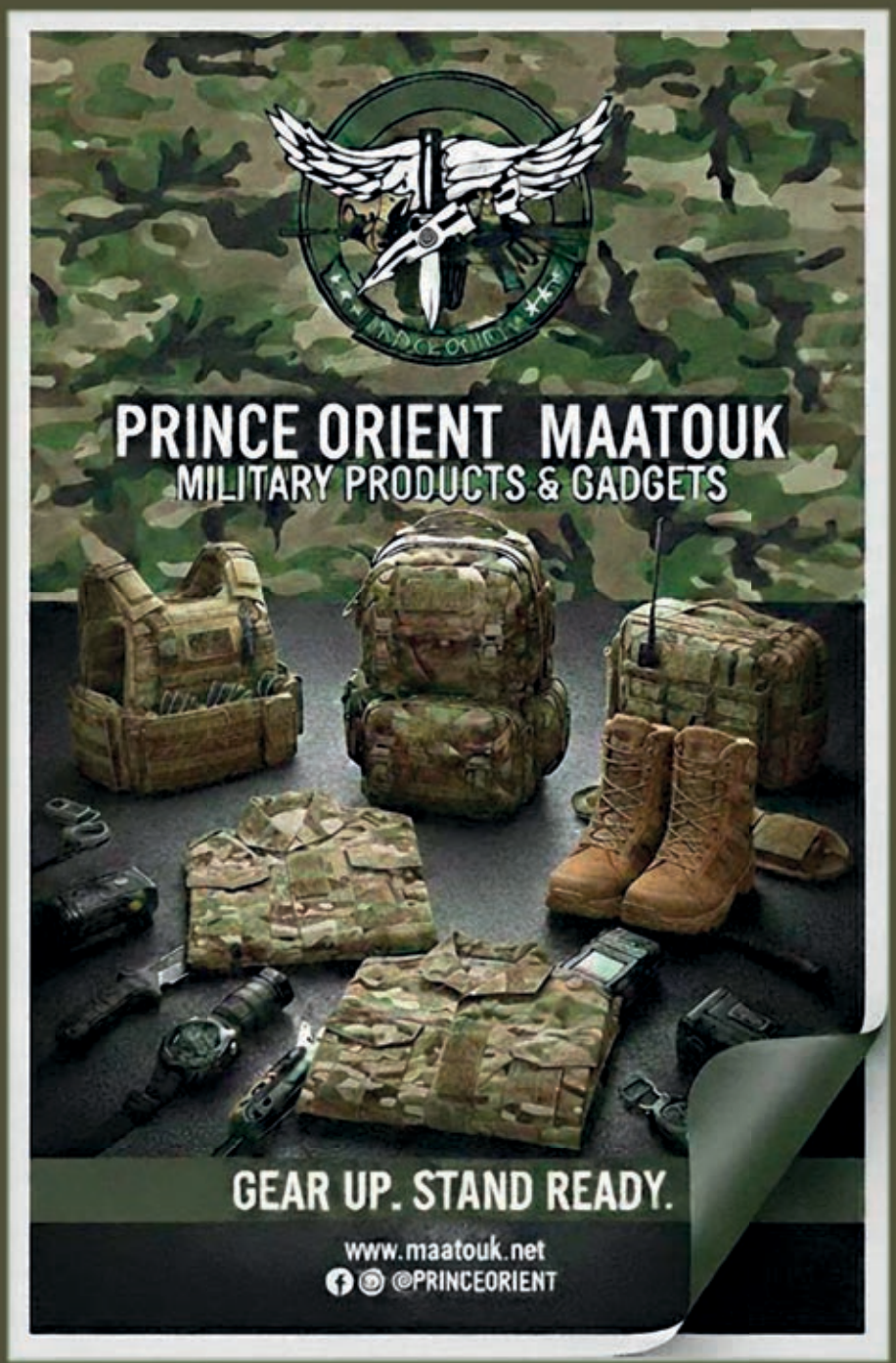
PRINCE ORIENT MAATOUK
MILITARY PRODUCTS & GADGETS
GEAR UP. STAND READY.
www.maatouk.net
@PRINCEORIENT

الجيش حارس السلم الأهلي

تُبنى الدولة المتماسكة على تكامل عناصرها الأساسية إذ يشكّل الانسجام بين عمل المؤسسات الحكومية والوعي المجتمعي الضامن للاستقرار. فالاستقرار هو نتاج التزام مؤسّسي متواصل يسعى لتأمين حياة كريمة، ومسؤولية وطنية واعية تسودها لغة القانون فوق أي اعتبار.

إنّ الوحدة الوطنية هي الروح التي تُحيي منظومة الدولة، وتتجلّى أهميتها في تماسك الشعب بمكوّناته كافةً خلف مصلحة الوطن. يمثّل هذا التماسك خطّ الدفاع الأول ضدّ الأزمات، إذ تقاس قوّة المجتمع بمدى تماسك كيانه أمام محاولات التفرقة، ويُحوّل التنوُّع إلى طاقة إيجابية مشتركة تُعزّز الاستقرار الداخلي وتُبعد عوامل التفكّك.

وفي ظلّ الأوضاع الراهنة التي يمرّ بها لبنان، يبرز السلم الأهلي كضرورة وجودية لا تقبل المساومة. إن الحفاظ على السلم الأهلي وسط التحدّيات الإقليمية والضغوطات الداخلية يتطلّب وعيًا استثنائيًا وتغليبًا دائمًا للمصلحة الوطنية العليا، فهو الركيزة التي تسمح بإعادة بناء القوى الذاتية وتجاوز الأزمات، وهو الملاذ الآمن الذي يصون الهوية المشتركة من التفتّت.

وهنا، يظهر الجيش حارسًا للسلم الأهلي وصمام أمان للاستقرار. فهو بعقيدته الوطنية الراسخة يمثل المؤسسة الجامعة التي يلتقي عندها جميع اللبنانيين، إذ يسهر جنوده لتأدية الواجب على امتداد الأراضي اللبنانية، متجاوزين كل الحواجز الطائفية والمناطقية. في هذا السياق، تعزز تضحيات العسكريين الثقة بمستقبل البلاد، وتؤكد أنّ الجيش يُقدّم الغالي والنفيس في سبيل الحفاظ على الاستقرار الداخلي والسلم الأهلي.

العميد حسين غدار
مدير التوجيه

نقابة صيادلة لبنان
Order of Pharmacists of Lebanon

GlobeMed
Lebanon

A COLLABORATION
PRESCRIBED WITH CARE

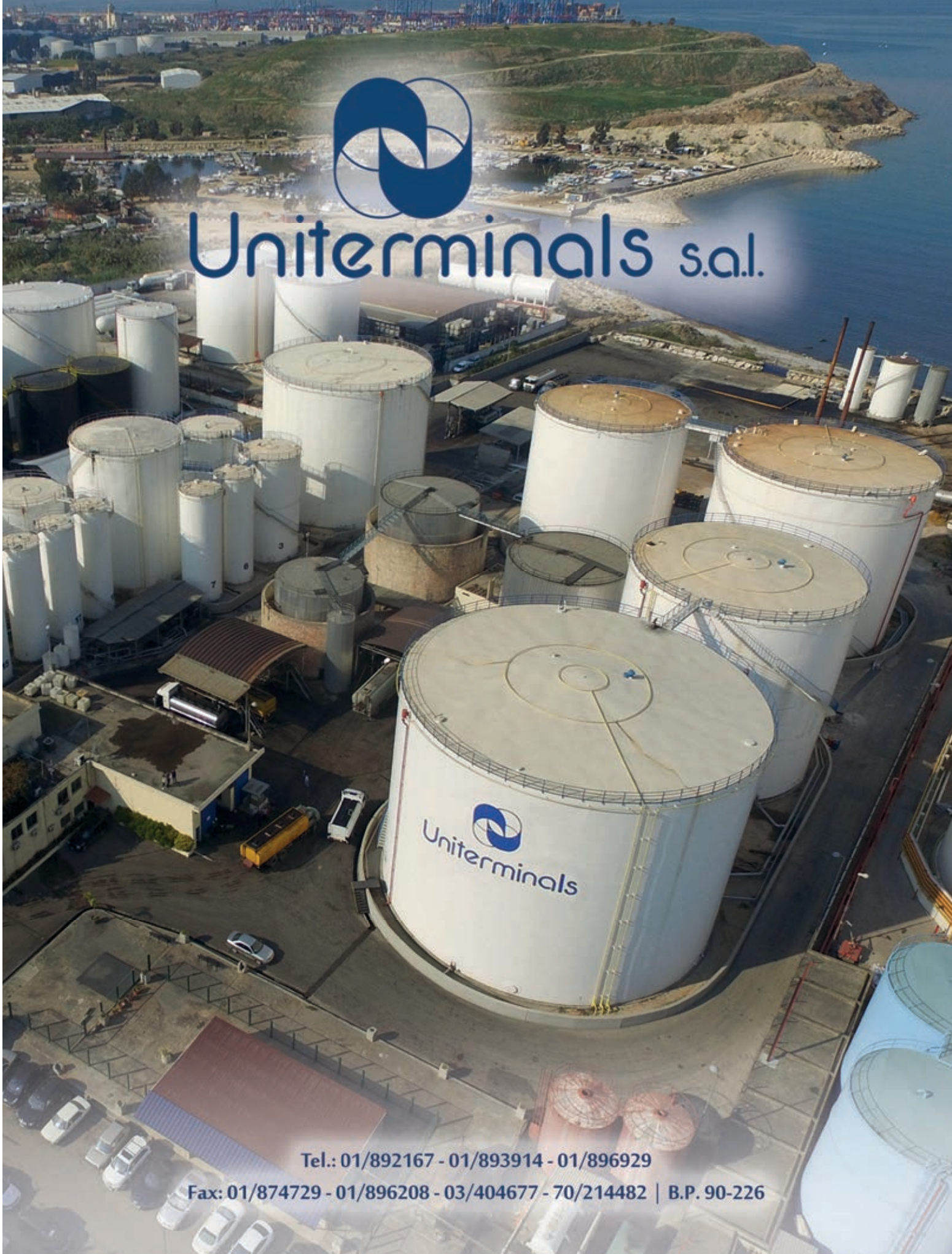
Uniterminals s.a.l.
Uniterminals
Tel.: 01/892167 - 01/893914 - 01/896929
Fax: 01/874729 - 01/896208 - 03/404677 - 70/214482 | B.P. 90-226